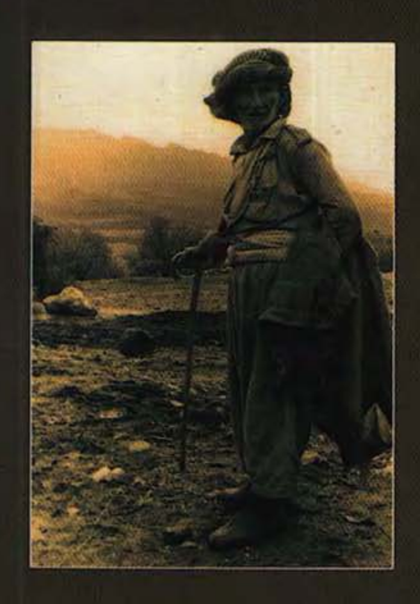
ديفيد ماكدووال

الكورد

شعب أُنكر عليه وجوده



ترجمه:

عبدالسلام النقشبندي



ديفيد ماكدووال

الكــورد

شعب أُنكر عليه وجوده

ترجمهُ:

عبدالسلام النقشبندي



دار اراس للطباعة والنشر

أربيل - اقليم كردستان العراق

دار اراس للطباعة والنشر
شارع گولان - اربيل
اقليم كردستان العراق
البريد الألكتروني aras@araspress.com
الموقع على الانترنيت www.araspublishers.com
الهاتف: 35 49 224 66 (0) 00964
تأسست دار اراس في (٢٨) تشرين (٢) ١٩٩٨

ديفيد ماكدووال
الكورد.. شعب أُنكر عليه وجوده
ترجمهُ الى العربية: عبدالسلام النقشبندي
منشورات اراس رقم: ١٢٥٦
الطبعة الاولى ٢٠١٢
كمية الطبع: ١٠٠٠ نسخة
مطبعة اراس - أربيل
رقم الايداع في المديرية العامة للمكتبات العامة ٢٦٨ - ٢٠١٢
الاخراج الداخلي: زياد طارق
الغلاف: آراس أكرم
التصحيح: أوميد البنا

ردمك:
ISBN: 978-9966-487-25-6

الفهرست

حول المؤلف ديفيد ماكدووال

ديفيد ماكدووال كاتب وباحث لايرتبط إسمه بشركة أو صاحب عمل. كتب بغزارة عن شعوب منطقة الشرق الاوسط وعن الأتجاهات السياسية فيها. إنه صاحب تقارير لمجموعة حقوق الاقليات عن لبنان- شعب الطوائف والأقليات وعن الفلسطينين. وكتابه "الكورد شعب أنكر عليه وجوده" بني على تقرير مجموعة حقوق الأقليات حول الموضوع. تتبع ماكدووال في كتابه المراحل التاريخية التي مر بها الكورد في كل من العراق وتركيا وايران وأماكن اخرى وفيه يدقق ويتفحص تركيبة المجتمع الكوردي وطبيعته وكيف أن هذه التركيبة كانت في أحايين كثيرة عامل اخفاق في كفاح الشعب الكوردي. المؤلف يقدم سرداً مثيراً للأحداث وعمل الحركات القومية الكوردية وعوامل القوة والضعف فيها ويطرح تحليلاته حول اسباب فشل هذه الحركات في البلدان التي ظهرت فيها.

كما أن الكاتب لايغفل عن انتهاكات حقوق الانسان و المجازر الفظيعة التي ارتكبت بحق هذا الشعب وخاصة تلك التي وقعت ابان عهد كمال أتاتورك الذي أدار ظهر المجن لكل التضحيات التي قدمها الكورد له لتثبيت زعامته و حكمه. ولاينسى الكاتب الويلات التي عانى منها الكورد في العراق على ايدي الحكومات المتعاقبة.

إن كتاب "الكورد- شعب أنكر عليه وجوده" عمل موضوعي يأخذ بالقاريء الكريم الى ثنايا وتعقيدات المجتمع الكوردي والى خفايا السياسة التي أحاطت بالمسألة الكوردية، والكاتب في عمله هذا لايبغي

ربحا مالياً وانما يرمي الى استكشاف الهوية الكوردية ويلقي كثيراً من الضوء على العوامل الخارجية والداخلية التي اثرت على مجمل نشاط الحركات السياسية و يتطرق ايضاً الى التناقضات التي تنخر في الجسد الكوردي والتي تقف عائقاً في وجه تطوره.

الخاتمة: ضمان مستقبل الكورد والتحدي الدولي

إنه بحق كتاب يحتاجه كل كوردي يريد معرفة المزيد عن تأريخ شعبه ورموزه التأريخية الذين ساهموا في صنع هذا التأريخ الزاهر حيناً والمليء بالمآسي والويلات حيناً أخر.

الكاتب يهدف من عمله الوصول الى الحقيقة وايصالها الى انظار الرأي العام العالمي. إنه جهد يستحق الكاتب عليه كل آيات الشكر والعرفان وهو ينقل من خلاله واقع الشعب الكوردي الى العالم الخارجي.

وفي الختام أعود فاذكر القاريء الجليل أن جميع الأفكار والآراء التي وردت بين سطور الكتاب هي ملك للمؤلف ولادخل لي في صياغتها وأنني بذلت قصارى جهدي في أن اكون أميناً عند ترجمتي لهذه الأفكار وكنت حريصاً غاية الحرص على اختيار الكلمة والعبارة التي تطابق النص الأصلي الذي اورده الكاتب والله من وراء القصد.

عبدالسلام النقشبندي

سان دييكو - كاليفورنيا- الولايات المتحدة

في ١٥-٥-٢٠٠٧

شكر وإمتنان

أجدُ لزاماً عليَّ أن أُقدم شكري وتقديري الى جميع الذين قدموا لي المساعدة لإنجاز هذا العمل وأخص منهم بالذكر كِلاّ إبنتيَّ زينة ودلال لما قامتا به من إتصالات ومراسلات ضرورية لتأمين الكتب والمصادر وكذلك صهري ناصر باشا الذي لم يألو جهداً في الإتصال بدور النشر والمؤلفين للحصول على الموافقات اللازمة لطبع الكُتب. كما لا أنسى الدور الإيجابي للسيد بدران أحمد حبيب القائم بإدارة «دار آراس» للنشر والطباعة في أربيل لما قدمه ويقدمه من إهتمام وإحتضان لكل عمل يخدم تاريخ وثقافة شعبنا الكوردي ولا أنسى جمهور القُراء الذين تلقوا كتابيّ السابقين «المأساة الكوردية – وأقوياء قوة جبالهم» قبولاً حسناً الأمر الذي شجعني على المضي لإنجاز عملي الجديد هذا والذي أطمح أن ينال رضاهم ومن الله التوفيق.

المترجم

عبدالسلام النقشبندي – كاليفورنيا

نبذة عن حياة المترجم

ولد المترجم عبدالسلام محمد رؤوف النقشبندي في قرية بامرني التابعة لقضاء العمادية في عام ١٩٣٨ ، اكمل دراسته الابتدائية في مدرسة القرية والثانوية في دهوك. في ١٩٥٧ التحق بكلية التربية "دار المعلمين العالية" وتخرج منها عام ١٩٦١ . ليعمل في التربية والتعليم مدرساً للغة الإنكليزية وادارياً وأخيرا مشرفاً اختصاصياً لمدة ٣٣ سنة. ترك مهنة التعليم أواخر عام ١٩٩٤ بعد أن أحيل على التقاعد. كما عمل لفترة معداً للاخبار الانكليزية في تلفزيون «گەلي كوردستان» وبعد ذلك في تلفزيون «حقوق الإنسان». غادر كوردستان أواخر ١٩٩٦ وأستقر في الولايات المتحدة وهو يعيش اليوم في ولاية كاليفورنيا. سبق له ان ترجم كتاب «المأساة الكوردية» و«أقوياء قوة جبالهم » و«كورد العراق- آلام وآمال» و«شعب بدون وطن- الكورد وكوردستان» ولا يزال مستمراً في الكتابة.

الناشر

مقدمة

هجرة كورد العراق الجماعية في ١٩٩١ حولت انظار العالم كله نحو المسألة الكوردية بشكل لم يسبق له مثيل من قبل. لأول مرة يسمع الكثيرون في العالم بوجود هذه الأقلية القومية الكبيرة الشبه منسية في الشرق الأوسط الاعلام الغربي بتسليطه الأضواء على ضخامة المأساة الانسانية التي حلت بهم أعطت صوراً بسيطة عنهم وأظهرتهم على انهم ضحايا نظم جائرة وشريرة وأنهم شعب غُدربه.

لا أحد يستطيع إنكار حقيقة أن الكورد كانوا ضحية التطورات السياسية في المنطقة إبان القرن العشرين لاصانعي هذه الاحداث والتطورات السياسية. ولايشك أحد أن الكورد قطعوا شوطاً كبيراً في مسيرتهم لصياغة الهوية القومية. ولكن وصف الكورد على أنهم مجرد ضحايا انما انتقاص بحقهم وأقلال من شأنهم وسلب لمسؤوليتهم عن اعمالهم.

إن اطلاق صفة "الشعب" على الكورد حسب المفهوم الاوروبي ينطوي على مخاطر تجاهل العلاقة الصعبة والمعقدة لمجتمعات الشرق الاوسط مع مفهوم "الشعب". غير أن العنوان الثانوي للكتاب "شعب أنكرت عليه هويته" قُصدَ به إبراز التحدي الكبير الذي يواجههُ الكورد وهو خلق هويتهم القومية رغم المعارضة الخارجية ورغم التناقضات التي يعاني منها المجتمع الكوردي نفسهُ.

إن عدداً كبيراً من مجتمعات الشرق الاوسط قطعت مسافة طويلة

وشاقة على درب بناء هويتها القومية كان البعض منها ناجحاً في سعيهم هذا ولكن البعض الاخر كان اقل حظاً في هذا المضمار. إن مؤرخي الشرق الاوسط يعتبرون غزو الفكر الاوروبي وتغلغلة في الفكر السياسي لمجتمعات الشرق الاوسط في النصف الثاني للقرن التاسع عشر المصدر الرئيسي لمفهوم الهوية القومية. و وصل هذا الغزو ذروته في إنهيار الامبراطورية العثمانية في الحرب العالمية الاولى وفي كفاح العديد من مجتمعات هذه الامبراطورية لايجاد هوية جديدة لها تنسجم مع النظام العالمي الجديد الذي فرضه الغرب. وكان من بين المجتمعات التي بدأت هذا البحث عن الهوية اليونانيون وشعوب البلقان الاخرى والعرب والترك واليهود والارمن والكورد.

ولكن في حالة الأرمن والكورد الحدود الخاصة بكل منهما متداخلة مع بعضها البعض بشكل كبير. ولولا حدوث عمليات تصفية الارمن في الأناضول في حملات الابادة والتهجير منذ ١٨٩٦ والى ١٩٢٢ والتي إشترك الكورد فيها أيضاً فأنه على الاثنين صياغة مفهوم جديد "اللأمة" كي يضم الكورد والارمن أو أن حرب إبادة وتقسيم كانت لتحدث وتنجم عنها هجرة قسرية للالوف بل و للملايين من الكورد والارمن بين الدولتين.

هذه الفرضيات لم تتحقق إذ لم تعد للارمن في تركيا من باقية. إن مفهوم الدولة القومية إن هي أُسست على اساس العرق أو اللغة فهي تحصر الحقوق في مجموعة معينة تعطي طابع "الاقتصارية."

وهلك أرمن كثيرون بسبب ذلك على أيدي الترك الذين كانوا ايضاً يحاولون بناء هويتهم القومية إن هذه "الاقتصارية" الخبيثة التي فُرضت على مكونات امبراطورية متعددة الاعراق ومتعددة الطوائف والتي كانت تعيش جنباً الى جنب في المدن والارياف كان لها أثر مدمر على حضارة الشرق الاوسط.

لقد كان الترك واليهود والعرب وشعوب البلقان موفقين في إقامة دولهم القومية. ولكن في حالة اليهود لم تتحقق الدولة اليهودية القومية على أيدي رعايا عثمانيين بل بواسطة المستعمرين الاوروبيين على حساب السكان الاصليين. أما الكورد فلم يكونوا ناجحين. ومهما يكن فأن أية دولة من الدول التي ظهرت في المنطقة لم تستطع حسم مسألة الهوية القومية للمجتمعات الموجودة فيها.

في مذكرة رفعها الملك فيصل الاول الى حكومته في الثلاثينيات لخص مشاكل دولته ومشاكل الدول المجاورة له الخاصة بالقوميات على النحو الآت: إن هذه الحكومة تحكم بعض الكورد ومعظمهم أُميون وفيهم أُناس من ذوي الطموحات الشخصية وهولاء يحرضون الكورد على التخلي عن الحكومة لانها لاتنتمي اليهم. كما أن الحكومة تحكم اكثرية شيعية تنتمي الى قومية الحكومة ولكنها بسبب التمييز الذي عانى منه الشيعة على ايدي العثمانيين الذين لم يسمحوا لهم بالمشاركة في الحكم فأن فجوة واسعة ظهرت بينهم وبين الحكومة التي هي الآن سنية.

ولسوء الحظ أدى هذا بالشيعة الى الابتعاد عن الحكومة التي يعتبرونها فاسدة. ذكرت هاتين المجموعتين الكبيرتين ولم أُتطرق الى الاقليات الأخرى مثل المسيحيين الذين تقدموا ايضاً بمطالب مختلفة. وهنالك الأعداد الضخمة من العشائر التي ترفض كل شيء له صلة بالحكومة بسبب مصالح وطموحات شيوخها الذين يضعف نفوذهم بوجود الحكومة بينهم. أقولها بقلب يعصره الالم أن ليس في العراق بعد شعب يسمى "شعب العراق".

ما الذي يحصل؟ الكورد يعتقدون أنهم شعب واحد في كل الاحتمالات الكورد لاينحدرون من عرق واحد. إنهم ينتمون الى خليط من الأقوام،

كما أنهم لايعتنقون ديناً يميزهم عن الاخرين فالسواد الاعظم منهم ٨٥٪ سنة ولو أن الانتماء الى طرق صوفية يميز ولاء القرى بعضها عن بعض.

كما أن الكورد لايملكون لغة موحدة والى يومنا هذا تجد مجموعة منهم صعوبةً في فهم مجموعة أخرى وهم وكما يشهد تأريخهم منقسمون وتمزقهم الخلافات الداخلية والتي ليست لها علاقة بالفكر التحرري. إنما ترسبات خلافات عشائرية قديمة.

على كل حال يصر الكورد على انهم عرقياً وجغرافياً وبنمط حياتهم المتميز يشكلون شعباً واحداً يختلف عن غيره من الشعوب ولديهم شعور بأن الواحد منهم يشبه الاخر.

القسم الاعظم منهم يسكنون المنطقة الجبلية ويتمركزون بين الترك والعرب والفرس. إن حكومات تركيا والعراق وايران التي تجد صعوبة في الاتفاق على كثير من القضايا الاقليمية فأنها متفقة بشكل كبير عندما يتعلق الامر بالكورد.

باستثناء ماحصل في العراق فانهم جميعاً يرون في الحكم الذاتي على أنه مقدمة للانفصال.

كحكومات طموحة وذوات فلسفة مبنية على العنصر القومي "تركيا" أو على الاسلام الشيعي "ايران" وعلى حدود معينة فانها تدرك جيداً مخاطر اطلاق العنان للمشاعر الكوردية.

يمكننا فهم مخاوف هذه الحكومات حيال المسألة الكوردية حيث هناك الأمن الستراتيجي والتجارب التأريخية والمشاكل التي مروا بها مع الجيران. كما أن هنالك الثروات المعدنية غير المستثمرة والثروة المائية كلها امور تجعل الحكومات غير مستعدة على الاطلاق في إبداء قدر اكبر من المرونة ازاء المسألة الكوردية.

توجد مجتمعات كوردية أصغر في سوريا ولبنان والاتحاد السوفيتي وهنالك تجمعات كوردية في مدن المنطقة مثل اسطنبول وأنقرة وطهران وتبريز وبغداد والموصل ودمشق.

يمكن فهم العلاقة بين الكورد وجيرانهم أنها نتاج تعصب قومي ومسألة تقرير مصير. لقد كانت هنالك دوماً مشاكل بين الكورد وجيرانهم منذ زمن قديم وكان ذلك تعبيراً عن التوتر القائم بين أهل السهل واهل الجبل.

ومنذ عصور موغلة في القدم كانت المناطق المنعزلة ولكنها كانت مأهولة في الشرق الاوسط مثل الصحارى والاهوار والجبال مأوى لاولئك الذين يختلف نمط حياتهم عن اسلوب حياة أهل السهول الصالحة للزراعة. إن أرض "الغطرسة" كما يحلوا للبعض تسمية أرض الصحاري والأهوار و الجبال كانت خارج سلطة الدولة وهي في تغيرّمستمر. إن قسماً من "أرض الغطرسة" استلم للدولة واستكان لها "الاهوار والصحراء" ولو ان اهوار دجلة والفرات والى ١٩٩١ كانت تستخدم كملاذ للهاربين من قوات صدام حسين.

في الشرق الاوسط لاتزال أرض "الغطرسة" تحتفظ ببعض حيويتها فهنالك طوائف لبنان المارونية والدروز وهي من فترة الى اخرى تزاول نوعاً من النشاط الاستقلالي. والى افغانستان حيث يجد رجال القبائل اسباباً جديدة لرفض سلطة حكومة رجل المدينة.

إنه خطأ كبير إذا أجزمنا أن اهل أرض الغطرسة بميلهم الى الاستقلالية واعتزازهم بتراثهم المتميز ومُقتهم لحياة اهل السهل لايريدون شيئاً من اهل السهل والمدينة فالواحد منها يعتمد على الاخر والعلاقة بينهما متشابكة رغم توترها. إن تفجر الصراع بين الكورد وجيرانهم

شبيه بالصراع المحتدم بين اهل الصحراء واهل المدن ومبعثه حدوث شيء اخلّ بنظام التعايش بينهما.

من السهل تصور المسألة الكوردية على شكل صراع بين حركة تحررية وبين جيران يضطهدون هذه الحركة. ولكن المسألة ليست على هذا القدر من البساطة حيث أن الكورد ومثلهم في ذلك مثلُ كل الاقوام الجبلية في صراع بين قوة هويتهم التقليدية وبين ضعف التطور السياسي لديهم. وفي دراسته الرائعة وضع مارتن ڤان بروينسن أصبعه على الخاصية المميزة: الحركة الكوردية في العراق ومنذ ١٩٦٦ لها طابع محافظ رغم عدالة مطالبها. إن القيادة الكوردية بدت كما لو انها تريد مزيداً من التدخل الامبريالي في المنطقة بدلاً من تقليص مثل هذا التدخل. وطهّرت الحركة نفسها بشكل تدريجي من العناصر اليسارية. وتمكن القادة التقليديون الذين واجهوا تحديات شباب المدينة من الاحتفاظ بمواقعهم لانخراطهم في الحركة.

هناك سبب خارجي واضح للطبيعة التقليدية للحركة الكوردية وهو الرعاية السوفيتية للعراقيين في ذلك الوقت والمساندة التي تلقتها الحركة من الامبراطورية الايرانية والولايات المتحدة. وثمة اسبابٌ داخلية قوية للخاصية والطبيعة المحافظه للحركة الكوردية المبنية على ولاءات أصلية ومنظمات اجتماعية والتفاعل بين الدولة والعشيرة وعلى الحقيقة القاسية التي تشير الى أن الروح القومية في المنطقة الريفية لايمكن لها أن تعمل الآمن خلال القنوات التقليدية إن القومية الكوردية والولاءات العشائرية والدينية تقف الواحدة على الضد من الاخرى.

وطبيعي أن يُطرح السؤال الأتي: هل أن القادة الكورد التقليديون والى فترة السبعينات كانوا معنيين مثل اسلافهم في حكم ذاتي عشائري قدر

اهتمامهم بحكم ذاتي دستوري كانوا ينادون له؟

- إن الصراعات الداخلية التي تميزت بها الثورات الكوردية تثير السؤال الات: هل أن أسوء عدو للطموحات القومية الكوردية هو الحكومات التي اضطهدت الكورد بوحشية على مدى ٦٥ عاماً أو أن طبيعة المجتمع الكوردي المتجزيء وضعف الشعور القومي لدى العديد من الكورد من ذوي العقليات التقليدية هما العائقان الكبيران غير المنظورين وراء فشل الثورات الكوردية؟

إن هدف هذا الكتاب هو استكشاف الهوية الكوردية وروابطه الولاء والتجربة التأريخية والمعاصرة منذ تفكك الامبراطورية العثمانية والقاء نظرة خاصة على أوضاعهم في البلدان التي يعيشون فيها والوقوف على بعض العوامل الداخلية والخارجية والتناقضات القائمة اليوم والتي قد تحفز اوتعيق الباعث القومي لدى الكورد.

الفصل الاول

كوردستان- أرض الكورد

الارض: مع أن الكورد يتواجدون في كل من سوريا و أرمينيا وخوراسان (شرق ايران) ولبنان إلاّ أنّ السواد الاعظم منهم يعيشون اليوم حيث عاش الكورد دائماً في الجبال عند التقاء كل من ايران والعراق وتركيا إن قلب المنطقة هذه يتكون من سلسلة جبال زاكروس الوعرة التي تمتد على هيئة مرتفعات جبلية تمتد من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي. وفي جهة الغرب تنتهي هذه الالتواءات الجبلية بهضاب تنحدر نحو سهل ميسوپوتاميا امامن جهة الشمال فان الجبال تنتهي في هضبة الاستبس (الاعشاب الطويلة) وفي مرتفعات ماكان يسمى بالاناضول الارمنية.

ومع أن سكان المنطقة ليسوا جميعاً من الكورد في كثير من اجزائها فأن البيئة الثقافية السائدة فيها هي بيئة كوردية.

منذ مطلع القرن الثالث عشر كان القسم الاكبر من هذه المنطقة يطلق عليه إسم "كوردستان". غير أن مصطلح "كوردستان" لم يدخل الاستعمال العام للدلالة على نظام الاقطاعيات الكوردية الا في القرن السادس عشر بعد أن تحرك الكورد شمالاً وغرباً الى هضبة الاناضول في موجات نزوح العشائر الكوردية. ومنذ ذلك الوقت ظهر إسم "كوردستان" على خرائط قليلة وهو بالتأكيد اكثر من كونه مصطلحاً جغرافياً لأنه يشير ايضاً الى ثقافة وبيئة بشرية موجودة في المنطقة. لذلك فان "كوردستان" تحمل مفهوماً اجتماعيا وسياسيا معاً.

على كل حال لايمكن رسم خارطة لكوردستان دون حدوث خلاف. وعليه فان الخارطة السكانية "حيث يتواجد الكورد" لاتعبر عن مصطلح سياسي بل هو تعبير للمكان الذي يتواجد الكورد فيه بأعداد كبيرة. تركيا ولأسباب عملية تنكر وجود "كوردستان" فيها بينما يعترف العراق وايران بوجودها ولكن ليست بالمساحات والامتدادات التي يطالب الكورد بها.

ويظهر الخلاف على أشُده حول كركوك بسبب مخزوناتها النفطية الكبيرة. أهي مدينة كوردية؟ ام هي عربية؟

الكورد يصرون انها كوردية وترد عليهم الحكومة بانها عراقية.

على كل حال لقد كانت كركوك الى مطلع القرن العشرين مدينة يهيمن عليها الكورد والتركمان وكانت اللغة العربية والتركمانية والكوردية تستخدم من قبل جميع من كان يسكن فيها. الى الغرب والجنوب كان هنالك العرب البدو أما الى الشرق منها فكان الكورد الهماوند. التركمان وهم أقلية اقليمية فهم ينحدرون من قبائل تركية نزحت الى المنطقة قبل قرون من الزمن.

هنالك مغالاة للادعاءات الكوردية حول "لورستان" التي تشكل الجزء الجنوبي لسلسلة زاجروس وكذلك حول المنطقة الحدودية التركية السورية التي تمتد الى الزاوية الشمالية الشرقية.

للبحر المتوسط وبذلك فهم يعطون الدولة الكوردية المزمعة منفذاً بحرياً مناسباً. ان احدى الصعوبات الرئيسة التي تواجه رسم حدود معينة تكمن في تداخل المناطق التي تحيط بقلب المنطقة الكوردية حيث يتعايش العرب والترك و الاذريون والفرس جنباً الى جنب مع الكورد. في القرى المجاورة لمدينة اربيل التي هي مدينة كوردية خالصة يشكل العرب فيها نسبة ملحوظة.

وفي قلب المنطقة الجبلية في سلسلة جبال زاجروس وشرق طوروس عاش اقوام اخرون ولقرون عديدة مثل الارمن والاشوريين (النسطور والكلدان) وكذلك الترك واليهود وأُعتبروا من قبل الغرباء كورداً باستثناء الارمن حيث انهم جميعاً انتموا الى بيئة كوردية.

أما في كرمنشاه والى الجنوب منها فانك تجد اللوريين و البختيار وهم أناس على درجة كبيرة من الشبه بالكورد وبعض الكورد يعتبرونهم كورداً في الوقت الذي يرفض القسم الاكبر منهم هذا الادعاء وينكرون هذا الانتماء. أما الى الشرق والشمال الشرقي فان المناطق المأهولة بالكورد تنتهي بالمناطق التي يسكنها الآذريون الترك في اذربيجان. أما من الجهة الغربية فان القرى الكوردية تتداخل مع القرى العربية والتركية باتجاه نهر دجلة وهنا تختلط الأمور الى درجة أن الكثيرين من الكورد ينتمون الى بيئة السهول انتماءهم الى بيئة الجبل. اما في الشمال فان الكورد والترك يتداخلون بشكل يصعب معه رسم خط فاصل بين الاثنين ومن العسير القول بوجود ثقافتين مختلفتين جغرافياً.

وان مناخ المنطقة الجبلية نشط ومنعش على مدار أيام السنة وهو في المرتفعات الداخلية البعيدة حار صيفاً وقارص شديد البرودة شتاءً وتنعزل قرى كثيرة بسبب تساقط الثلوج بغزارة في أشهر الشتاء الثلاثة. ويعيش في هذه المناطق عدد قليل من مربي الاغنام إذيقيمون فيها صيفاً ينزلون الى الوديان شتاءً اكثر دفئاً. اما المستوطنون من السكان فانهم يقيمون على ضفاف الأنهر حيث المناخ اقل قسوة وحيث تكون التربة صالحة للزراعة.

وحتى في هضبة الاناضول هنالك تفاوت كبير في درجات الحرارة بين الشتاء والصيف إذ تصل في أقصى الشمال الى نحو -١٣° مئوية وحتى

في دياربكر الواقعة في الجنوب الشرقي تنخفض هذه الدرجة في كانون الثاني الى الصفر المئوي بينما يكون في شهر اب ٣٠°م. ويخضع فصلا الربيع والخريف لتقلبات مناخية مفاجئة ففي بعض الحالات تسقط الثلوج حتى في شهر مايس.

والى قرن مضى كانت كوردستان تزود سكان الموصل بخشب البلوط كحطب للتدفئة واغراض أخرى وبعضها كان ينقل عن طريق نهر دجلة الى بغداد والبصرة. أما اليوم فان هذه التجارة قد إندثرت. اما تجارة العفص الذي لايزال يستعمل في صناعة الحبر ودبغ الجلود فقد كانت رائجة. إن ماتبقى من هذه الغابات لايتعدى كونه شجيرات مبعثرة هنا وهناك.

لقد أزيلت الغابات التي كانت في يوم ماكثيفة نظراً للطلب المتزايد على الحطب من قبل سكان السهول ولذبول الاشجار بسبب الحروب التي شهدتها المنطقة ولكن التدمير الكبير حصل نتيجة قطع الاشجار لحاجات التدفئة والطبخ. وهنالك عامل اخر ساهم في إ ختفاء الغابات هو الرعي غير المسؤول فقطعان المعز تقضي على كل شجرة وفسيلة. ان مسألة اعادة تشجير الغابات باتت امراً حيوياً وملحاً اكثر من اي وقت مضى لا لتجديد تزويد الحطب للتدفئة فحسب بل و ايضاً لمنع المزيد من إنجراف التربة ولمساعدة التربة على الاحتفاظ بالرطوبة.

ينشط الكورد في تربية الاغنام والماعز وبعض الماشية وفي هضبة الاناضول هنالك مناطق صغيرة لا يزال سكانها يعيشون حياة الرعي المتنقل بين الشتاء والصيف.

ان زراعة الحبوب لازالت حرفة مهمة في كل ارجاء كوردستان وتبلغ نسبة الانتاج منها في تركيا حوالي ١٥٪ من مجموع الناتج القومي وهي

٣٥٪ في ايران و ٣٠٪ في العراق. معظم الكميات المنتجة تستهلك محلياً في منطقة زاجروس ولكنها في المناطق الاخرى تعتبر مصدراً لدخل العائلة. أن المحصول الرئيس الذي يدر دخلاً نقدياً هو التبغ. ولكن التبغ المنتج هو من النوعية المتوسطة ولايستطيع التنافس في الاسواق الخارجية. كما يزرع القطن في منطقة الاناضول. اما في المناطق الجبلية فتنتج الفواكة والخضروات للاستهلاك المحلي. أن ١/٣ الأراضي الزراعية كانت تزرع بشكل فصلي ويترك الثلث الآخر بدون زراعة كي تستعيد التربة خصوبتها ولكن اليوم تبدلت الطريقة لوجود المخصبات الصناعية.

- ان المعدن الرئيسي في كوردستان هو النفط ويوجد بكميات تجارية في كركوك وخانقين وفي باتمان و سيلفان وفي روميلان في سوريا. ان إستغلال هذه الحقول من قبل الحكومات المتعاقبة في هذه البلدان عمّق من إحساس الكورد بالغبن والاجحاف بحقهم وشدّد من عزم هذه الدول على عدم افساح المجال أمام أية دعوة انفصالية تهدد هذه المصادر المهمة. اما المعادن الأخرى الموجودة بكميات جيدة فهي الكروم والنحاس وخامات الحديد والفحم الحجري.

شعب كوردستان

أصل الكورد غير مؤ كد على وجه الدقة. احتفظ الكورد بهويتهم لأكثر من ٢٠٠٠ سنة في الوقت الذي تعرض جيرانهم في المناطق السهلية لغزوات متلاحقة فأستوعبوا اقواماً غرباء وثقافات غريبة.

ومهما يكن الامر فانه من غير المحتمل أن الكورد من أهل البلاد الأصليين بشكل تام أوانهم جميعاً من أصل واحد. السواد الاعظم من الكورد ينحدرون من قبائل إندو أوروبية سكنت بين السكان الاصليين قبل ٤٠٠٠ سنة. ويعتقد بانهم سكان الجبال الذين كانوا في صراع مستمر مع امبراطوريات بلاد مابين النهرين من سومريين و بابليين وأشوريين والكورد يعتقدون أنهم ميديون. ومن شبه المؤكد إنهم كانوا "الكوردخ" إو "كاردو" الذين اثخنوا جيش زينوفون البالغ ١٠,٠٠٠ رجل ضرباً عند انسحابه المشهور الى البحر الاسود ٤٠٠ ق.م

وعند مطلع القرن السابع الميلادي وبداية العهد الاسلامي دخل المصطلح القومي "كورد" الاستعمال وأطلق على عدد من القبائل الايرانية او على قبائل إتصفت بصفات ايرانية، قسم أصلي وقسم سامي والبعض الاخر مجتمعات أرمنية.

أما فيما يتعلق بالعرب فمسألة الهوية لاترتبط بالاصل القومي الحقيقي، إنها متعلقة بالنسب الخيالي. ان النخوة الدينية وخاصة بين السنة أمر لايمكن فصله من الاعتزاز باللغة العربية. هنالك من الكورد من يفتخر بانتساب زعماءهم الى نسب عربي وهم فخورون في نفس الوقت كونهم كورداً. وليس غريباً أن تجد عائلات مشهورة تدعي الانتساب الى النبي (صلى الله عليه وسلم) وهم يعرفون بالسادة.

إن الادعاء بالانتساب العربي لم يكن خيالياً دائماً. إن البعض من الكورد بارتباطهم بسكان السهول إمتزجوا بشكل حتمي مع الانساب السامية. لقد كان اللانتساب العربي دور مهم للشيوخ والاغوات الكورد. وإنه أمر مؤكد الان أن بعض العشائر الكوردية كانت في الاصل عشائر تركية أو أرمنية أو أشورية اندمجت في البيئة والثقافة الكوردية المهيمنة على المنطقة، في المنطقة المحيطة بمدينة أربيل وكذلك في مناطق أخرى حلت اللغة الكوردية محل اللغات الاخرى والاقوام التي امتزجت اصبحت تطلق على نفسها اسم "الكورد".

والاهم من النقاوة العرقية إن هذا المجتمع الذي يُشار اليه على أنه كوردي طوّر لنفسه ثقافة مميزة عن الثقافات الاخرى التي تحيط به رغم الاختلافات الداخلية الكثيرة من منطقة الى اخرى ومن عشيرة الى عشيرة وكوّن هذا المجتمع لنفسه حسّه القومي الخاص به. كم هو عدد الكورد؟

أن النقطة التي يحتدم الجدال حولها بشكل قوي بعد مسألة الحدود الفعلية لكوردستان هي مسألة تقديرات نفوس الكورد. القوميون الكورد يبالغون في اعداد الكورد والحكومات تميل الى تخفيض العدد. في تركيا إن الكورد الذين لايتحدثون بالتركية يسجلون في سجلات الاحصاء على انهم كورد وبذلك يكون عددهم قليل. ومن الناحية الأخرى فان المتعصبين من الكورد يدعون أن ٣٠٪ من سكان العراق هم من الكورد ومن المحتمل أن الزيادة هي ٧٪. وبذلك تكون النسبة نحو ٢٣٪.

إن محاولة تقدير عدد الكورد مسألة صعبة إذ لايمكن التأكد من إي رقم صحيح. المؤلف مسؤول عن الارقام المدونة أدناه:

التقديرات السكانية لعام ١٩٩١

الدولة	المجموع الكلي	عدد الكُرد	النسبة
تركيا	٥٧,٠٠٠,٠٠٠	١٠,٨٠٠,٠٠٠	١٩٪
العراق	١٨,٠٠٠,٠٠٠	٤,١٠٠,٠٠٠	٢٣٪
ايران	٥٥,٠٠٠,٠٠٠	٥,٥٠٠,٠٠٠	١٠٪
سوريا	١٢,٠٠٠,٠٠٠	١,٠٠٠,٠٠٠	٨٪
الاتحاد السوفيتي		٥٠٠,٠٠٠	
مناطق اخرى		٧٠٠,٠٠٠	

اللغة:

على النقيض من العرب الكورد لم يطوروا لأنفسهم لغة مكتوبة او منطوقة منظمة واحدة. وهم الى يومنا هذا منقسمون لغوياً بين لهجات لاتستطيع مجموعة منها مخاطبة الاخرى بطلاقة ويسر. الغالبية تشترك في الأصول اللغوية الايرانية الشمالية الغربية.

- بعض الكورد قادرون على التحدث باكثر من لهجة واستخدام المذياع والمطبوعات والتعليم الموحد ساعد على سهولة التخاطب الى حد كبير وقد يستطع الكورد في نهاية الامر ايجاد صيغة أدبية موحدة للكتابة والاذاعة. اللغة الكوردية مؤلفة من لهجتين رئيستين مع اختلافات محلية ومن عدد من اللهجات الفرعية:

الكرمانجي: ويتحدث بها في الموصل وصولاً الى الاتحاد السوفيتي ولها شكلان أدبيان احداهما تستخدم الحروف السيريلكية (cyrcillic) في الاتحاد السوفيتي والاخرى تستخدم الحروف اللاتينية (تركيا).

سوراني: ويتحدث بها في منطقة كبيرة عبر الحدود الدولية في اورمية في الشمال الى خانقين في الجنوب وتستعمل في تداولها عادة الحروف العربية مع صيل في الاونة الاخيرة الى استخدام الابجدية الرومانية وفي العراق اصبحت هذة اللهجة رسمية وهي تؤشر الهيمنة الثقافية للسليمانية على باقي المراكز في كوردستان.

وهي اللغة الكوردية الوحيدة التي تُدرس في المدارس وتستخدم من قبل الحكومة.

اللهجات الفرعية: وتشمل الكرمنشاهي والكوراني ويتحدث بها في كوردستان ايران من كرمنشاه الى سنندج وهنالك لهجة «زازا» ويتحدث بها في ديرسيم وهي منطقة في الاناضول داخل منطقة مثلثة الشكل محددة بمدن دياربكر وأرضروم و سيفاش. ولو أن لهجة "زازا" و "كوران" يتحدث بها في منطقتين متعاكستين من كوردستان فانهما مرتبطتان بشكل يلفت الانظار.

الديانة في كوردستان

على عكس الاقوام التي تسكن لبنان وسوريا- الدروز و العلويون والاسماعيليون والمارونيون الذين أفصحوا عن هويتهم المتميزة من خلال الانفصال الديني عن الاصل فان الكورد احتضنوا الاسلام بعد الغزو العربي في القرن السابع الميلادي. وكان قبل ذلك توجد ديانة عبدة الشمس والزرادشتية واليهودية والنصرانية وهي تتنافس فيما بينها في المنطقة. إن الدين لايلعب دوراً كبيراً في تمييز الكورد عن غيرهم.

معظم الكورد يتبعون المذهب الشافعي وهي أحدى المدارس الفقهية الاربع الموجودة في الفقة الاسلامي بين السنة. وهذا تميز طفيف يميزهم عن جيرانهم الترك الذين يتبعون المذهب الحنفي. أما الى جهة الشرق فهنالك الترك الاذريون والفرس واللوريون الذين يدينون بالمذهب الشيعي الاختلاف الديني يظهر عند الممارسة مع وجود الطرق الصوفية وعلى الأخص الطريقة القادرية والنقشبندية.

الكورد جميعاً لايتبعون المذهب السني. ففي الشمال الغربي من كوردستان أُناضول ينتمي بعض الكورد الى مذهب شيعي متفرع ويدعون "علوي" وهم في غالبيتهم من المتحدثين بلهجة "زازا" ولكن ليس جميع المتكلمين بهذه اللهجة علويون وليس جميع العلويين كورد.

فكثيرون منهم ترك. أما في الجنوب الشرقي وفي أقصى جنوب كوردستان- في كرمانشاه ومناطق خانقين فان عدة عشائر كوردية تؤمن بمذهب الاثنا عشرية وهو المذهب الرسمي للحكومة الايرانية. ومرة اخرى يضرب الكورد المثل على إتباع الأصل بدلاً من إبداء الاختلاف.

هنالك ديانتان أُخريان موجودتان بين الكورد وتعتبران ديانتين منحرفتين عن الاسلام وهما:

اهل الحق: وهي مجموعة طائفية صغيرة توجد في جنوب وجنوب شرق كوردستان. ومن المحتمل انها طائفة متطرفة و توفيقية منحرفة من الشيعة الأصلية ويُدعون ايضاً ب "علي الاهي" وهو اسم يوحي بالتضليل حيث أن علي صهر رسول الله وإبن عمه لايحتل منزلة كبيرة في نظامهم الديني. إن الاعتقاد الرئيسي عندهم هو "التجليات السبعة المتعاقبة" للالوهية ويكنّون الاحترام لعلي ولكن هذه النظرة لاترقى الى المنزلة التي يتمتع بها مؤ سس الديانة وهو التجلي الالهي الرابع الشيخ الالهي

سلطان ساهاك الذي أدخل التجلية الرابعة للحقيقه.

الايزيدية: وهي ديانة أُخرى توفيقية أخذت عناصرها من جميع الاديان الموجودة في المنطقة بما فيها الوثنية والزرادشتية التي هي ضرب من المثنوية الفارسية ومن المانوية التي تعنى إحاطة المعرفة بالجوانب الروحية وأخذت من اليهودية تحريم تناول بعض الأطعمة وأخذت من المسيحية النسطورية التعميد وتناول النبيذ وتقديم القرابين المقدسة واخذت من الاسلام الصوم والحج والاضحية ومن الاسماعيلية ومن الطرق الصوفية وأخذت من الصابئية نظام الشامان الذي يؤمن بوجود عالم محجوب للالهة و الشياطين وارواح السلف الايزيديون يتواجدون في الاتحاد السوفيتي "السابق" وفي منطقة جبل سنجار غربي مدينة الموصل وفي منطقة الشيخان شمال شرقي الموصل حيث يوجدأهم ضريح لأحد الائمة التابعين لهم. كما يوجد عدد قليل منهم في سوريا. اثناء الثلاثينيات والأربعينيات من القرن التاسع عشر عانى الايزيديون وكذلك المسيحيون من الاضطهاد على أيدي جيرانهم المسلمين من ترك وعرب وكورد في اوقات مختلفه وهاجر الكثيرون منهم الى القوقاس ويوجد عدد منهم في ولاية دياربكر وحول عين تاب شمال حلب ويوجد عدد أصغر في ايران.

الايزيديون لايتجاوز عددهم ١٠٠,٠٠٠ اليوم وهم لايزالون مضطهدين ولو أن الادعاء أنهم من عبدة الشيطان باطل إذ لايوجد برهان يثبت هذا الزعم وأشياء اخرى. الايزيديون جميعاً كورد ومنذ الخمسينيات ظهر الانتماء القومي بشكل واضح ربما بشكل أوسع للتمييز الذي عانوا منه على أيدي الحكومات.

وفي ١٩٧٤ التحق عدد منهم بالثورة الكوردية وأحتمى عدد من زعمائهم بالبارزاني في تلك السنة.

المسيحيون واليهود عاشوا جنباً الى جنب مع الكورد وبسبب عدم الاستقرار انخفض عددهم في السنوات الاخيرة.

سورياني: وهم مسيحيون يقيمون حول طور عابدين على مقربة من ماردين وكذلك في منطقة الجزيرة.

الاشوريون: وهم النسطور والكلدان ويوجد عدد منهم في هكاري ومنطقه بهدينان الى أورمية.

الارمن: ويقيمون شمال وان.

اليهود: وكانوا في المنطقة الى بداية الخمسينات وهاجر اغلبهم الى فلسطين بعد قيام دولة اسرائيل خوفاً من مشاعر الغضب والانتقام. اليهود والمسيحيون كانوا يتخاطبون بلهجة سامية قديمة وكانوا يعيشون في قرى خاصة بهم واحياناً مع الكورد المسلمين ومارسوا عدداً من الحرف اليدوية التي اختفت بعد هجرتهم للمنطقه.

الفصل الثاني

اسس المجتمع الكوردي

العشيرة- الشيوخ- الاغوات

المجتمع الكوردي مجتمع عشائري يستمد اصوله من العشائر الرحل وشبه الرحل في القرون الماضية. الولاء في المجتمع الكوردي هو للعائلة ثم للعشيرة مثلما هي الحال في المجتمعات العربية.

اساس تلاحم العشيرة هو رابطة الدم. البداوة التي هي مصدر من مصادر تركيبة العشيرة تقلصت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وهي في طريقها الى الزوال اليوم.

ومع وجود الروابط العشائرية وجدت ولاءات دينية وخاصة شيوخ الطرق الصوفية من قادرية و نقشبندية وهي حديثة العهد وتعود الى النصف الاول من القرن التاسع عشر عندما انتشرت الطريقتان في كوردستان بشكل سريع.

طريق التصوف مفتوحة أمام الجميع. من خلال السلطه الدينية وتملك الأرض فانه وحتى الفقير من القوم إن كانت لديه طموحات يستطيع الوصول الى أعلى الدرجات في الطريقة كشيخ. وإ ذا سلك ابن الشيخ طريقة والده فإن سلالة دينية مصبوغة بصبغة دنيوية ستجد طريقها الى الوجود. الشيخ محمود البرزنجي وملا مصطفى البارزاني وجلال الطالباني جميعاً ينتمون الى عائلات دينية. ولكن من الانصاف أن نقول

أن كثيرين من الشيوخ لم يستغلوا مراكزهم الدينية في المجتمع لغرض التعظيم والتبجيل.

كان للشيوخ نفوذ كبير في أوساط المجتمع الكوردي حيث تحتفظ كل قرية بالولاء لطريقة او لأخرى.

كان هذا الولاء قوياً ومتماسكاً الى درجة بحيث لم يستطع كمال أتاتورك رغم قمعه الشديد القضاء على هذه االطرق الى عام ١٩٢٥ واستمرت هذه الطرق في النمو بشكل سري وبقيت حجر عثرة أمام السياسيين في حشدهم للجماهير لتنظيماتهم.

في ١٩٧٠ وهي فترة دخول التنظيمات اليسارية الى المجتمع الكوردي بقيت الجماعات غير المرتبطة بالأحزاب على ولائها للشيوخ وصوتت لهم أو لمن ينوب عنهم. ستستمر هذه الولاءات لفترة طويلة قادمة رغم وجود حالات استغلال. وحتى بعض الكورد ممن يوصفون انفسهم بالتقدميين يشعرون بنوع من الولاء لهؤلاء الشيوخ. إن مايتمتع به الشيخ عزالدين الحسيني في ايران من تأييد اليساريين له خير مثال على ذلك.

العلاقة العشائرية: إن التركيبة العشائرية الكوردية هي أبعد ماتكون من التجانس وهي الأن في مرحلة الزوال رغم قوة القيم العشائرية في المجتمع. إن عمل تصنيف للنظام العشائري الكوردي ليس بالعمل السهل لوجود علاقة معقدة تتغير من عشيرة الى اخرى. بعد الولاء للعائلة ثم للعشيرة يأتي الولاء للتحالف العشائري "الكونفدرالية العشائرية" ولكن رابطه الدم والمصالح تبقى هي الغالبة.

إن ولاء المجموعات العشائرية بعضها لبعض غير مضمون وهو قابل للتقلب والبتر واقامة علاقات جديدة محلها طبقاً للظروف السياسية والاقتصادية.

عندما يحاول احد الزعماء توسيع رقعة نفوذه فانة في الغالب يُواجِه حركة مضادة من الزعماء الآخرين الذين لايريدون الاخلال بالتوازن القائم. وعند حدوث اي خلاف بين زعيم وأخر فانه يجب أخذ دور الحكومة وتأييدها لأي منهما في الحسبان.

ويجب أن لايغيب عن الاذهان أن الكونفدراليات العشائرية هي من صنع الدولة وهي تقوم برعايتها واخذت صفة رسمية من قبل العثمانيين ومن بعدهم من قبل الفرس لحراسة المناطق الحدودية.

إن الكونفدرالية العشائرية لعشيرة الجاف في كوردستان الجنوبية خير مثال على ذلك. الرئيس العام الذي يحظى بثقة جميع العشائر يحوز على اللقب الرسمي من الحكومة وبهذه الصورة يتم ربطه بشكل وثيق بجهاز الدولة، في بعض الحالات لاترتبط عائلة الرئيس العام بالعشائر الاخرى في الكونفدرالية بأية رابطه. إن الانتساب الى النبي وتأييد الحكومة له تمنحانه مركزاً يتجاوز تأثيره حدود العشيرة ويصبح مركزه كوسيط لحل المنازعات قوياً.

قد يتساءل الواحد منا عن أهمية فض المنازعات. الجواب عليه أنه في مجتمع يقوم على رابطة الدم فان شجاراً بين شخصين ستكون له أبعاد خطيرة لايستطيع اي قريب لاي طرف من الطرفين أن ينأى بنفسه عن قريبه ويتوجب عليه الواجب العائلي او العشائري الوقوف الى جانبه سواءً أكان ظالماً او مظلوماً. لهذا فان كل نزاع يأخذ أبعاداً خطيرة يستلزم معها حسم الخلاف قبل استفحاله وخروجه من السيطرة ولايتم ذلك إلا من قبل شخص يتمتع بأحترام كلا الطرفين ويحوز على رضاهم وموافقتهم. في هذه الحالة الشيخ هو أفضل من يقوم بهذه المهمة. احاط عدد من رؤساء الكونفدراليات انفسهم بحرس لايمتون بصلة قربى الى

اي زعيم وهم يشكلون لب القوة القتالية للرئيس.

وضمن الكونفدرالية هنالك العشائر والوحدات الاصغر وهي المجموعات القروية التي تنتمي عادة الى جد مشترك. إن اقتصاد هؤلاء حتى العشرينيات كان يعتمد على تربية الاغنام وعلى التهريب عبر الحدود وعلى عمليات سلب المسافرين على الحدود بين الدولة العثمانية والفارسية. الهركيون يأخذون الملح الايراني الى العراق ويجلبون الحنطة العراقية الى ايران. ويقومون بهذه الرحلة السنوية من مناطق اورمية وينزلون في الشتاء الى سهول أربيل.

المجتمع الكوردي في المناطق السهلية و الهضاب مختلف عن مجتمع الجبال بدرجة كبيرة وفي نواحي عدة بحيث يمكن رؤيتهما كمجتمعين مختلفين.

اقتصاد المنطقه السهلية هو اقتصاد مجتمع مستقر يمزج بين الرعي وبين إنتاج القمح والشعير والتبغ والرز. قد توجد روابط الدم ولكنها ليست بقوة روابط المجتمع الرحل. وحتى اولئك الذين يصفون انفسهم بانهم عشائريون مرتبطون بمالك الأرض الذي لايطمع في ولائهم لأنه يستمدقوته من الدولة.

إن علاقته معهم هي علاقة إنتاجية لا اكثر و تختلف عن علاقة رئيس العشيرة في المنطقه الجبلية غالباً مايكون مالك الارض غائباً عن أرضه ولايريد من الفلاحين الوقوف الى جانبه في نزاع فهو يستيطع طلب المساعدة من الدولة لاخماد أي عصيان عليه. التزاماته هي نحو الدولة وعلاقة الفلاحين معه هي علاقة استثمار الأرض ليس إلا.

إن اهل السهل ينظرون الى كورد الجبل نظرتهم الى البدو الرحل في الصحراء. فقد كانوا أحياناً يعانون من الاثنين. البدو يتجهون شمالاً

هرباً من قيظ الصحراء وطلباً للكلاء الكورد ينزلون من الجبال في الخريف هرباً من برد الشتاء. واحياناً كان الفلاحون يعمدون الى إضرام النار في العشب قبل نزول الكورد من الجبال.

لقد تطورت الحياة المدنية للكورد وهم ينتمون الى بيئة السهول. وإذا لم يكن هؤلاء ملاكين فانهم عندئذ خصوم طبيعيون للزعماء العشائرين إذ هم حملة الأفكار القومية ويعتبرون العشائرية تأخراً وعائقاً في وجه تقدم المجتمع الكوردي. بالاضافة الى هذه الطبقة المدنية المثقفة فان هناك طبقه بروليتاريا النفط التي بدأت بالنمو في العراق وتركيا. وفي هذا المفهوم فان الصراع القومي في القرن العشرين لم يكن فقط صراعاً بين الكورد والحكام غير الكورد بل وايضاً بين مفهوم الحكومة العصرية والمفهوم العشائري. إنه صراع أرض "الغطرسة" ضدّ اهل الوداعة. إنه صراع مزّق المجتمع الكوردي وأضعفه.

قوة الاغوات

رغم إنخراط معظم العشائر في كونفدراليات فان القوة الرئيسة بقيت بايدي الاغوات الذين لهم السيطرة على قرية أو اكثر. أما الزعماء الكونفدراليون فانهم في سلطتهم اعتمدوا على اعتراف الحكومة بهم وعلى رغبة رؤساء العشائر الذين هم أدنى مرتبة منهم على أن يأتمروا باوامرهم. هؤلاء الرؤساء عادة غير مستعدين للتضحية بسلطاتهم من اجل الزعيم.

من السهل فهم تقبل رجال القرية لسلطة الاغا. فقرى زاجروس اعتمدت على سلطة الاغا في بسط النظام الضروري لاستمرارية الحياة في القرية. يجب أن يقوم أحد ما بتوزيع الارض الزراعية وديموميتها.

متى وأين تؤخذ الاغنام للرعي في الشتاء وكيفية توزيع مصادر المياه. الشخص القادر على اداء هذه الامور هو الاغا وسلطته واجبة للطاعة إن اراد اهل القرية أن تسير امور قريتهم بشكل سهل وسلس.

لقد قبل اهل القرية بهذه السلطات للاغا لسبب بيّن هو أن النظام ضروري لديمومة الحياة في القرية. وهنالك سبب اخر لايقل اهمية عن الاول هو أن اكثر من ١/٢ اهل القرية اقرباء والنصف الباقي مرتبط بعضهم ببعض بشكل او بأخر. أما لماذا يتمتع الاغا بهذا العدد الكبير من الاقرباء؟ فان الجواب عليه سهل وهو تعدد الزوجات في حين أن القرويين دائماً متزوجون بواحدة وهكذا توسعت عائلة الآغا بينما بقيت عائلات العوام ثابتة العدد إن لم تتقلص.

هذه الحقيقة البسيطة توضح كيف أن الجميع في القرية مرتبطون الواحد بالاخر وأنه ورغم استيداد الآغا وسطوته بقيت سلطته قوية ومتماسكة. إن صلاحية الآغا في اعطاء الموافقة يضمن له السيطرة على كل علاقة خارج حدود القرية و خاصة أنه مرتبط بزيجات مع القرى المجاورة. الآغا يتولى شؤون زوار القرية حيث يستضيفهم في ديوانه.

ولأنه يسيطر على علاقات اهل القرية مع الخارج فهو الوحيد الذي يهيمن على الدبلوماسية مع الحكومة ومع العالم الخارجي للقرية.

وهنا قد يكون الآغا عرضة لمكيدة الكائدين من احد اقربائه الطموحين، ولعدة قرون كان الاعتراف الرسمي جزءً مهماً من عملية استمرارية العشيرة. إن منح هذا الاعتراف لاحد المنافسين الطموحين الطامعين في الزعامة من شأنه تقويض مركز الآغا في القرن الخامس عشر قامت سلالتا قرة قوينلو (الخروف الاسود). وأق قوينلوا (الخروف الابيض) التركمانيتان وكذلك الصفويون بتعيين الزعماء الكورد ويقتلون اولئك

الذين تم تعيينهم من قبل الحكام السابقين.

إن العلاقة مع الحكومة ومع الزعماء المجاورين كانت علاقة متبادلة. وهكذا وحتى الحرب العراقية الكوردية في ١٩٧٤- ١٩٧٥ عندما كان نحو ٥٠،٠٠٠ كوردي يقاتل ضد الحكومة فان عشرات الالوف منهم قاتلوا الى جانبها. في ظروف وعندما لايكون المركز الرئاسي مضموناً فان الاغوات سيكونون مهددين مراكزهم إذا انتصر زعماء الثوار على الجيش وعندئذ تضطر الحكومة أن تتبع نظاماً اخر في الجبل.

أهمية الارض

إنَّ تملكَ الارض في معظم المجتمعات البشرية يعتبر عنصراً من عناصر القوة. في المنطقه الجبلية الارض ملك للعشيرة والاغا يتولى مسؤولية توزيع مناطق الرعي. أما في السهول فعامة الناس يفلحون الارض التي هي اقطاعيات. بعد ذلك اصبحت ملكاً باسم الاغا الذي لاتربطه بالعاملين في الارض صلة قربى أو مصلحة مشتركة.

في منتصف القرن التاسع عشر أخذت عملية اصلاح الملكية مساراً جديداً أدى الى تفكيك أرض العشيرة وقويت من مركز مالك الارض والاغا في المنطقه الجبلية. حدث هذا على طرفي الحدود بين العثمانين والفرس وقوَّض الاقتصاد الجماعي وشجّع ظهور طبقه جديدة من الملاكين الغائبين عن الارض والمتعاونين مع الاغوات لضمان مصالحهم المشتركة.

إن التحول الذي حصل في القرن العشرين من الاقتصاد الاستهلاكي الى اقتصاد السوق عزّز هذه المصالح وأسرعت في إنخراط طبقة الملاكين في مؤسسات الحكومة.

بعد ١٩٢٠ أدت عملية تسجيل الارض في ايران والعراق الى ظهور الملكية الخاصة وبها تعزّز مركز الاغوات وأصبح رجال العشيرة طبقة تفلح الارض ولاتملكها.

في ايران تطلّب تطبيق العملية إستخدام القوة لغرض توطين رجال القبائل الرحل. وفي التسعينيات كانت ٧٨٪ من الاراضي الزراعية في كوردستان مسجلة باسم الافراد وبقي ٢٪ للعشائر. أما في تركيا فان التحول من الاقتصاد العشائري الى الرأسمالي قد أوجد حالة جديدة حيث أن ٦٢٪ من الفلاحين البالغ عددهم ٨٠٠,٠٠٠ اصبحوا يمتلكون الارض غير أن ٢٪ منهم حصلوا على ٣٠,٥٪ بينما حصل ٦٠٪ الاخرون على ١٩٪ فقط.

إن هذه العملية في البلدان الثلاثة ربطت الطبقة الجديدة المالكة للارض بالحكومة بشكل اقوى. واعطت الدولة قوة جديدة للاغوات حيث أصبحت علاقاتهم مباشرة مع الحكومة وليس من خلال الكونفدراليات.

أما رجال العشيرة فقد سمحوا للآغا بتسجيل أراضي العشيرة باسمه للتخلص من سلطة الحكومة في فرض الضرائب ولأن عملية تسجيل الارض باسمائهم تسهل على الدولة الطلب منهم للعمل في صفوف الجيش.

أدى ادخال المكننة الى الزراعة الى توفر فرص العمل الموسمي فقط ونجم عن هذه الظاهرة رحيل القرويين الى المدن مثل أنقرة وبغداد واسطنبول، واشتدت الهجرة لقلة الأراضي ولتأخر البنية التحتية للمنطقه الكوردية، فنشأت طبقة عمالية خارج كوردستان وتطور رأس المال وكان لذلك أثر على كوردستان. تقلص نفوذ الاغوات بسبب التغيرات الاقتصادية والاجتماعية ولكن العادات والتقاليد هي عميقة الجذور ولاتزول بسرعة.

قبل الانتقال الى تأريخ الكورد الزاهي والدموي لابد لنا من الاشارة الى نقطة اخرى. إن حكايات الغزوات والمنازعات والحروب في هذه الجبال الاعمال الجريئة والتضحية والفداء والجشع والخيانة وكلها تشكل مادة للأغنية الكوردية الملحمة التي يسمعها المحارب الشاب وهو مستلق في فراشه. لايسع المرأ الا أن يتأثر بهذه المشاهد الدموية التي يمر بها الكورد مثل غيرهم من سكان الجبال. إن هذه الاعمال اصبحت جزاً من الفلكلور الكوردي الذي يؤدي دوره في التثقيف السياسي هذه الايام.

الفصل الثالث

طواهم النسيان

الكورد قبل ١٩٢٠

شعب كوردستان مثله مثل كل من يقطن الاماكن الوعرة عاش في حالة تصادم مع الحكومات المركزية وحتى مع واحد منهم الاخر في فترات كثيرة. لقد حازوا على اعجاب الرحالة الأوروبيين الذين إعتبروهم أعلى مرتبة من الفلاحين المقيمين حولهم. ولكن لاجدال في الامر بأن لهم بيئتهم وثقافتهم المميزة.

وصفهم الرحالة بأنهم قوم معتدّون بانفسهم وميّالون الى اللصوصية وهم متعلقون بارضهم الجبلية كما كان الحال مع الاسكتلنديين والسويسريين. إنهم موزعون على طوائف وافخاذ ومتعلقون برؤسائهم ومنقادون لهم انقياداً أعمى. انهم متكبرون ومتعجرفون بشكل يتعادل مع جهلهم. إنهم مثل الاسكتلنديين يكرهون جميع الفنون إلافن الحرب والسلب والنهب ويكرهون جميع الحرف إلاحرفة السلاح.

مهما بلغ التعصب بهذا المسافر الاوروبي في القرن التاسع عشر فانه أصاب كبد الحقيقة في وصفه وتقديراته. فاللصوصية و قطع الطرق على المسافرين كانا يُنظر اليهما على أنهما اساليب مشروعة لكسب المال من قبل بعض العشائر. وكان الكورد في الجبال مصدر تهديد دائم لسكان المنطقه السهلية. إن زينوفون القائد اليوناني الذي قاد الجيش الفارسي

عاني من هجمات الكورد على جيشه وهو ينسحب الى سواحل البحر الأسود. وطوال الحقبة العربية الاسلامية كانت هنالك اشارات عن وجود ثورات كوردية وعمليات سلب ونهب قام بها الكورد. إن اندلاع القتال بينهم بين فترة واخرى ما هو إلا مؤشر على أن العلاقة التي تطورات على مر الايام قد خرجت عن سكتها الصحيحة.

الكورد والادارة شبه المستقلة:

كان الكورد مثل الحكومة المركزية يرغبون في حياة هادئة يستطيعون من خلال الاتجار بما لديهم من جلود واغنام وعفص ومواد اخرى مقابل مايحتاجون من مواد. إن حاجتهم الى وسطاء في هذه العملية جعلتهم معتمدين على مراكز الولايات في كوردستان. أن الحكام الذين تعاقبوا على حكم المنطقه في فترة القرون الوسطى منحوا الاغوات نوعاً من الاستقلالية في ادارة شؤونهم ومن بين هذه العشائر المروانيدس في دياربكر وأخلات Akhlat وملازغيرد Malazgird التي تمتعت بالاستقلال التام بين ٩٨٣- ١٠٩٦م ولكن معظمها بقي على علاقة المنفعة المتبادلة التي أصبحت رسمية بشكل متزايد منذ الفترة السلجوقية في القرن الحادي عشر وما بعده.

إن علاقة المنفعة (الهدية) بين الدولة والاغوات كانت على هيئة أتاوة رمزية ورجال يقدمهم الأغا للعمل في صفوف الجيش. كان الاغا نفسه يقود هؤلاء الرجال أو يرسل من ينوب عنه في ذلك. بهذه الصورة ربط الاغا نفسه بالادارة المحلية وساعد على خلق طبقه من النبلاء الاقطاعيين واستبدلت العلاقة الاقطاعية بعلاقة القربى. وبحلول القرن الرابع عشر كانت هنالك ارستقراطية عسكرية واضحة تهيمن على الرحل من

العشائر. اِن الذين قدموا الرجال وقاموا بقيادتهم غالباً ما استقروا خارج كوردستان. في حين أن بعضاً من هؤلاء من امثال إبن كوردستان المشهور صلاح الدين لم يولدوا في كوردستان ولم يقيموا فيها ابداً. اِنه نتاج الارستقراطية العسكرية الكوردية.

معظم العشائر في هذه الفترة كانت كلياً أو جزئياً من الرحل تصعد الجبال صيفاً وتنزل الى السهول شتاءً. هذه العشائر استفادت من التغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي نجمت عن تدمير الزراعة من قبل المغول و التركمان في القرنين الثالث عشر والرابع عشر. حصلت هذه القبائل على مراعي جديدة كانت قبل ذلك اراضي زراعية في الاناضول ولاول مرة تصل هذه العشائر الى مناطق الأرمن في الاناضول.

اِن الصراع بين العثمانين والصفويين في القرن السادس عشر اعطى العشائر الكوردية فرصة لتقوية مراكزها.

وفي اعقاب النصر الكبير في عهد السلطان سليم على الشاه اسماعيل في موقعة جالديران عام ١٥١٤ ساعد الكورد عساكر السلطان في دحر قوات الصفويين و إخراجهم من الاناضول وأسّسوا بعد معاهدة ١٦٣٩ حدوداً ثابتة بين الدولتين.

وقفت العشائر الكوردية الى جانب العثمانين ضد الصفويين لأن العثمانين كانوا يمنحون الرؤساء الاقطاعات ويَمنح البعض الاخر الامارات مقابل قيامهم بحماية الحدود. معظم الاقطاعات والامارات قامت على المناطق الحدودية.

تشكلت اكثر من ١٥ إمارة واعطت هذه الامارات لكوردستان تركيبتها السياسية والاجتماعية حتى القرن التاسع عشر. كانت رأس كل أمارة عائلة منحت لقباً وراثياً من الحكومة التي احتفظت لنفسها من خلال

الحكام المحليين الحق في تنسيب اي فرد من افراد العائلة على رأس الامارة او إذا كان هذا الترتيب قد أعطى المجتمع الكوردي قدراً من الحرية في ادارة شؤونه فانه من جهة اخرى اعطى الحكومة قبضة قوية على المراكز المهمة اذ يوجد في كل عائلة أخ أو ابن عم هو على استعداد لتلبية اوامر الدولة اذا برهن على حامل اللقب أنه مشاكس ومتمرد لاينصاع للأوامر. ان المصالح الشخصية داخل العائلة كانت لاتزال تعمل عملها في المجتمع أثناء الحرب الكوردية العراقية في ١٩٧٤. كان هنالك عدد لا بأس به من طلاب الرئاسة داخل كل عشيرة فهم اما لازموا بيوتهم او وقفوا بنشاط الى جانب الحكومة بدلاً من الالتحاق بالثوار.

على الرغم من علاقة الكورد الثقافية واللغوية مع الايرانين فان الكورد لم يكونوا متحمسين للوقوف الى جانب الصفويين نظراً لتعامل الصفويين الصارم مع الاغوات الكورد الذين سبق لهم وأن خدموا السلالات الحاكمة السابقة وبسبب المذهب الشيعي للصفويين الذي ورثوه من سلالة أق قوينلو ولأنَّ الصفويين كانوا يميلون الى الحكم المباشر.

العثمانيون ومركزية الادارة

ان الترتيبات التي نظمت علاقة الامارات بالدولة إنهارت في منتصف القرن التاسع عشر عندما امتد النظام الاداري العثماني الى كوردستان. كانت هذه محاولة من الأستانة لاعادة بناء هيكلة الدولة وضمان قدر من السيطرة بعد إنهيار الانكشارية ولكي لاتتكرر محاولات الاستقلال الناجحة التي حصلت في بلاد البلقان في اجزاء أخرى من الامبراطورية. لقد كان لتدخل الاوروبين ومساهمتهم في تحرير البلقان سبباً لإثارة مخاوف الباب العالي وخاصة بعد قيام عدد من المبشرين والتجار و القناصل الأوروبيين التغلغل في بعض مفاصل الامبراطورية. كما أن

مطامع الروس في القوقاس والأناضول الشرقية واجتياحاتهم عبر الحدود كانت هي الاخرى سبباً دفع بالعثمانين الى اعلان التجنيد الالزامي في الامبراطورية.

اِن توسيع الادارة المباشرة التي حملت في ثناياها بوادر تدمير الامارات الكوردية قابله رفض كوردي على هيئة عدة ثورات قادها امراء كورد. حاول بعضهم تحقيق الاستقلال التام الناجز بينما حاول أخرون الحصول على اي شيء يقدرون عليه. كما حاول واحد أو اكثر تأليب القوتين الكبيرتين احداهما على الاخرى بدون جدوى. قد يفلح رئيس متمرد في ابعاد واحد من الأثنين ولكن عليه تأمين تأييد الآخر او جعله يقف على الحياد على الاقل.

كان من السهل التنبؤ بأن انتفاضات الامراء كانت بداية لحركة كوردية قومية ولكن باساليب تقليدية تعوذ الى العصر الذهبي للامارات. وعلينا قبول بأن هذه الانتفاضات كانت من قبل افراد أقوياء اعتمدوا على قواهم الخاصة وانهم كانوا غير راغبين في التعاون مع بعضهم البعض بعد أن اصبحوا أدوات بايدي قوى أقليمية أحكمت قبضتها عليهم.

اِن تدمير الولايات كان له أثر كبير على المجتمع الكوردي وعلى الحالة السياسية في كوردستان. لقد تحطمت مراكز القوى فيها وتحولت الى وحدات صغيرة وورِث الاغواتُ القوى الدنيوية وسيطر الواحد منهم على عدة قرى. وبغياب السلطة القوية التي كان الامراء يمارسونها أصبحت الادارة العثمانية بديلاً ضعيفاً عنها. وساد البلاد نوع من الفوضى وانتشرت المنازعات بين الاغوات والعائلات دون وجود وسيط معترف به.

تم ملؤ الفرا غ من قبل زعماء دينيين. في الفترة الماضية وعندما كانوا محط إحترام السلطات العلمانية لم يشارك رجال الدين يدرجه كبيرة في

الحياة السياسية. وفي خضم الفوضى الذي ضرب بأطنابه في الوسط الكوردي في منتصف القرن التاسع عشر ظهرت الحاجة الى تدخل الشيوخ كوسطاء بين العشائر والرؤساء وكان الجميع يكنُّ لهم كل الاحترام وكانوا خير من يصلح كوسيط او محكّم. لم يكن هؤلاء الشيوخ يعملون بشكل مستقل بل كانوا ينتمون الى احدى الطريقتين القادرية أو النقشبندية. اِن الطريقتين قد توسعتا بسرعة في العقود الثلاثة الاولى من القرن التاسع عشر وعلى الاخص النقشبندية منهما.

تغلغلت هذه الطرق بين العشائر وأسست لها شبكات واصبحت تمتلك قوة متماسكة في مجتمع متجزيء.

وعليه فانه لم يكن من قبيل الصدفة أن تكون الثورة الكبيرة في ١٨٨٠ بقيادة رجل دين من الطريقة النقشبندية. هو الشيخ عبيدالله. انتشرت الثورة بسرعة وكان لها صدى واسعاً. دعا الشيخ عبيدالله إلى إقامة كيان كوردي مستقل وهو بذلك وضع بداية لفكرة لماتزل غامضة عن كون الكورد أمة واحدة. في ١٨٧٨ كتب الى نائب القنصل البريطاني قائلاً: الكورد شعب مجزء وعاداته وتقاليده واضحة وسكان كوردستان متفقون على أن الامور لايمكن لها أن تدوم بهذا الشكل من قبل الدولتين العثمانية والايرانية.

اِن هذا الاتفاق الذي تحدث عنه الشيخ عبيدالله لم يتحقق داخل كوردستان ولاخارجها. ومع أنه كان يتمتع بتأييد الكورد له على جانبي الحدود الا أن هذا الشيء كان متعلقاً بظاهرة الايمان بعصر ذهبي من قبل مريديه. وعندما حاول الشيخ ترجمة اقواله الى أفعال تعاون السلطان والشاه ومعها العشائر الكوردية المناوئة لطموحات الشيخ على الحاق الهزيمة به.

كان الكثيرون من الاغوات الكورد مستعدين لمساعدة السلطان. قاموا بتقديم الرجال ليصبحوا فرسان الحميدية التي تأسست في ١٨٩١ لحماية الحدود الشرقية للاناضول وكذلك الحدود مع روسيا.

حدث هذا لأن الاغوات كانوا يقودون رجالهم في مناطقهم ويتلقون رواتبهم من السلطان وهم غير معرضين للمحاسبة اِن هم قاموا باعمال السلب والنهب ضد القرويين سواءً اكانوا من المسيحيين اوالمسلمين أرمناً أو كورداً الأمر سيان لديهم.

اما العامل الثاني الذي دفع بالأغوات للتضامن مع اسطنبول فهو عامل المذهب السني الذي يجمع بين الكورد والحكومة. كما أن الكورد يشاطرون الدولة الخوف من نزعة الارمن الانفصالية. وعزّز من هذه المخاوف تحريض الروس للارمن على الانفصال وتوسيع حدود روسيا لتضم المناطق الارمنية الأمر الذي جعل الكورد يتعاونون مع العثمانيين في قمع حركة الارمن، هذا القمع الذي بلغ ذروته في ١٨٩٥ و ١٨٩٦ واستولى الكورد على عدد من قرى الارمن.

حركة الشباب الترك و الكورد

اِن ثورة الشباب الترك في ١٩٠٨ والتي أطاحت بالحكم الاستبدادي للسلطان عبدالحميد ووعدت بأدخال اصلاحات دستورية وتمثيل في مجلس النواب لكل الشرائح والشعوب في الامبراطورية لم تحقق الآمال التي كانت معقودة عليها. في أيامها الاولى تم انشاء عدد من النوادي السياسية من قبل مثقفين كورد واغوات كانوا قد تلقوا بعض التعليم ومن قبل ضباط في اسطنبول والموصل ودياربكر وبتليس وموش وارضروم وحتى في بغداد. كما تم تأسيس عدد من المدارس التي بدأت تعلم باللغة

الكوردية. وبعض هذه النوادي السياسية عقدت اتصالات مع العشائر في ولاياتهم وتم تأسيس اول جريدة كوردية في القاهرة ثم في لندن وذلك في ١٨٩٨.

غير أن هذه التيارات لم تتطور كي تصبح حركة سياسية كما انها لم توحد الشعب الكوردي بل على العكس في ذلك نشأ صراع جديد في المجتمع الكوردي في هذه المرة بين المثقفين في المدن وبين الاغوات الذين لم ترق لهم المفاهيم رالأفكار التي تحملها النوادي والمدارس التي بدأت تعلم اللغة الكوردية لأن من شأن التثقيف السياسي ومحوالأمية تهديد مراكزهم. اول جمعية كوردية هي جمعية التقدم والتعاون المتبادل "تأسست في ١٩٠٨ من قبل افراد يمثلون عائلتين كورديتين مشهورتين هما عائلة بدرخان وعائلة السيد عبيدالله. الا أن التنافس على رئاسة الجمعية بين العائلتين دفع بكل واحدة منهما الى الوشاية بالأخرى لدى السلطات التي بدورها لم تجد صعوبة في غلق الجمعية.

لم يتأثر الأغوات من ذوي العقلية التقليدية بغلق الحكومة الجمعيات والنوادي الكوردية التي تعمل على نهج جمعية "التقدم والتعاون المتبادل" عندما كانت الحرب الأولى على وشك الاندلاع.

وعندما دخلت الامبراطورية فانها فعلت ذلك ضد القوى الاوربية وعلى الاخص منها روسيا. أما الكورد فلكونهم مواطنين عثمانين ومسلمين سنة وجيران للأرمن فلم يكن غريباً عليهم أن يقبلوا التطوع في الجيش العثماني. في ١٩١٥ اشترك بعض الاغوات في قتل وطرد الأرمن من المناطق الكوردية. وعندما سنحت الفرصة للأرمن فانهم لم يتورعوا في الانتقام لانفسهم من الكورد. عل كل حال وسّعت الدولة قمعها للأقليات لتشمل ايضاً الكورد في أرضروم وبتليس في شتاء ١٩١٦– ١٩١٧.

كانت الحكومة تخشى أن يتواطئ الكورد مع عدوهم الروس على الجهة الشمالية الشرقية. وهكذا بدأ ترحيل الكورد ومات الكثيرون منهم في العراء وهم يساقون نحو الغرب في عز الشتاء. كانوا ينامون في العراء تحت المطر والثلج ويقوم الذين بقوا على قيد الحياة بدفن الموتى.

معاهدة السلام ١٩١٨ وما بعدها

في ١٩١٨ وجد الكورد انفسهم في عالم يختلف كل الاختلاف عن العالم الذي دخلوا فيه الحرب قبل اربع سنوات. الامبراطورية العثمانية مغلوبة على أمرها والقوات الاجنبية موجودة في معظم أقاليمها والبريطانيون يحتلون معظم بلاد مابين النهرين الذي أصبح فيما بعد العراق الحالي بما في ذلك مناطق كوردية. وحدثت أمور اخرى وراء حدودها. فالامبراطورية النمساوية- الهنغارية قد انهارت والقسم الغربي من ايران يتواجد فيه الترك والروس والانكليز ويواجه الواحد منهم الاخر.

في المنطقة الستراتجية حول أذربيجان والقوقاس. كما تمت الاطاحة بالنظام القيصري في روسيا من قبل البولشفيك. وخطط الحلفاء لفترة مابعد الحرب وشمل التخطيط هذا توزيع المناطق التركية من الامبراطورية بين اليونانين والروس والطليان والفرنسيين. ولكن هذا الشيء بقي مجرد حبر على ورق بسبب انهيار روسيا القيصرية ولأن هزيمة تركيا أثارت موجة من الغليان الشعبي داخل البلاد.

وظهر شكل أخر من أشكال الكفاح تمثل في المصالح الستراتيجية للدول الاستعمارية التي تمتلك قوات في المنطقة وبين المبادئ الحضارية التي توصلت اليها هذه القوى على مائدة المفاوضات طالما أن هذه المبادئ لاتتعارض مع خططها الخاصة. ظهرت هذه المبادئ في برنامج

الرئيس الامـريكي وودرو ويلسن ذي الاربع عـشـرة نقطة حـول السلم العالمي وتنص النقطة الثانية عشرة منه. على ضمان تمتع جميع الأقليات في الامبراطورية بفرص تقرير المصير.

كان ذلك طموحاً رائعاً وان لم يكن واقعياً لخلق نظام عادل في الشرق الاوسط. أما الشـعب الكوردي فانه لم يكن مـهيـأً لملاقاة التحـديات التي افرزتها تسويات مابعد الحرب والقومية المعاصرة الجديدة. القسم الأكبر من الشـعب الكوردي لايزال يؤمن بعـضـوية المجتـمع الاسـلامي السني الذي كان أسـاس المجتمع العثماني الذي لم يعط قيمة للعرق او اللغة- كانت هذه هوية إنفرط عقد حلقاتها في الخلاف الذي نشـأ بين المدافعين عن النظام القـديم وبين الإصـلاحـيين الجـدد بقـيـادة كمـال أتاتورك. أمـا داخلياً فان الكورد كانوا يعانون من الضـعف بسبب التركيبة التقليدية التي لايزالون يتعايشون معها.

الولاء للعـشـيـرة أعلى من الولاء للافكار الجـديدة حـول أمـة كـوردية بالنسبة للقروي. وبقي الآغوات متشبثـين بمواقعهم بدلاً من التـعاون مع الغرباء في المناطق المجاورة لهم او مع كورد المدن الذين كانوا أقدر منهم في التفاوض مع العالم الخارجي.

حـاول المثقـفون الكورد تأسيس مـجموعات سيـاسـية كمـا فعلوا قبل الحرب لتحقيق الاسـتقلال الكوردي او على الاقل الحكم الذاتي. ومن بين هذه الجـمـعيات كـانت جـمـعـية "نهضـة كوردسـتـان" التي حظيت بتـأييد الجمـاعات الكوردية في اسطنبول ولكن سرعان أن تمزقت الجـمـعـية بين المنادين للـحكم الذاتـي والبـقـاء الى جـانب التـرك وبـين الذين ارادوا الاستقلال التام.

وعندما أحسَّ الكورد بنوايا الحلفاء في إقامة دولة مستقلة للأرمن (كان

الحلفاء يشعرون بوخز الضمير لعدم قيامهم بما فيه الكفاية لحماية الارمن في السابق) وأن قيام مثل هذه الدولة سيكون على حساب الكورد سارع وفد من الكورد برئاسة الجنرال شريف باشا في تقديم مذكرة مشتركة مع الارمن الى مؤتمر السلام في باريس في ١٩١٩.

جاءت معاهدة سيفرز التي وقعت في ٢٠ أب ١٩٢٠ ثمرةً لهذه المداولات بين الحلفاء وأنعشت الامال لدى الكورد و الارمن في اقامة دولة مستقلة لكل منهما. واشارات المواد المتعلقة بهذا الموضوع الى تشكيل هيئة من قبل الحلفاء للتحضير لاقامة حكم محلي في تلك الاقاليم التي يشكل الكورد فيها الغالبية والواقعة بشرق نهر الفرات والى الجنوب من حدود دولة الارمن المزمع تشكيلها وكذلك فوق الارض التي تشكل الحدود بين تركيا وسوريا وميسوبوتاميا (المادة ٦٢ من المعاهدة) وبعد انقضاء سنة في تنفيذ المعاهدة اذا تقدم الكورد في المناطق المذكورة في المادة ٦٢ بطلب الى عصبة الامم و أوضحوا فيه بأن الاغلبية السكانية في هذه المناطق يرغبون في الاستقلال عن تركيا واذا استيقن المجلس بأن السكان في هذه المناطق أهل لمثل هذا الاستقلال وقرر المجلس منح الاستقلال لهم فعلى تركيا الرضوخ لهذا القرار والتنازل عن كل حق لها في هذه المناطق وعلى الحلفاء عدم الاعتراض بأي شكل من الاشكال أذا قرر أكراد ولاية الموصل الانضمام الى الدولة الكوردية. (المادة ٦٤)

انِ الجملة الاخيرة من المادة ٦٤ فيها إشارة واضحة الى الاحتلال البريطاني لولاية الموصل بسبب مخزوناتها النفطية والذي نفذ بعد ٤ أيام من الموافقه على هدنة مع الحكومة العثمانية في ١٩١٨. تلك الهدنة التي لم تقبلها تركيا إلا في ١٩٢٥.

ومع أن الحلفاء أرفقوا وعدهم بجملة من الاشتراطات التي جعلت

الاستقلال مرتبطاً برضا وقناعة الدول التي لها مصالح ستراتجية في المنطقة فان الكورد لديهم عدد من المبررات التي تجعلهم متفائلين حول الوعود التي قطعت لهم. اذا كان هنالك اي باعث للقلق فهو الشك في قدرة الكورد على تحمل مسؤولية الاستقلال وخاصة إذا اخذنا بنظر الاعتبار ضعف المجتمع الكوردي.

اذا افترضنا أن عصبة الامم منحت الكورد الاستقلال فهل أن الكورد قادرون على صنع شعب من عشائرهم؟ وهل أنهم والأرمن كانوا سيتفقون على حدود مشتركة دون اشراف خارجي أو قوه تفرض الحدود؟ أوانهما كانا سيدخلان حرباً؟ هذه الاسئلة يجب أن تبقى بدون أجوبة لأن الاحداث في تركيا جعلت من معاهدة سيفرز ورقة هامدة.

الكورد في تركيا والأرث الكمالي

لم تعمر الحكومة العثمانية المغلوبة على أمرها والتي وقعت معاهدة سيفر طويلاً لتنفيذ بنود المعاهدة هذه. ان الاستيلاء على أقاليم الامبراطورية العربية في سوريا وميسوبوتاميا واحتمال ضياع الاناضول الشرقية الى الدولة الارمنية وربما اخرى كوردية ايضاً ودخول القوات الفرنسية الى سيليسيا في الاناضول كي تستقطعها وتلحقها بسوريا و الأدهى من ذلك والأمرّ عجز الحكومة في اسطنبول مواجهة الغزو اليوناني لتركيا العثمانية وتواجد قوات يونانية في ثريس Thrace (القسم الاوروبي من تركيا) وكذلك في غرب الاناضول. كل ذلك ادى الى حدوث ثورة في الاناضول يقودها مصطفى كمال الذي لمع نجمه ضد الحلفاء في معركة غاليبولي.

نظام حكم كمال أتاتورك

اِن دعم قسم كبير من الكورد لثورة مصطفى كمال يرمز الى الهوية التي يتقاسمونها مع المسلمين الاخرين في الأناضول (المذهب الاسلامي السني) والى مخاوفهم من الوقوع تحت سيطرة دولة ارمنية والتي ستكون مسيحية اِن هي تشكلت، وكمال نفسه استنجد بالمسلمين ودعا الى وحدتهم والى وطن ام لهم رغم ميوله القومية التركية. قامت القوات الكوردية بأمرة ضباط ترك بطرد قوات جورجيا المنشفيه والأرمن الطاشناق.

أما في الغرب فقد تغلب مصطفى كمال على القوات اليونانية وقضى على البقية الباقية من المسيحين في الأناضول واصبح فيها زعيماً بلامنازع. عند هذا لم يجد الحلفاء مندوحة من التفاوض من جديد على بقايا أمبراطورية لم تعد قائمة.

ومع أن الحلفاء احتفظوا لأنفسهم بكل ما ارادوه (فرنسا تنازلت عن سيليسيا) فانهم لم يكونوا مستعدين للتفاوض من اجل الارمن أو الكورد لأنهم أدركوا أن تنفيذ ينود معاهدة سيفرز المتعلقة بموضوع الارمن والكورد يتطلب استخدام القوة في مناخ قاسٍ وبلد وعر وشعب صعب المراس. الحلفاء وقد خرجوا لتوِهم من حرب طويلة أنهكت قواهم وهم انفسهم قد حصلوا على كل ما ابتغوه فانهم لم يكونوا راغبين في تقديم أية تضحيات اخرى.

كما أن الحلفاء أرادوا أن تصبح تركيا سداً أمام البولشفية الروسية.

لكل هذا فقد عمدوا الى عقد مؤتمر سلام جديد في لوزان في تشرين الثاني ١٩٢٢ وانتهى بعقد معاهدة في تموز من عام ١٩٢٣ حيث أن تركيا هي الدولة الوحيدة في بين الدول المغلوبة التي استطاعت فرض

شروط على الحلفاء المنتصرين، تمكنت من بسط السيادة الكاملة على الجزء الشرقي من تركيا الاوروبية وعلى الاناضول رغم أن ولاية الموصل بقيت غير محسومة.

لقد حارب الكورد الى جانب الامبراطورية العثمانية لا من أجل دولة تركية معينة. رغم الاعترافات الرسمية للحقوق القومية والاجتماعية للكورد فانه اصبح واضحاً بأن اهتمام أتاتورك بعد القضاء على المكونات المسيحية منصبُ على خلق دولة قومية على طراز الدول الاوروبية وأنها تكون دولة علمانية تركية. خسر الكورد في تركيا وبسرعة هويتهم ووضعهم الذي تمتعوا به كمواطنين مسلمين.

على العكس من معاهدة سيفر لم تأت معاهدة لوزان على أية اشارة الى الكورد. اِن الغاء السلطنة في ١٩٢٢ والخلافة في ١٩٢٤ أزالا السند الثنائي للكورد على انهم كمواطنين عثمانين ومسلمين واِن كانواهم كورداً قاموا مع التورك بتحرير الاناضول المسلمة من الأرمن واليونانيين. وقضى هذا الالغاء للخلافة على المصدر رالروحي و الدنيوي الذي كان الشيوخ والأغوات يستقون منه نفوذهم. في يوم الغاء الخلافة في الثالث من اذار ١٩٢٤ تحطمت كل دلائل الهوية الكوردية حيث منعت المدارس الكوردية والاتحادات والجمعيات الدينية والمطبوعات الكوردية.

وهكذا فان التهديد بزوال الهوية الكوردية والتهديد بزوال سلطة الشيوخ والاغوات ساهما في توحيد الكثيرين من الكورد ومن مختلف الاتجاهات والاراء وفي غضون فترة زمنية قصيرة نشطت حركة ضمت المثقفين في المدن وعدداً من الأغوات والشيوخ وعبأت اعداداً كبيرة من الرجال عن طريق الشيوخ ومريديهم. غير أن هذه الحركة كانت هشة وضعيفة.

في عام ١٩٢٥ اندلعت ثورة بقيادة شيخ سعيد بيران الذي هو احد شيوخ الطريقة النقشبندية وذلك بعد إبادة وحدة عسكرية تركية أُرسلت الى بيران لاعتقال عدد من اعوان الشيخ. اما الشيخ سعيد نفسه فقد كان يتمتع بمركز ديني كونه رئيس الطريقة النقشبندية في المنطقة وخادماً لاحد المزارات المهمة وله علاقات قوية مع الزعماء الكورد. انه نموذج حيّ للشيوخ الذين جمعوا بين السلطة الدنيوية والروحية. كانت دعوته قومية ولكن الذين لبّوا النداء فعلوا ذلك لولاءهم الديني والدنيوي المتأصلين فيهم لأمدٍ طويل. والجدير بالذكر أن جلّ أتباع الشيخ كانوا من الكورد المتكلمين بلهجة زازا ولم ينضم اليه من خارج هذه الشريحة الانفر قليل.

ولكن الثورة وبسرعة أظهرت العنف والخلل الكامن في صفوف الكورد. ومع أن الثوار كانوا يسيطرون على ١/٣ مساحة الاناضول الكوردية الا أنهم لم يستطيعوا الاستيلاء على أية مدينة مهمة. الوجهاء في دياربكر وحيث تنشط التنظيمات الكوردية القومية والسياسية لم يستجيبوا لنداء الشيخ. وعندما حاصر الثوار المدينة فان الذين داخلها من حملة الفكر القومي فضّلوا البقاء في بيوتهم وراء أبواب موصدة ولم يتحرك الى نجدة الثوار الانفر قليل من الطبقه الفقيره و من جماعة زازا لقرابتهم مع بعض الثوار خارج سور المدينة فشل الثوار في كسب ود الكورد غير المرتبطين بالعشائر من مزراعين مستأجرين حول دياربكر لأن الثوار اعتبروهم غير مؤهلين للقتال الى جانبهم.

أُرسلت القوات التركية بسرعة الى الشرق ومما سهّل مهمة نقلهم السماح لهم باستخدام سكك القطار في المنطقه التي يسيطر عليها الفرنسيون. وعند منتصف شهر نيسان سحقت هذه القوات الانتفاضة.

اعقب ذلك قمع شديد للمنطقة و لانصار الطريقة النقشبندية وأُعدم الشيخ سعيد وعدة مئات من أنصاره واحرقت المئات من القرى وهلك نحو ٤٠,٠٠٠- ٢٥٠,٠٠٠ من الفلاحين في عملية اخماد الثورة. بالأضافة الى ذلك قررت انقرة تخلية المنطقه من سكانها الكورد وباشرت بعملية ترحيل السكان من مناطقهم.

وفي نفس الوقت تقريباً إندلعت إنتفاضة اخرى. في هذه المرة عند سفوح جبال ارارات بقيادة عدد من زعماء العشائر وتلقت المساعدة من الخارج من قبل منظمة "خويبون" الاستقلال التي نجحت في جمع شمل كل الجماعات الكوردية لغرض تنسيق الدعم للثورة، إنها المرة الاولى في تأريخ الكورد تقوم منظمة قومية بدور مركزي بدلاً من الشيوخ والاغوات. وحصل الثوار على مساندة رضا شاه لهم. وعند انتهاء عام ١٩٢٩ كانت المنطقه الواقعة بين بتليس و وان وارارات بيد إدارة كوردية قوية الى درجة جعلت الحكومة التركية تفكر في اجراء مفاوضات ولكن تبين بعد ذلك أن ليس ثمةُ حاجةُ اليها لأن أنقرة توصلت الى اتفاق مع الشاه الذي قطع كل اشكال الدعم عن الثوار وسمح للقوات التركية بالتحرك داخل الأراضي الايرانية للالتفاف حول القوات الكوردية.

وصدر القانون رقم ١٥٨٠ الذي اعطى العسكر صلاحيات واسعة في قمع الكورد. والقانون نص على أن جميع انوا ع القتل و الأعمال الاخرى التي ارتكبت بشكل فردي او جماعي ابتداءً من ٢٠ حزيران ١٩٣٠ الى ١٠ كانون الاول ١٩٣٠ من قبل ممثلي الحكومة أوالولاية من قبل الجيش والادارة المحلية أو من قبل الحراس والميليشيات او من قبل اي مدني ساعد الجهات المذكورة او قام بالنيابة عنهم في فترة القضاء على الثورة التي اندلعت في ارسز وزيلان واكري دا غ و المناطق المحيطة بها بما

فيها پالمور pulumar في ارزنكان وفي منطقه المفتشية الاولى التي تغطي منطقة الاناضول- كل هذه الاعمال لاتعتبر جرائم. (المادة -١-).

وصرح وزير العدل حينذاك قائلا: اعتقد بأن الترك هم سادة هذه البلاد وأن هؤلاء الذين ليسوا تركاً أقحاحاً لديهم حق واحد فقط في هذه البلاد وهو حق أن يكونوا خدماً وعبيداً.

ومرة اخرى عمدت حكومة انقرة الى سياسة الترحيل الجماعي لغرض اخماد الثورة ولصهر الكورد في الشعب التركي واعطت العملية صفة قانونية وشجعت الترك على الاستيطان في المنطقة واصدرت مرسوماً في الخامس من مايس ١٩٣٢ والذي أجاز اخلاء مناطق بشكل تام. وعليه لم يكن امراً مستغرباً أن تنجدد المقاومة الكوردية مرة اخرى بقيادة دينية محلية في منطقة مشمولة بالاخلاء ولكن لم تصلها بعُد القوات التركية. هذه المنطقة هي ديرسيم (الأن تونجلي). وهي منطقه صغيرة ولكنها استطاعت إشغال ثلاث فرق عسكرية في حرب العصابات حتى نهاية ١٩٣٨. مرة أخرى جاء القمع بابشع صوره وتمت عسكرة المنطقه ومنع استعمال اللغة الكوردية وكذلك الزي الكوردي و الفلكلور والاسماء الكوردية واستمرت الأحكام العرفية حتى ١٩٤٦.

اِن الاجراءات القمعية ضد شعب أعزل كانت كفيلة بأسكات أية أنشطة قومية كوردية لمدة ٣٠ عاماً. القسم الاكبر من كوردستان أناضول اصبح منطقة عسكرية ظاهرياً بسبب قربها من الحدود مع روسيا ولكن السبب الحقيقي هو حظرها على سكانها لتمردهم على الدولة. وبين ١٩٢٥ و ١٩٣٨ تم ترحيل ما يقرب من مليون شخص بينهم اغوات وشيوخ كانوا رمز تضامن وقوة الكورد. كما تم تجنيد الشباب من الكورد في الجيش حيث يمكن صهرهم. وبدا الامركما لو أن الكورد ارتضوا لأنفسهم

الصهر والقبول به على أنه امر حتمي لامفرمنه.

هدأت الامـور والاحـوال نسـبـيـاً للكورد فـي ١٩٥٠ وذلك بعـد أجـراء انتـخـابات برلمانيـة حـرة لأول مـرة والتي بموجـبـهـا اكـتـسح الحـزب الديموقـراطـي البـرلمان وتولى مـقـاليـد السلطة كـرد فـعل على ٢٥ سنة من الحكم الفاشستي الاستبدادي الكمالي. لبغضهم للنظام القمعي الكمالي صوت الكورد بشكل كبير لصالح الحزب الديموقراطي وكوفؤوا على ذلك باعادة الاغوات والشيوخ الى مناطقهم واعيدت اليـهم ممتلكاتهم التي قد صودرت. واكتسب الاغوات والشيوخ وملاكوا الاراضي العائدون أهمية جديدة تمثلت في كونهم قادرين على حشد الاصوات للحكومة وعلى تقديم بعض الخدمات للكورد. أُنتخب عدد من الكورد في البرلمان واصبح عدد منهم وزراء. وأخذت الطرق المعبدة والمستشفيات والمدارس تظهر في المنطقة. اِن البرجوازية الكوردية التي بدأت بالظهور هي من نتاج القيادات التقليدية واحتضنت فلسفة جديدة أطلق عليها "دوغوجولوك" وتعني "الشرقية" ودعت الى احداث تطوير اقتصادي في المنطقة الشرقية المهملة. وفي جزء منها كانت هذه الفلسفة من وحي نشاط كوردي في أماكن اخرى مثل العراق وبسبب استقبال الاناضول الشرقية للاذاعات التي تبثُ باللغة الكوردية من دول مجاورة لتركيا. كان انصار هذه الفلسفة حريصين على العمل من خلال التركية وتجنب الاشارة الى الكورد و كوردستان مع علم الجميع بنواياهم وما يرمون اليه، تم القاء القبض على ٥٠ كوردي من نشطاء الحركة. اِن للتحرر في الحزب الديمقراطي حدود بالنسبة للكورد.

بعـد انقـلاب ١٩٦٠ الذي جـاء رداً على مـحـاولات مندرس بخنق المعارضة البرلمانية تنفس الكورد الصعداء بمجيء دستور جديد في ١٩٦١ ولكن بعد أن تم ترحيل الألوف من المنشقين والمعارضين من قبل

الجيش. لقد سمح الدستور الجديد بحرية التعبير والصحافة وتأسيس الاتحادات. اصبح بامكان الكورد التعبير عن أنفسهم من خلال المؤسسات والتنظيمات والمطبوعات التركية وهم يكتبون بالتركية وحتى بالكوردية عن التأريخ والتراث وعن المشاكل الاقتصادية في المنطقة الشرقية رغم تعريض الكتاب أنفسهم للاعتقال والسجن بسبب ارائهم.

لقد كانت هنالك عناصر للتطور كدولة عصرية لم يستطع النظام التعامل معها بيسر. إن نفي الدولة للكثيرين من الكورد لأسباب انتمائهم العائلي او الاتجاه الفكري والطموح السياسي أو جد مجموعة سكانية مدنية منتشرة في كل المدن التركية يصعب التعامل معها. ومع نمو المدن التركية كان هنالك نمو موازي له في طبقة البروليتاريا التي شكل الكورد فيها نسبة عالية بسبب نزوح اعداد كبيرة منهم من الشرق لعدم توفر فرص العمل فيه. كان من شبه المستحيل لهولاء الذين اصبحوا يعدون بالملايين أن يبقوا معزولين عن محيطهم الخارجي والاطلاع على اليقظة الكوردية في اماكن اخرى من العالم.

إن حزباً كوردياً سرياً هو الحزب الديموقراطي الكوردستاني (K D P) كان قد تأسس في ١٩٦٥ على نهج الحزبي الديموقراطي الكوردستاني العراقي (K DPI) ومتضامناً مع حركة البارزاني. وانصار الحزب كانوا من ذوي النظرة التقليدية كما كان الحال مع انصار البارزاني. على النقيض من اليساريين الذين يدعون الى المساواة في الحقوق في إطار الدولة الواحدة كان K D P I ذا نزعة إنفصالية. بدأ عدد من اليساريين الترك الاهتمام بالمشكلة التي أهملتها الانظمة المتعاقبة وحجبتها عن انظار الشعب. رحب حزب العمال التركي بالمثقفين الكورد في صفوفه وبدأ بطرح المشكلة الكوردية وفتح الحزب له فروعاً في مدن كوردستان.

واصبح في مقدور الكورد مثل الترك المشاركة في الحياة السياسية طالما بقوا ملتزمين بالهوية التركية.

دخل عدد من كورد المنطقه الشرقية مجلس النواب ولكن وجب عليهم أخذ الحيطه والحذر. كما أن عليهم الانتماء الى حزب تركي لأن تشكيل اي حزب كوردي هو أمر محظور. عندما كان نائب دياربكر في الستينيات والذي هو كوردي وأحد مؤسسي تركيا المعاصرة وزيراً للصحة قام بانشاء مستشفيات ومراكز صحية فاق عددها اعداد تلك المستشفيات والمراكز الصحية التي اسستها الادارات السابقة مجتمعة في المنطقة الكوردية. ولكنه اجبر على تقديم الاستقالة لاتهامه بالروح الاقليمية والنزعة القومية الكوردية. وفي نيسان من عام ١٩٧٩ أثار نائب ولاية ماردين ضجة لأنه صرح علناً بأنه كوردي وأنه يوجد كورد في تركيا. كان هذا النائب وزيراً سابقاً للاشغال في حكومة أجاويد. وجهت اليه تهمة الاساءة الى الوحدة التركية وحوكم امام محكمة عسكرية ودخل السجن لمدة سنتين مع الأشغال الشاقة.

عندما قوي جانب الجماعات الكوردية اليسارية وتمكنت من استقطاب جماهير واسعة اليها كثّفت الحكومة جهودها لاخماد نشاط هؤلاء السياسي والثقافي على حد سواء. منعت السلطات عدداً من الجرائد والمجلات التي ظهرت في الستينيات باللغتين التركية والكوردية من الصدور بمرسوم من حكومة ديميريل في كانون الثاني ١٩٦٧ وجرى إعتقال محرري تلكم الجرائد. ومع اشتداد الأساليب القمعية منذ ١٩٦٧ وما بعدها اخذت فرق الكوماندوز التركية تجوب المنطقة الكوردية وتفتش القرى والبيوت وتنشر الرعب بين الاهالي بأساليبها التعذيبية المخيفة. في هذا الوقت بدأ الطلاب والنشطاء وخاصة هؤلاء الذين على علاقة بحزب

العمال التركي بتنظيم مظاهرات حاشدة في الثالث من اب ١٩٦٧ خرج نحو ١٠,٠٠٠ متظاهر في سيلفان ونحو ٢٥,٠٠٠ في ديار بكر.

في مشهد يعتبر الاول من نوعه للاعراب عن الغضب الكوردي خلال ٣٠ عاماً. أطارت هذه المظاهرات الصواب من رؤوس المسؤولين وجعلتها أشد قسوة وهمجية وخاصة في منطقة باتمان و سيلفان حيث حقول النفط.

لقد كان للقلق التركي مبرراته. ففي ١٩٦٩ تأسست منظمه ثورية في انقرة اولاً ثم في اسطنبول والمدن الشرقية الكوردية الاخرى واقامت لها مراكزاً ثقافية ثورية. كان العديد من زعمائها اعضاءً من حزب العمال التركي. إن تزايد المجموعات اليسارية وخاصة في كوردستان ادى الى مواجهات عنيفة بينها وبين اليمين المتطرف الذي كان يتمتع بدعم السلطان لها. اصبحت الاغتيالات مشهداً مألوفاً. في هذا الوقت غير حزب العمال من موقفه تجاه المسألة الكوردية. في تشرين الاول ١٩٧٠ اصبح اول حزب يعترف بنضال الشعب الكوردي غير أن هذا الاعتراف لم يرق الى درجة الاعتراف له بحكم ذاتي. إن هذا الاعتراف من الحزب بالحقوق الكوردية دفع بالحكومة الى منع الحزب من النشاط.

الفصل الرابع

الكورد في تركيا والقمع في السبعينيات والثمانينيات

في اذار من عام ١٩٧١ أطاح الجيش التركي بحكومة ديميرل. اعقب الانقلاب اعتقال الالوف في كل تركيا وخاصة في الشرق تحت ذريعة أن الكورد يخططون لانتفاضة ونقلت وسائل الاعلام انباءً عن حالات للقتل والتعذيب. أتهم الكثيرون بالانتماء الى الحزب الديموقراطي الكوردستاني أو الى التنظيم الثوري للشباب (DDKO) الذي هو الاخر كان محظوراً. واستمر قمع الشعب الكوردي طوال السبعينيات ولم تتوقف المواجهات بين اليمينيين واليساريين بل انها ازدادت شدة واتساعاً لتطال العاملين في الحكومة و الشرطة والجيش ورجال القضاء.

وتم القضاء على حالة التردي والضعف الأمني باعلان الاحكام العرفية في ١٩٧٩ في المنطقة الكوردية والعودة الى الاجراءات القمعية.

وبرروّا اعلان الاحكام العرفية بسيطرة القوات الكوردية "بشمركة"على مناطق من كوردستان واعلانها منطقه محررّة وكان هنالك سببُ اخر تنامي الشعور القومي بين الكورد وحيث اصبحت دياربكر مركزاً لنشاط هذه الحركة وكما يوصفها الرئيس التركي. ليس هنالك مكان لمناطق محررة وانشطة داعية للطائفية والقومية واختلافات لغوية. ستقوم الحكومة بالقضاء على هذه الآفة وستقطع الرؤوس.

في السنوات التي تلت ذلك تم اخماد الجماعات السياسية في المدن بسهولة اكثر من الجماعات الريفية. وفي ايلول ١٩٧٩ اوردت جريدة "حرية" التركية أن ٥٠٠٠ كوردي تركي قد تم تجنيدهم للقتال الى جانب كورد ايران. ومع أن الحكومة نفت هذه الأخبار ولكن هذا التقرير جاء على اثر تعرف الجيش التركي لشحنة من الاسلحة كانت متجهة الى كورد ايران على النقيض من الحكومتين العراقية والايرانية تعترفان بوجود قومية مميزة للكورد (من دون أن يضمن هذا الاعتراف تثبيت أية حقوق) فان الحكومة التركية لن تسمح بأي نوع من الاتصالات بين كورد تركيا وبين الكورد في الخارج لأن من شأن ذلك اذكاء المشاعر القومية داخل تركيا. وحتى في حالة نشوب نزا ع بين تركيا واحد جيرانها فان الحكومة التركية تتصرف بحذر شديد قبل أن تقدم على اللعب بالورقة الكوردية وفي هذا الصدد فهي تختلف عن جارتيها العراق وايران في هذه النظرة.

في ايلول ١٩٨٠ وكما حدث في ١٩٦٠ و ١٩٧١ قام عدد من جنرالات الجيش بانقلاب عسكري واوضحوا بانهم لن يتحملوا أي تعبير للحركة الكوردية أو الهوية الكوردية. والحقيقة أن اول خطابات الجنرال إيفرن ورئيس الوزراء أولوسو كان في كوردستان.

وظهر عدد كبير من المقالات في الصحف التركية وكلها تؤكد أن الكورد هم ترك انحدروا من قبائل تركية تقطن أسيا الوسطى والى هذه القبائل يعود أصل الشعب التركي.

تم التشديد على الكورد اكثر من ذي قبل وحدثت هجمات على القرى والبيوت من قبل الجيش وجرى اعتقال عشرات الالوف من النشطاء الكورد ومن اليساريين ايضاً وجرى التحقيق معهم تحت التعذيب. وتبين أن ١/٢ من اعتقل من المدنين هم من الكورد.

PKK والحكومة ١٩٧٩- ١٩٨٨

في هذا الوقت دخل الصراع مع القوميين الكورد المسلحين مرحلة جديدة تميزت بظهور حزب العمال الكوردستاني PKK. كان PKK في ساحة العمليات منذ السبعينات. تأسّس الحزب على ايدي مجموعة من الطلاب المتذمرين يتزعمهم عبدالله اوجلان.

اِنه مؤلف من أُناس كانوا مهمشين في المجتمع الكوردي وحُرمّوا من كل تقدم اقتصادي واجتماعي. اعتقد هؤلاء أن الاحزاب الاخرى الكوردية قد ساومت على المسألة الكوردية وأنه لاخلاص للشعب الكوردي اِلا بالنصر المؤزر وتحقيق الاستقلال في ظل دولة اشتراكية.

لقد ادركت الحكومة التركية بأن PKK هو الخطر الاعظم على الامن التركي وكانت متشددة جداً مع اعضاء PKK الذين يقعون في ايديها. وبحلول عام ١٩٨٥ كانت الحكومة قد أُصدرت ٦٠٠ حكماً بالاعدام في محاكمات جماعية. أما على الصعيد العسكري فقد قامت بعسكرة المنطقة الجنوبية والجنوبية الشرقية وتمركزت فرقتان من فرق الجيش الأربع في المنطقة. وفي عام ١٩٩٠ كان عدد القوات المرابطه هنالك يبلغ ١٥٠,٠٠٠ عسكري.

برر الأتراك هذه الاجراءات والتجمعات العسكرية بما في ذلك المنشأت الامريكية وتلك التي هي تابعة لحلف شمال الاطلسي NATU بكون المنطقة حساسة لقربها من الحدود السوفينية وايران وللاستقرار الهش الذي يسود منطقة الجبال الممتدة حتى افغانستان. في الحقيقة كانت الحركة التحررية الكوردية تعتبر التهديد الاعظم. باستثناء مشاركتها القصيرة في الحرب الكوردية وفي قبرص عام ١٩٧٤ فان خبرة الجيش التركي

القتالية منذ تأسيس الجمهورية انحصرت في مواجهة حرب العصابات الكوردية.

لم يكن لعودة الحكم المدني بزعامة توركوت اوزال في ١٩٨٤ أي تأثير فوري على الصراع بين الحكومة والكورد. في آب ١٩٨٤ بدأت مرحلة جديدة إتسمت بخطورة اكبر عندما قام PKK بمهاجمة مراكز المدن في إرو وفي شمدينان وقتل في هذه الهجمات ٢٤ جندياً وتسعة مدنيين.

وفي أيلول قُتل ١٢ جندياً اخراً. وردت قوات الامن على ذلك باعتقال ١٠٠٠ مشتبهٍ به. استمرت هذه الهجمات وهي تخف في الخريف كل سنة عندما يمنع تساقط الثلوج وتحد من الحركة في المنطقه الجبلية في الجنوب الشرقي ولكن لتبدأ من جديد مع قدوم الربيع موسم ذوبان الثلوج.

لغرض احتواء هذا التحدي الجديد الخطير عمدت السلطات الى اتخاذ جملة من الاجراءات في غاية الشدة ضد PKK. بعد كل عملية يقوم بها PKK تشن السلطات حملة اعتقالات جماعية السكان الكورد في الجنوب الشرقي من اناضول عاشوا في رعب مستمر من القوات التركية منذ تأسيس الجمهورية ولكن عهداً جديداً للارهاب بدأ الان. حدثت الاعتقالات بالجملة وبات الضرب والتعذيبُ اموراً مألوفة لدى الكورد. القوات تطوق القرى ويفصل الرجال ويؤخذون للتحقيق معهم.

واصبح التعذيب البدني والفكري اموراً روتينية وبدأ الاهالي يعيشون فترة من الرعب اعتاد معها الاطفال على رفع ايديهم فوق رؤوسهم كلما دخلت قوة عسكرية الى القرية والمنازل لتفتيشها.

واتخذت السلطات خطوات لغلق الحدود مع سوريا والعراق. في ١٩٨٤

دارت اشاعات بأن الحكومة تزمع عمل منطقة لإطلاق النار بشكل حر بعرض ٢٤ كم٢ وذلك باجلاء القرى من هذه المنطقه بشكل اجباري. ولكن لخوفها من تنديد عالمي نبذت الفكرة هذه ولجأت الى خلق المشاكل امام سكان هذه القرى من اجل حملهم على ترك قراهم بأنفسهم، بالاضافة الى ذلك بدأت عملية بناء سياج وزرعت الالغام على طول الحدود لمنع التسلل. ومع أن هذه الاجراءات قللت من عمليات التسلل الا انها لم تستطع منعها بشكل تام.

وتفاوضت حكومة انقرة مع بغداد على اتفاقية تسمح للاولى بمطاردة المقاتلين الكورد الى داخل الاراضي العراقية. وفي مايس ١٩٨٣ قامت القوات التركية بهجوم على مواقع المقاتلين عبر الحدود واستخدمت في هجومها المروحيات العسكرية والمدفعية لمساندة القوات البرية المهاجمة وانتهت الحملة بالقبض على ٢٠٠٠ شخص تبين بعد ذلك بأن جلّهم كانوا من الكورد المدنيين العراقيين.

وبعد هجوم ناجح للمقاتلين الكورد على مواقع الجندرمة في تموز ١٩٨٦ في "ألودري" ردت القوات التركية بالهجوم على مراكز الحزب الديمقراطي الكوردستاني العراقي ومواقع لحزب PKK داخل العراق. وكما يبدو فان الهجوم على مواقع KDP كان متعمداً. وفي اذار ١٩٨٧ حدث اجتياح اخر كبير قصفت فيه الطائرات الحربية التركية ثلاث معسكرات كوردية في شمال العراق.

وادعت تركيا بأن هذه المعسكرات تعود الى PKK بينما تقول مصادر الحزب الديموقراطي الكوردستاني العراقي بأن الضحاياهم من الكورد العراقيين.

هذه الهجات والاجتياحات كانت نافعة للطرفين التركي والعراقي على

السواء، فالعراق الذي كان يخوض حرباً ضروساً مع ايران لم يكن في وضع يمكّنه تقديم قطعات عسكرية كافية لحماية حدوده الشمالية. وتبين للحزب الديمقراطي الكوردستاني أن انقرة ليست مهتمة ببذل جهود ضرورية للتميز بين مقاتلي KDP وبين مقاتلي PKK. انِ لبغداد وأنقرة مصلحة مشتركة في ضرب الثوار الكورد اينما كانوا بشدة.

وبعد شهرين على الاجتياح التركي ١٩٨٣ وقّع كل من KDP العراقي و PKK اتفاقاً يتعهد الطرفان على أن لايقدم أي طرف منهما على عمل شيء من شأنه يسببُ الاذى للطرف الآخر وفي نهاية ١٩٨٧ قطع KDP علاقاته مع PKK لا بسبب الغارات التركية ولكن لعدم رضاه عن اسلوب PKK العنيف في التعامل مع المدنيين.

انِ PKK بأساليبه العنيفة هذه خلق مشاعراً متضاربة بين الكورد. وأدتّ الى نفور وابتعاد الكورد القرويين عنه. انِ هجماته على المتعاونين مع الحكومة وخصوصاً منهم كبار الملاكين وعلى الاغوات الذين ترتبط مصالحهم بالحكومة أصابت الناس بالصدمة الشديدة بسبب قسوة وهمجية تلكم الهجمات حيث ابيدت عوائل بكاملها في هذه الهجمات.

بصرف النظر عن الجنس او العمر. فمثلاً في تموز ١٩٨٧ هاجم عناصر من PKK قرية "بنارسك" وقتلت ٣١ شخصاً وكان بين هؤلاء ١٩ طفلاً. يدخل مقاتلوPKK القرى ويطلبون من القرويين تقديم الطعام والمأوى ومعلومات عن تحرك القطعات العسكرية.

وجد القرويون أنفسهم في مأزق صعب فهم مهددون من كلا الطرفين بانتقام شديد انِ هم تعاونوا مع الطرف الاخر. اثار الصراع حنق السكان ومن غير المحتمل أن تنجح انقرة في كسب ود الاهالي مالم تغير من اسلوبها في التعامل معهم. ولكن انقرة غير قادرة على فعل ذلك فهي

عندما تخفف الأحكام العرفية في اربع ولايات تفرضها في ذات الوقت على ثمان ولايات اخرى الكورد فيها الاغلبية وتمنح الحاكم العام صلاحيات واسعة بما فيها السيطرة على الاجهزة الامنية واخلاء السكان من قراهم والاشراف على المحاكم المدنية.

وفي التطبيق العملي فانه أدى الى تعطل الحكم المدني والعودة الى قانون الاحكام العسكرية. اِن بعثة لتقصي الحقائق شكلها الحزب الديموقراطي الاشتراكي الشعبي SHP وهو الحزب المعارض الرئيس ذكرت في تقريرها بأن مناطق شرقي تركيا برمتها أصبحت معسكرات اعتقال حيث الجميع مشتبه بهم والتعذيب والاهانة هما القانون فيها. ايدت منظمة العفو الدولية هذه المزاعم التي وردت في التقرير.

أما بالنسبة للمدنيين فان الظروف المعيشية الصعبة والخضوع المذل لأصحاب الارض وانعدام الامل في المستقبل ناهيك عن همجية اساليب الجيش كلها كانت كفيلة برفد PKK بجيش من الشبان العاطلين عن العمل، فامتلأت صفوف PKK لا بالشبان فحسب بل و بالشابات ايضاً الامر الذي سجل تطوراً جديداً في الحركة القومية المسلحة.

من الخطأ الزعم أن الكورد جميعهم مؤيدون لحزب PKK. اِن عدداً لايُستهان به وربما اكثر من ٥٠٪ بقي على الحياد او معادياً له. ولم تجد الحكومة صعوبة في ايجاد ملاكين وأغوات لتشكيل ميليشيات حماية القرى منذ ١٩٨٤ وبعدها. و هؤلاء يتمتعون بالحصانة القانونية تجاه الاعمال التي يقومون بها مثلما كان الامر أيام ميليشيات الحميدية نحو قرن مضى و كأن التأريخ يعيد نفسه من جديد. ولغرض تعبئة هؤلاء الأغوات لعبت الدولة على وتر النزاعات العشائرية و العائلية في المناطق المختلفة مثلما تفعله الأنظمة العراقية ومنذ سنوات طويلة. في كثير من

المناطق كانت احدى العائلات تؤيد الحكومة بينما تجد اخرى متعاطفة مع PKK وهي علامات جديدة لنزاعات محلية قديمة. بحلول عام ١٩٩٠ قدر عدد هذه المليشيات بحوالي ٢٤,٠٠٠ رجل.

في بعض الحالات القرويون يُجبرون على الانخراط في هذه المليشيات وفي حالات أخرى كان القرويون الذين يرفضون الاشتراك في هذه المليشيات يُرحلون ويتم اسكانهم في مناطق اخرى. الترهيب اصبح العملة الرائجة. كما أن PKK هو الاخر كان يتخذ من الارهاب وسيلة للحصول على الرجال.

هجرة اللاجئين في ١٩٨٨- ١٩٩٠

اِن عام ١٩٨٨ كان عاماً مهماً في تأريخ النضال الكوردي في تركيا. إتسع نطاق التمرد الذي يقوده PKK وارتفع عدد الاصابات. قام PKK بشن هجمات انتقامية على القرى وقتل ٢٧ قروياً و جرت اِبادة عائلات بكاملها واستطاع أن يعيد علاقاته مع كورد العراق من خلال تحالف أُقيم مع PUK بزعامة جلال الطالباني في مايس ١٩٨٨.

وعقد تحالفات مع الجماعات التركية اليسارية وعلى الاخص مع اليسار الثوري (Dev sol). ولكن في نهاية ١٩٩٨ قرر PKK وقف هجماته على المدنيين.

اتخذت الحكومة اجراءات مضادة. في شباط سعى توركوت اوزال الى تعاون ايراني لوضع حد للتسلل عبر الحدود وصدر تصريح رسمي بأن تسلل PKK ليس فقط عبر الحدود الجنوبية بل وايضاً عبر الحدود الشرقية. وفي نفس الشهر تم إحلال الجيش محل الجندرمة على امتداد الحدود السورية والعراقية. وفي حزيران أصدرت الحكومة المرسوم ٢٨٥

الذي يخول الحاكم الاقليمي بابعاد السكان من مناطقهم. وفي نفس الوقت وجُهت تهمة محاولة اضعاف الوحدة القومية الى الصحفي الذي اجرى مقابلة مع عبدالله اوجلان في لبنان.

وتفاقمت حدة الجدال حول المسألة الكوردية ايضاً خارج اطار الدولة. تشرذم الحزب الديموقراطي الاشتراكي الشعبي حول المسألة الكوردية اذ تمسك بعض الاعضاء بمبادئ اتاتورك في حين دعى اخرون في الحزب وعلى الاخص اولئك الذين جاؤوا من الشرق الى تفهم اكثر لحكم ذاتي. وفي النصف الثاني من عام ١٩٨٨ أرتفع عدد الاصابات في الاشتباكات المسلحة الى مستويات جديدة حيث بلغ عدد القتلى بين القوات الامنية والمدنين الى ٣٠٠ شخص في غضون ٣ أشهر.

لقد شكلت هزيمة كورد العراق في اب ١٩٨٨ تحدياً جديداً للحكومة التركية حيث حاول ٦٠,٠٠٠ كوردي اللجوء الى تركيا في مناطق ينشط فيها PKK لم ترغب الحكومة اذكاء الشعور القومي لدى الكورد في تركيا من خلال إحتكاكهم بكورد العراق. وظهرت بوادر أول انفتاح عندما طالب المندوبون الكورد في البرلمان بالاعتراف باللغة والتراث الكوردي. ولكن الرأي العام في تركيا بقي معادياً ازاء أية تنازلات للكورد.

ومن جهة أخرى كان توركوت اوزال متلهفاً لخلق شعور ودي له بين الكورد لضمان التأييد له. أما على المدى البعيد فان امال اوزال في تقليص نفوذ العسكر تعتمد على مدى نجاحه في كسب المواطنين الكورد الى جانبه. اما فيما يخص علاقات تركيا الخارجية فان اوزال يعلم جيداً أن إنضمام تركيا الى الاتحاد الاوروبي متوقف على سجلها في مضمار حقوق الانسان وخاصة فيما يتعلق بالكورد فيها. الآن الفرصة مواتية لاظهار الجانب الانساني للنظام. كما أن اوزال يعلم علم اليقين أن

الطريقة الوحيدة لمنع الكورد الفارين من صدام حسين من دخول تركيا هي باطلاق النار عليهم وهذا اجراء من شأنه الاضرار بعلاقات تركيا مع حلفائها في الناتو.

عالجت الحكومة التركية أزمة اللاجئين العراقيين بذكاء حيث أقامت لهم المخيمات وسمحت للصحفيين بالدخول اليها كي يطلعوا بأنفسهم على كيفية تعامل الحكومة معهم. ولكنها حرصت على منع العاملين في المنظمات الدولية للاغاثة من دخول المخيمات ورفضت أضفاء صفة لاجئ على الفارين من العراق وأصرّت على التعامل معهم بوحدها وبشكل مباشر من خلال الهلال الاحمر التركية وفي نفس الوقت أهابت بالمجتمع الدولي بتقديم المعونة المادية والنقدية. كان بين الفارين العديد ممن تعرض للهجمات بالغازات الكيمياوية ولكن تركيا رفضت التعليق على هذا الموضوع وأدّعت أن لاوجود لاعراض الاصابة بالمواد الكيماوية على اللاجئين اِن الدافع لمثل هذل السلوك من تركيا واضح فقد أغضبت تركيا بقبولها الكورد على أراضيها السلطات العراقية. وتركيا في نفس الوقت متلهفة للمشاركة في التعامل التجاري المتزايد مع العراق وكذلك المساهمة في حملة اعادة اعمار العراق التي تقدر بحوالي ٥٠ مليار دولار.

وعندما بدأ الاهتمام الدولي بالمسألة الكوردية يتضاءل بدأت تركيا في اواخر أيلول جملة من الاجراءات لاحتواء المسألة الكوردية العراقية. لقد توصلت من حيث المبدأ الى اتفاق مع ايران تقبل الاخيرة بموجبه استقبال عدد من هؤلاء اللاجئين ولكنها بدأت ومن جانب واحد بدفع نحو ٢٠,٠٠٠ لاجئ من اراضيها عبر الحدود الى ايران قبل أن تستطيع الاخيرة منع حدوث ذلك. أما الباقون وعددهم نحو ٣٥,٠٠٠ فقد بدأت

بنقلهم الى اماكن بعيدة من الحدود لا تتوفر فيها الوسائل الصحية والتدفئة في موش و دياربكر وماردين،

وأحكمت طوقاً أمنياً حولها ومنعت المراسلين من الدخول اليها وكذلك فعلت مع عمال الاغاثة. لقد كان برد الأناضول شديداً على اللاجئين وخاصة على الأطفال والمسنين فازداد عدد الوفيات والحالات المرضية.

ويبدو أن تركيا خرجت من مأزق اللاجئين سالمة لم يصبها أي اذى. ولكن من دون أدنى شك أن وجود اللاجئين أو قد في كورد تركيا جذوة الشعور القومي. فقد شعر الكثيرون من كورد تركيا أن الواجب القومي يحتم عليهم تقديم المساعدة وبين اللاجئين من يرتبط بهم بصلة القربى. كما أن رؤية الكورد العراقيين وهم يتجولون في شوارع دياربكر وأسواقها. بزيهم الكوردي التقليدي كانت تذكيراً لهم بالهوية القومية.

في ١٩٨٩ اشتدت المقاومة بشكل اكبر. في كانون الثاني وفي منطقه الجزيرة قام الجنود بجمع القرويين واجبروهم على الانبطاح على الارض وداسوا عليهم بالاقدام وعلم من بعض المصادر أن عدداً من هؤلاء القرويين أُجبروا على تناول الغائط.

اِن الذي حدث في منطقه الجزيرة لم يكن شيئاً إستثنائياً فحسب اقوال بعض اعضاء الحزب الديموقراطي الاشتراكي أنه ومنذ كانون الثاني كان يتم جمع المئات من القرويين في حملات مشابهة لحملة الجزيرة لغرض الكشف عن اعضاء من PKK. ويعتقد الدبلوماسيون الغربيون في أنقرة أن هذه المعاملة الوحشية منتشرة على نطاق واسع في الجنوب الشرقي من تركيا.

وبعد مضي اسبوع على هذه الحادثة اوردت احدى الصحف التركية الاسبوعية (دوغرو) اكتشاف مقبرة جماعية تحوي بقايا عدد من

الأشخاص في منطقه جمع القمامة على ضفاف نهر "القصاب" خارج مدينة سيرت. وقالت الصحيفة أن القبر يحتوي على رفات ٦٧ كوردياً مفقوداً ولو أن عدد المفقودين منهم هو ٣٠٠ وليس ٦٧. قامت الحكومة باجراء تحقيق غير دقيق اذ ليس من المعقول أن تعترف الحكومة بشيء يسبب لها الاحراج أمام العالم. وفي حزيران جرى اكتشاف قبرين اخرين. وفي أيلول أدى قتل ستة مدنين على ايدي رجال الامن الى خروج مظاهرات في صلوبي وحدث اعتداء على المراسلين الذين كانوا ينقلون انباء المظاهرة.

وتحولت القضية الكوردية الى قضية داخلية ساخنة. في تشرين الاول تم عقد ندوة دولية حول المسألة الكوردية في باريس وحضرها سبعة من اعضاء الحزب الديموقراطي الاشتراكي (SHP). وعند عودتهم الى البلاد فوجئوا بطردهم من الحزب. ولكن وبسبب الحصانة البرلمانية التي يتمتعون بها فانهم لم يُقدموا للمحاكمة. وتسبب طردهم من الحزب حدوث عدة حالات من الاستقالة على المستويين المركزي والمحلي. وأسس هؤلاء حزباً جديداً سمي بحزب "العمل الشعبي". وحتى داخل الحزب الحاكم "الوطن الام" حدث نوع من التوتر بين الاقلية الليبرالية المؤمنة بمناقشة المسألة الكوردية وبين الاغلبية الرافضة للعملية هذه.

الفصل الخامس

كورد تركيا

التسعينيات وما بعدها

في عام ١٩٩٠ أصبحت المسألة الكوردية على رأس المسائل السياسية التي استأثرت بالاهتمام من قبل جميع الاوساط السياسية والحكومية. قُتل العشرات في هجمات لحزب PKK الربيع وتم حرق ٤٤ مدرسة. وفي اذار خرجت عدة مظاهرات شعبية في نصيبين والجزيرة حيث اطلقت الشرطة النار على المتظاهرين وقتلت أربعة منهم. جاءت هذه المظاهرات أثناء مراسيم تشييع عدد من مقاتلي PKK، في الماضي كانت العوائل تخشى المطالبة بجثث المقتولين ولكنها اليوم تفتخر أن يكون لديها شهيد في العائلة. فرضت السلطات منع التجول على ١١ مدينة وبلدة في ماردين وسيرت. ووصف PKK هذه المظاهرات على انها انتفاضة وهي تبالغ في أهميتها حيث انها لم تتواصل على نمط الانتفاضات الفلسطينية.

ومع تدهور الحالة الأمنية عمدت الحكومة الى اتخاذ اجراءات هي في غاية الصرامة في نيسان ١٩٩٠. فالمرسوم ٤١٣ يمنح حاكم المنطقه الكوردية صلاحيات واسعة حيث يرفع توصياته الى وزير الداخلية حول غلق دور النشر التي في رأيه تنشر أنباءً غير دقيقة عن الاحداث أو اقتراحاته حول اعادة أسكان الاشخاص الذين يرى فيهم خطورة على

أمن البلاد في مناطق أخرى يعينها وزير الداخلية. أما القائمون على تنفيذ القرار فيتمتعون بالحصانة التامة تجاه أعمالهم أحدث المرسوم استياءً في الاوساط الصحفية وعندما قدم SHP اعتراضاً لدى المحكمة الدستورية قامت الحكومة بصياغة المرسوم مجدداً وأرفقته بمرسوم اخر حمل رقم ٤٢٤.

استخدمت القوات الأمنية المرسوم الجديد في الحال لكمّ الأفواه وتهجيرالوف القرويين من مناطق هكاري و بوتان و وان وسيرت. إما في المنطقة الجبلية فقد قامت قوات خاصة خبيرة في مكافحة العصابات بملاحقه رجال المقاومة والقضاء عليهم.

أما الذين يُلقى القبض عليهم من عناصر PKK القليلي الخبرة في القتال فان العملية كانت تُصور أن القدامى في PKK سبق وأن تم القضاء عليهم ومهما حدث فان PKK لم يكن يعاني نقصاً في الرجال ابداً وكان يستعمل اعداداً كبيرة من الشبان بحيث لم يستطع القيام بتدريبهم تدريباً جيداً الأمر الذي سهل وقوع البعض منهم با يدي السلطات الحكومية.

اذا كانت القوات الأمنية كسبت المعركة في الجبل فانها بالمقابل خسرت قلوب أهل المدن وتأييدهم من الكورد. استمر الشعور القومي لدى الكورد بالنمو. وما حدث في الجزيره و نصيبين في ١٩٩٠ تكرر في اذار ١٩٩١ في كل من شرنخ وعديل والجزيرة وميديات ومناطق أخرى. وفي عيد نوروز ٢١ اذاز امتدت المظاهرات الى خارج كوردستان لتصل اسطنبول وأزمير وأضنة.

وفي تموز ١٩٩١ جرى اغتيال عدد من الكورد البارزين وأبرز هذه الاغتيالات كانت عملية إغتيال رئيس حزب العمل الشعبي (HEP) على

ايدي متطرفين يمينين معادين للكورد. وفي اليوم الثاني قتل رجال الامن ثلاثة وجرحوا اكثر من ١٠٠ متظاهر في مدينة دياربكر عندما خرج نحو ٢٠,٠٠٠ محتج الى شوارع المدينة.

وتسارع الشعور القومي بالنمو بسبب أزمة اللاجئين على الحدود عند نهاية اذار وبسبب الاستياء الشعبي تجاه رفض الحكومة معالجة الازمة بشكل إنساني وفي الحقيقة جاء القسم الاعظم من المعونة التي قدمتها الحكومة الى اللاجئين من الكورد في الجنوب الشرقي من تركيا.

وفي اذار ١٩٩١ ازداد نشاط PKK العسكري وأخذ بنصب الكمائن لقوات الامن على الطرق والأماكن القريبة من المدن. ويبدو أن سياسة اخلاء المناطق من اهلها أتت بنتائج عكسية إذ انها ساهمت في انتشار الشعور القومي وتأجيجه بدلاً من احتواء عدوى الانفصال. وكلما جرت عملية اسكان الساخطين على الحكومة كلما ازدادت فرص pkk في الحصول على المؤن الغذائية والتجهيزات وعلى المعلومات حول تحرك قطعات الجيش.

أن غزو صدام للكويت في الثاني من أب ١٩٩٠ خلق مشاكل كبيرة لتركيا بخصوص الكورد فيها. إن تعاون تركيا مع الولايات المتحدة كان مشروطاً بعدم السماح بقيام كيان كوردي في شمال العراق في حالة سقوط بغداد وظهرت من جديد نواياها حيال ولاية الموصل.

إن الضغوط الداخلية والخارجية خلقت نوعاً من التحرك في مسلك الحكومة تجاه الكورد في تركيا، في شهر شباط قدمت مسودة قانون إلى الجمعية الوطنية تتضمن افكاراً حول رفع بعض القيود على استخدام اللغة الكوردية. كانت هذه فكرة اوزال واثارت موجة من الاحتجاج لا في صفوف حزبه فحسب بل وايضاً من (SHP) لأن ذلك يعني الابتعاد عن

مبادئ اتاتورك. في الحقيقة إن سحب القانون ٢٩٣٢ في نيسان ١٩٩١ سمح فقط باستخدام اللغة الكوردية والأغنية والموسيقى الكوردية ولم يسمح باستعمال الكوردية لاغراض تعليمية او سياسية أو في الطبع والاذاعة.

وتزامناً مع هذا التنازل الرمزي تم سن قانون جديد بالغ الصرامة ضد الارهاب في ١٢ نيسان، وعرّف القانون الجديد الارهاب على أنه أي عمل يُراد به احداث تغيير في خصائص الجمهورية وهذا تعريف اراد به اصحابه الالتفاف حول أية محاولة ديمقراطية من شأنها تلطيف أسلوب الدولة المتشدد، وقبل هذا بشهر كان اوزال قد صرح بأنه قد التقى بقادة كورد عراقيين في وقت كان الكورد على وشك الانشقاق عن بغداد، اثار هذا التصريح موجة احتجاجات لأن هذا الشيء ما هو إلا تطاول لاحد المحرمات في الدولة والذي يحرم أي تدخل في الشؤون الداخلية لدولة جارة وخاصة من طرف الكورد، في ١٩٩١ وردت أنباء عن لقاء بين اوزال وقادة الجيش المغتاظين من لقائه مع جلال الطالباني، حاول اوزال اقناع القادة بضرورة مواجهة المستجدات والواقع السياسي الجديد حتى و إن كان مر المذاق.

إن محاولة ٤٠٠,٠٠٠ كوردي عراقي دخول تركيا بعد إنهيار انتفاضتهم أواخر شهر أذار أعطت زخماً جديداً للمشاعر القومية بين كورد تركيا، إمتعض الكورد وغضبوا من تصرف وتحرك حكومتهم الفاتر إزاء معالجة أزمة اللاجئين وبذلوا هم كل مافي مقدورهم، لمساعدتهم بانفسهم.

وعند منتصف ١٩٩١ شددت الحكومة من اجراءاتها في جنوب شرق تركيا حيث لاقى ٢,٥٠٠ شخص مصرعهم منذ ١٩٨٤ وفي نفس الوقت أبدت نوعاً من المرونة حيال المسألة الكوردية تحت ثقل الضغوطات الداخلية والخارجية.

لقد أصبحت المسألة الكوردية في تركيا موضوعاً داخلياً مهماً وأزداد عدد الترك المنتقدين للأسلوب القديم الذي جرى بموجبه التعامل مع القضية الكوردية من حيث القمع وانكار الحقوق. كانت نقطتان واضحتان اولاهما أن الاساليب القمعية لم تأت إلا بنتائج عكسية وثانيتهما ضرووررة أيجاد بديل مناسب توافق عليه المؤسسة السياسية.

عوامل محددة

إن تطور المسألة القومية داخل كل دولة من دول المنطقة كان وا ضحاً، في تركيا كانت هنالك عوامل معينة وان كانت لها صلة بوضع الكورد في دول أخرى فان تأثيراتها كانت شديدة في الداخل.

التخلف هو الصفة البارزة لكوردستان تركيا، معدل دخل الفرد فيها هو ٢/١ المعدل القومي. البطالة في ١٩٩٠ كانت ضعف المعدل العام البالغ ٢٥٪. الحرمان الاقتصادي كان المحفز الرئيسي لاذكاء روح القومية بين الكورد.

البطالة وخيبة الأمل والشعور بالغبن تجاه الغرب الغني من تركيا أججت الشعور القومي بالاضافة إلى التمييز السياسي الذي يعانون منه اصلاً، ولو أن قدراً من التطور قد حصل في الأونة الاخيرة حيث تم فتح بعض الطرق وأدخلت المكننة إلى الزراعة إلا أن الفجوة لازالت كبيرة بينها وبين الاناضول الغربية، والمحزن في كل هذا أن المكننة الزراعية وفتح الطرق أسرعت في نمو البطالة وفي ازدياد عدد المهاجرين من الريف.

إن مشروع تطوير جنوب شرق الاناضول (GAP) الذي يهدف إلى احداث تطور في مناطق واسعة من كوردستان هو موضع الشك من

حيث مدى استفادة الكورد منه، إن (٢٢) سداً على دجلة والفرات سيزود تركيا بالطاقة الكهربائية وسيسهل في ادخال الزراعة الكثيفة وخاصة في سهل حران ولكن يبقى السؤال من هو المستفيد من المشروع؟

إن طبيعة الملكية تتحدث عن نفسها ٨٠٪ من الفلاحين يملكون ٥٠٪ من الاراضي الزراعية و ٤٠٪ من الفلاحين المالكين للارض هم من المالكين الصغار لحقول تبلغ مساحتها حوالي ٥ هكتارات وهي تكاد لاتسد حاجاتهم المعيشية، والغالبية منهم لايقومون بفلاحة أرضهم إلا باشراف المالكين الكبار، وهم يرزحون تحت عبئ الديون، أما ٤٠٪ الاخرون فهم عمال زراعيون موسميون، إن المشروع سيهدف إلى تنظيم انشطة صغار الملاكين على أسس تعاونية وهذا من شأنه أن يؤدي إلى تخلي صغار الملاكين عن ارضهم، المستفيد من المشروع هم الملاكون الكبار القادرون على دفع اثمان الاسمدة والمكائن الضرورية للزراعة الكثيفة، إن المؤسسة السياسية في أنقرة في الولايات غير متحمسة في تطبيق الاصلاح الزراعي لأن في ذلك عقاب للملاكين الكبار الذين يقومون بتعبئة الأصوات في الانتخابات.

التعليم

إن حقل التعليم هو قطاع آخر ينطق عن عجز الحكومة في تلبية متطلبات الحياة للكورد، إن نسبة القادرين على القراءة والكتابة في ولاية ماردين هي ٤٨٪ إذا قورنت بالمعدل العام البالغ ٧٧٪، ومع أن التعليم الابتدائي الزامي فان نسبة التسرب والمتخلفين عن الالتحاق به عالية. ١٨٪ من الأطفال فقط يلتحقون بالدراسة الثانوية ومن هؤلاء ٩٪ فقط ينهون الدراسة.

الأمر يتطلب مجهوداً اكبر لجر الشعب الكوردي إلى التعليم والمدارس، ادخال التحسينات الضرورية من اجل تحسين مستوى التعليم ودفعه إلى المستوى القومي، ولكن من الصعب جداً تحقيق ذلك مع أطفال يتحدثون الكوردية في بيوتهم ويطلب منهم التعلم بالتركية في المدرسة وحتى في مرحلة الابتدائية، إلى حين زوال هذا الانكار للغة الكوردية فلا يمكن توقع تحسن مستوى التعليم ونوعيته في الجنوب الشرقي للبلاد.

أما الملاحظة الثانية فهي أنه طالما بقي المجتمع الكوردي يعاني من الجهل والأمية فان الانتفاع بمشروع (GAP) يكون ضئيلاً اي بكلمة أخرى إن تحسين اقتصاد الجنوب الشرقي مرهون بالتحرر السياسي وحصول الكورد على الحرية الكاملة في استخدام لغتهم.

إن الهجرة باتت مشكلة اجتماعية، هاجر اكثر من مليون شخص إلى غرب البلاد بين ١٩٥٠ و ١٩٨٠ ولازالت العملية مستمرة، البعض هاجر بمحض اختيارهم بحثاً عن العمل وفرص افضل للمعيشة واخرون اضطروا على ذلك بعد ادخال المكننة الزراعية، في الثمانينات هاجر عدد كبير بسبب مضايقات قوات الامن لهم أو بسبب تدمير قراهم وأراضيهم، والجدير بالذكر أنه في شهري أب وايلول ١٩٩٠ تم تدمير ٢٧ قرية كبيرة و ٨٠ أخرى صغيرة وهاجر سكانها إلى مناطق أخرى.

يقيم نحو ٣ ملايين من أصل ١١مليون كوردي في مدن اسطنبول وأنقرة وإزمير ومدن اخرى، والحقيقة أن اسطنبول اليوم هي اكبر مدينة كوردية على الاطلاق، أن هذه الحقيقة هي ذات مغزى كبير بالنسبة للمؤيدين للمسألة الكوردية، مع أن PKK يحصل على المجندين من القرى فان الكورد المقيمون في المدن لهم دور مركزي في تطوير الفكر السياسي، شاهد هؤلاء بأم أعينهم الفارق الكبير في المستوى

الاقتصادي بين شرق البلاد وغربها، ومع أن الكثيرين من الكورد انخرطوا في الحياة الاجتماعية المدنية فان أقلية بعد أن أجتثت من بيئتها الطبيعية أصبحت متمرسة في السياسة.

لقد انتشرت المسألة الكوردية في كل أرجاء تركيا. إن سياسة الدولة المضادة للتمرد وخاصة سياستها في تخلية القرى والبلدات من سكانها ساهمت في استفحال مشكلة الانفصال اكثر، إن دعوات PKK لاقامة دولة مستقلة بدأت تلقي اذاناً صاغية من قبل العمال الدائميين والموسميين خارج كوردستان، يوجد نحو ٤٠٠,٠٠٠ كوردي في اوروبا الغربية وخاصة في المانيا وهم من الباحثين عن العمل، أما هولاء الذين يقيمون في غرب تركيا فان رحلة السفر انتهت بهم إلى أحضان السياسة وأعطت حرية التعبير حافزاً جديداً للايدولوجية السياسية، كما أن التنظيمات والمجموعات السياسية في دول الغرب ساعدت على تطوير الفكر السياسي الذي أصبح اليوم مصدر الهام للأحزاب الكوردية.

إن الهجرة تتسبب في التقاء الثقافات فالبعض يتأثر بايدولوجيات المدينة، أما البعض الاخر فينفرون منها، غير أن العودة إلى القرية ليس بالأمر الهين وكما يشرحها أحد العائدين اليها بعد أداء الخدمة العسكرية، رجعت إلى عائلتي في القرية (كوژلوك) حيث والدي من الملاكين الكبار، اشتغلت في احدى الجرائد في باتمان وأنا أكتب عن القضية الكوردية وضد الرأسمالية وضد عائلتي، عندما حاولت مساعدة القرية اتهمتني عائلتي بالزندقة لانني حاولت التلاعب بماقسمه الله لعبيده في أن جعل هذا غنياً وذاك فقيراً.

الفصل السادس

الكورد العلويون اقلية ضمن أقلية

هنالك نحو ٣ ملايين علوي يعيشون في شرق وجنوب شرق تركيا و١/٣ هذا العدد من الكورد، أما الباقون فهم ترك العلويون شيعة يعيشون في المناطق التي يتداخل فيها الجزء الكوردي مع المنطقة التركية، فالعلويون أقلية ضمن المجموع العام لهم وهم اقلية قومية في المناطق التي يتواجدون فيها حيث الاكثرية التركية، وضمن المجتمع الكوردي العام هم اقلية لأن الغالبية من الكورد هم على المذهب السني.

من ١٩٨٩ كان معظم طالبي اللجوء إلى بريطانيا كورداً علويين، وحينه صرح وزير الداخلية البريطاني بأن هؤلاء هم مهاجرون باحثون عن العمل وليسوا لاجئين سيا سيين إذا كان الامر كذلك فلماذا لم يأتي ترك علويون من المناطق التي جاء منها الكورد العلويون؟ ولماذا لم يأت الكورد السنة؟

الاجابة على هذه الاسئلة صعبة ولكنها ضرورية لمعرفة اسباب نزوح هؤلاء من مناطقهم.

معتقداتهم

هنالك اسباب تأريخية ودينية وسياسية في أن اصبح العلويون عرضة "للمضايقة إن كلمة علوي" استعملت للدلالة على التنوع الشيعي والطائفي والمذهبي، ولكنها استعملت بشكل اكبر للدلالة على التشيع الاسلامي

المزوج بالمازدوية الفارسية والمسيحية و معتقدات اخرى كانت موجودة في اسيا الوسطى تبنتها القبائل التركمانية والكوردية التي سكنت الأناضول الشرقية في القرن السادس عشر قبل أن يبسط العثمانيون سلطانهم على المنطقة.

هؤلاء العلويون المعروفون باسم "قزلباشي" (Kizilbash) ويعني اصحاب الرؤوس الحمر كناية عن عمائمهم الحمراء اللون أيدوا الامبراطورية الفارسية الشيعية ضد العثمانيين السنة وعندما نجح العثمانيون في طرد القوات الفارسية من الاناضول الشرقية في ١٥١٤ تم ضم العلويين و دون رغبة منهم إلى الدولة العثمانية وقدر عدد من قتل من العلويين في ذلك الوقت على ايدي العثمانيين بحوالي ٤٠,٠٠٠ علوي.

ومنذ ذلك الوقت بدأ التعامل مع العلويين بازدراء على أساس اختلافهم الديني والسياسي مع المؤسسة العثمانية، إما المسلمون السنة فقد سخروا من العلويين ووصفوهم بأنهم قوم يعيشون مثل خفافيش الليل في الظلام وأن لهم طقوساً دينية يحيونها في الظلام الدامس وانهم أناس منحطون و قذرون وخلعوا عليهم أوصافاً كتلك التي كانت تطلق على اليهود في كثير من بلدان اوروبا، إن مصطلح "قزلباشي" الذي كان مقبولاً في يوم ما أصبح الأن مصطلحاً مشيناً.

ولو أن تسمية " اتباع علي" توحي أن هؤلاء هم ضمن إطار الدين الاسلامي فان معتقداتهم غير مفهومة وهي مغايره لتلك التي هي معروفة لدى السنة، العلويون لايراعون الأركان الخمسة في الاسلام والتي هي الشهادة و الصلاة والصيام والحج والزكاة، ومن الامور التي تثير حنق المسلمين السنة عليهم هو عدم التزام العلويين بالوضوء والتطهر فهم بذلك في نظر أهل السنة أناس قذرون يلوثون المجتمع، أما العلويون من

جانبهم فانهم يصرون على أن صفاء واستقامة القلب والعقل هو الامر المهم وليست المظاهر الخارجية المخادعة، وتتميز قرى العلويين بخلوها من المساجد إلا في حالة فرض الحكومة عليهم اقامة واحد منها، والنساء العلويات كاشفات الرؤوس، الشجرة عندهم محل تقدير واعتزاز وخاصة إذا كانت قريبة من ضريح لهم وتشاهد على اغصانها خرقاً معلقه.

العلويون مثل غيرهم من الطوائف المنحرفة يمارسون المراوغة لكي ينجوا من التمييز والاضطهاد، إن "التقية" ممارسة مقبولة لدى الشيعة والطوائف الشيعية المتطرفة كوسيلة للبقاء في وسط سني مضادلهم، و التقية اسهل على الترك العلويين لانهم يشتركون مع السنة في نفس اللغة، أما الكورد العلويون فانهم يفضحون إنفسهم باللكنة اللغوية وهم إذا قدموا من مناطق العلويين فهم منهم، إن كثيرين من الكورد العلويين لايتكلمون باللهجة الشائعة "كرمانجي" بل يتكلمون لهجة " زازا" كما أن عدداً من الكورد والترك السنة يتكلمون ايضاً بهذه اللهجة إن عدداً من الكورد العلويين يبقون غير مختونين وهم بذلك معرضون للأنكشاف أثناء إلتحاقهم بالخدمة العسكرية.

العلويون بشكل عام والكورد العلويون بشكل خاص معروفون بانتماءاتهم إلى المنظمات اليسارية وأحد الاسباب لهذا الانتماء ربما كان لمواجهة التمييز السني ضدهم، فالكثيرون منهم اكتشفوا الابعاد الثقافية لخصوصيتهم في الاغاني والشعر الكلاسيكي من قبل پير سلطان عبدال أحد المتصوفين في القرن السادس عشر واحد الثائرين على المجتمع والذي اعدم من قبل السلطات، العلويون يجدون صلة بين أرائه في العدل الاجتماعي وبين كفاحهم الحالي.

إن النظام الاجتماعي الاقتصادي الديمقراطي النسبي في قرى

العلويين والتي لاتخضع لنظام الملكية الكبيرة وتميل إلى النظام التعاوني ووضعهم الاجتماعي المتدني يجعلهم أكثر ميلاً إلى اليسار في تركيا.

إن عدداً من العلويين الترك يدعون انتماءهم الكوردي حيث إحتضن عدد منهم الثقافة والبيئة الكوردية لعدة قرون وهم يتكلمون الكوردية ولكنهم يغنون أغاني تركية قديمة حدث هذا عندما اختلطت العشائر الكوردية السنية الرحل مع التركمان العلويين فاكتسبت المعتقدات الدينية العلوية واكتسب التركمان العلويون الثقافة واللغة الكوردية. كما أن تركاً آخرون في الآونة الحديثة تبنوا الهوية الكوردية كمؤشر لوضعهم الاجتماعي المتدني المنبوذ.

العلويون الكورد بشكل عام أناس قرويون يعيشون في المنطقة الوعرة من ديرسيم (تونجلي كما تسميها السلطة) أو في منطقة الاهوار بالقرب من ماراش التي قاموا بتجفيفها بأنفسهم، وبسبب النمو السكاني وتزايد الولادات فان عدداً منهم انتقلوا إلى مناطق وبلدات اهل السنة حيث يقيمون في بيوت وأحياء قذرة خاصة بهم ويبقون مهمشين في المجتمع.

الاضطهاد والسياسي

في السبعينات كان البعض من العلويين نشطين سياسياً ولهذا السبب اصبح المجتمع العلوي، برمته مستهدفاً من قبل اليمين المتطرف في السبعينات. في ١٩٦٧ وفي اثناء مباراة لكرة القدم قتل نجو ٤٠ علوياً من سيفاس في قيصري. وفي ١٩٧٨ في زمن التوتر بين اليمين واليسار في ماراشى جرت مذبحة للعلويين على ايدي الفاشست من "الذئاب الرمادية" حزب العمل الوطني عندما قتل ١٠٠ علوي وربما عدة مئات منهم.

وفي الثمانينات تغيرت الآية من مواجهات بين اليسار واليمين (الذئاب الرمادية لم تعد فعالة) إلى صراع ديني بين المسلمين السنة المتجددين الذين إنضم اليهم عدد من اليمين المتطرف القدامى وبين اخرين منشقين عليهم من امثال العلويين والعلمانيين الذين كانوا من حملة الفكر السياسي اليساري في السبعينيات إنّ بعضاً من السنة المتجددين لايتورعون في القول أن العلويين ليسوا بأفضل من الحيوانات وحري بالمسلمين قتلهم، لقد أبلى هؤلاء المتجددون المحدثون بلاءً حسناً في الانتخابات المحلية في ماراش ١٩٨٩ وكان احد الفائزين فيها لعضوية المجلس المحلي لماراش يدعى أوكس كينغر (kengar) واسمه مرتبط بمجزرة عام ١٩٧٨، العلويون يعرفون بانهم دوماً مستهدفون وإن فوز امثال كينغر كفيل بادخال الرعب إلى قلوبهم.

إن ظهور الحركة الاسلامية المتشددة ومضايقة العلويين على يدها ونتائج الانتخابات المحلية في اذار ١٩٨٩ كانت سبباً لهروب اعداد كبيرة من العلويين في مايس وحزيران ١٩٨٩، وسرت اشاعات مفادها أن الهلع الذي دب في نفوس العلويين كان شيئاً مفتعلاً وأنه من صنع اولئك المتعهدين الجشعين الذين يتولون نقل المهاجرين سراً إلى بريطانيا لقاء مبالغ طائلة.

وقد يعتقد البعض أن الحكومة قادرة على اتخاذ الاجراءات ضد التشدد الاسلامي الذي يناقض الفكر العلماني الاتاتوركي. رسمياً الحكومة علمانية ولكن الاسلام السني يبقى الدين المعترف به، كما أن هناك نوع من العداء التقليدي نحو الشيعة وخاصة العلويين منهم.

رئيس الوزراء التركي رجل متدين وله صلات بالطريقه النقشبندية التي هي في تركيا مرتبطة بالاحياء الديني، بالاضافة إلى ذلك فان حزبه

"حزب الوطني الام" معتمد بشكل كبير على الاحزاب الدينية بعد أن تضاءل جمهورهُ الانتخابي إلى درجة كبيرة إن حلفاء تركيا في الناتو (الأطلسي) لايريدون إحراج الحليف التركي في هذه المسألة ولكنهم لايتورعون في أثارة موضوع سجل تركيا في مضمار حقوق الانسان وخاصة فيما يتعلق منها بالكورد.

أما على النطاق المحلي فهنالك حالات الاعتقال الاعتباطي والتعذيب في صفوف الكورد و على الاخص بين العلويين منهم واصبح الكثيرون منهم معرضين للمضايقة بسبب النشاط السياسي لاقربائهم.

في السبعينيات كان الجيش اكثر تعاطفاً مع اليمين منه مع اليسار، اليوم فانه بغض الطرف عن مضايقات السنة للعلويين أو أنه شريك لهم في ذلك.

إن مايجري اليوم لايقع في خانة اضطهاد الدولة للكورد بشكل مطلق ولا في خانة اضطهاد اهل السنة للعلويين بشكل مطلق ايضاً بل هو مزيج بين الاثنين الأمر الذي يعطى العلويين الحق في الادعاء بأنهم مضطهدون.

أما على الصعيد اليومي فانه بالاضافة إلى القهر اللغوي والثقافي والمضايقة المستمرة والاعتقال والتعذيب الذي يلاقونه على ايدي السلطات فان القرى العائدة للكورد العلويين محرومة من الخدمات التي تقدم إلى مثيلاتها من قرى اهل السنة من الترك.

فمثلاً إذا اراد اهل القرية أن تبنى لهم مدرسة ثانوية او تفتح لهم طريق إلى القرية فان عليهم بناء مسجد وأن يعلو فيه، وإذا دخل غريب منزل العلوي أو مربط حيواناته وقام العلوي وقدم شكوى فمن المحتمل أن يكون جزاءه الجلد على ايدي الشرطة، تقوم السلطات بارسال معلمين

سنة إلى مدارسهم الابتدائية، ويدعي العلويون أن هؤلاء المعلمون يقومون بتعليم اولادهم التعاليم الاسلامية وانهم مخبرون سريون للحكومة.

إذا قام احد العلويين بالاكل أو الشرب في أيام رمضان فانه سيتلقى عقوبة بدنية، حتى وإن قام بذلك داخل منزله، على العلوي أن يكون شديد الحذر في تصرفاته مثل ما كان عليه اليهود أيام روسيا القيصرية.

بالاضافة إلى مضايقة اهل السنة لهم فان قوات الامن هي الاخرى تشترك في هذه المضايقات الروتينية يقول احد طالبي اللجوء أن الشرطة تأتي في منتصف الليل ويصرخ أفرادها في وجوهنا ويبدأون بالبحث عن "يوسف" وينعتوننا باننا كورد شيوعيون ويهددون باخذ زوجتي واغتصابها إذا لم ارشدهم إلى مكان اختباء يوسف، اوردت منظمة العفو الدولية روايات لحالات اغتصاب اثناء الاعتقالات.

دور الدولة

الكورد العلويون يقيمون في المنطقة الفاصلة بين المناطق ذات الاغلبية التركية واخرى كوردية وهي مناطق مشمولة باعادة التوطين والتشجير.

إن مناطق شاسعة في جنوب شرق تركيا خصصت للتشجير التجاري او التطوير الزراعي كجزء لمخطط إنمائي في المنطقة من المحتمل أن الملايين ستتم اعادة توطينهم كرهاً لتخفيف السكان في مناطق نشاط Pkk.

لقد كانت تونجلي (ديرسيم) منطقة لنشاط محموم من Pkk وبالتالي اصبحت هدفاً للقمع الحكومي، أن الكورد العلويون هم الذين قاتلوا الحكومة بضراوة في ١٩٣٨ ويكتب مارتن ڤان بروينسن الخبير بأحوال كوردستان: إن ولاية تونجلي التي كانت دوماً بؤرة للتمرد السياسي

توصف على أنها كبرى سجون تركيا، إن محاولة الحكومة كسر شوكة القومية الكوردية والعمود الفقري لحركة Pkk شملت محاولات الصهر القومي والمراقبة واعادة التوطين حيث تم ترحيل قرى كاملة في مناطق نشاط Pkk.

وعندما تنكر الحكومة بأن عملية التوطين جرت بشكل قسري فان هنالك براهين وأدلة تدحض هذا الانكار إحدى الكتب الصادرة من المدير العام للغابات تقول أن القرويين الذين لايقدمون طلبات لتلقي المعونة لاعادة توطينهم عليهم أن يحيطوا علماً بأنهم سيرحلون. في تونجلي هنالك ١٢٤ قرية تغطيها الغابات بينما العدد المبلغ للترحيل هو ٣٥٥ قرية من أصل ٤١٤ قرية بموجب قانون التشجير الجديد، أما في ارزنكان فان ٢٥٠ قرية تبلغت بالاستعداد للرحيل في حين أن ٢٩ قرية فقط تحوي على الغابات أو مشمولة بالتشجير.

هنالك تقارير عن مصادرة أراضي العلويين الكورد تحت تهديد السلاح من الكورد السنة منتمين احياناً إلى الميليشيات المرتبطة بالحكومة، كما أن المحاكم فشلت في تثبيت حقوقهم في الأرض بسبب الترهيب أو العلاقة القوية بين الدولة والملاكين.

التعويض بالمثل أو بالنقد يعتمد على مدى أهلية الشخص كمواطن مخلص للدولة، فالشخص الذي يحصل على التعويض يجب أن لاتكون له صلة بالمتمردين وأن يكون عارفاً بالقراءة والكتابة بالتركية، هذه الشروط حرمت الكثيرين من الحصول على أية تعويضات والمراد بها تهميش المجتمع الكوردي.

وعليه فان للمعاناة هذه اسباب اقتصادية و دينية واجتماعية.

وليس من الإنصاف القول بأن هؤلاء من طالبي اللجوء هم من الباحثين

عن العمل حتى وإن جردوا من املاكهم في مناطقهم إن من يجرأ على العودة إلى تركيا فانه يواجه خطر المضايقة والضرب والتعذيب والاضطهاد الديني، إن محاولة الحصول على اللجوء تعتبر خيانة للدولة، محظوظ منهم من يدخل البلاد دون معرفة السلطات، ولكن أخرون لم يكونوا على هذه الدرجة من الحظ حيث انهم اعتقلوا وضربوا، ويروي احدهم قصته وهو يحاول الخروج عن طريق مطار اسطنبول: اقترب مني شرطي واقتادني إلى غرفة في الطابق الثاني وبدأ بالضرب على وجهي والرفس، اتهمني بالخيانة ونعتني بالكوردي القذر، إن هذه الممارسات ستستمر إلى أن تقرر الحكومة منع الجيش وقوات الامن والمسلمين السنة من اضطهاد هؤلاء القوم.

الفصل السابع

الكورد في ايران تحت حكم الشاهات

لم تكن علاقة الكورد بالحكومات الايرانية بأفضل من تلك العلاقة مع حكومات تركيا وإن كانت الاولى لم تمارس ضدهم ذلك المستوى من القسوة والوحشية، لم تكن ايران لتفعل ذلك وهي تحوي قوميات عديدة مثل العرب والترك والبلوش بالاضافة إلى الكورد في حين أن تركيا باستثناء الاقلية الكوردية فهي تقريباً متجانسة قومياً، هنالك وشائج لغوية وثقافية مشتركة تشدهم إلى الايرانين اكثر من الترك أو العرب، هذه الألفة هي التي تجعل الكورد في ايران يطالبون بالحكم الذاتي وليس بالانفصال.

حكم الصفويين

بعد هزيمتهم في معركة جالديران على أيدي العثمانيين في ١٥١٤ حاول الصفويون حكم البلاد حكماً مباشراً ولكنهم سمحوا لعائلتين أو ثلاث بحكم كونفدرليات عشائرية رئيسية.

واستخدموا العشائر الكوردية للدفاع عن الحدود في خوراسان ضد الغزاة الاوزبكيين في ١٦٠٠ وبمرور الأيام اصبحت هذه العشائر مجتمعات دائمية ومستقره في المنطقة.

وعلى خطى أسلافهم عامل الصفويون الأمراء الكورد المتمردين بقسوة بالغة ولم ينجحوا معهم في ترتيب نوع من الحكم الذاتي على نحو مافعله

العثمانيون مع أمراء كورد، و يمكن تأويل ذلك كون معظم العشائر الكوردية سنية وتبعاً لذلك فهي أقل تحملاً للمسؤولية في الدفاع عن حدود امبراطورية شيعية، وقد يكون هنالك سبب أخر هو أن العيش على مقربة من دولتين قويتين جعلت العائلات الحاكمة تنشطر إلى شطرين شطر يؤيد العثمانين واخر مؤيد للايرانيين إن العشائر والامارات الحدودية متذبذبة في الولاء بين الصفويين والعثمانيين.

إن نمو الفصائل المؤيدة للروس والبريطانيين في العائلات المتنفذه الكبيرة يعكس تزايد النفوذ الامبريالي الاوروبي في المنطقة أثناء القرن التاسع عشر حيث حاول القاجار على نحو ما فعله العثمانيون استبدال الادارة المباشرة بالامراء الكورد. إن آخر واقوى امير كوردي ايراني من عشيرة أردلان تم تجريده من القابه عام ١٨٦٥ رغم المعالجة الحسنة التي تلقوها الرؤساء الكورد من الشاهات فانهم بقوا على ولائهم للسلالات السابقة حيث أنهم أيدوا محاولة القاجار للاطاحة بالحكومة في ١٩١٢.

عندما وضعت الحرب الاولى اوزارها كانت ايران مثل تركيا غارقة في بحر الفوضى. تمكن رضاخان مؤسس السلالة البهلوية بفضل ظروف خارجية مواتية وبتشجيع من البريطانيين من نصب نفسه حاكماً متنفذاً في طهران في ١٩٢١ ولكنه لم يقدم على الإطاحة بآخر شاه للقاجار حتى ١٩٢٣ ولم يعلن عن نفسه شاهاً حتى ١٩٢٥.

وانصب جل اهتمامه في وحدة ايران، المؤلفة من قوميات عدة هي الكورد والترك الآذريون والعرب في خوزستان واللوروالبختيار وآخرون، إن اي انفصال من قبل اي من الأقوام المذكورة معناه إنفصام وحدة المكونات الاخرى.

حدثت عدة انتفاضات في مناطق مختلفة بعد الحرب الاولى ولكن أخطرها كانت تلك التي حدثت في كوردستان في تشرين الاول ١٩٢١ قام زعيم كوردي هو اسماعيل سمكو الشكاكي بالقضاء على السلطات الحكومية في منطقة غرب وجنوب بحيرة اورمية، في البداية حاولت الحكومة التوصل معه إلى اتفاق حول حكم ذاتي محدود، وعندما قام سمكو بتحريض عشائر اللور للانضمام إليه واستولى على مرغة شرق بحيرة أورمية في ١٩٢٢ قاد رضاخان حملة عسكرية ضده فشتت أعوانه وطورد سمكو إلى خارج البلاد.

إن ثورة سمكو كانت مزيجاً بين العظمة الشخصية وضرب من ضروب القومية، وهي ايضاً مثلٌ جيد لقدرة زعيم كوردي يحيط به أعوان مخلصون لايملكون ذرة من الشفقه على قلب موازين القوى في فترة انعدام النظام وانتشار الفوضى.

تألق نجم سمكو أثناء الحرب الاولى عندما رحبت طهران بمحاولته بسط السيطرة على منطقة حساسة غرب بحيرة أورمية عندما كانت المنطقة مهددة من قبل الاتراك والروس والانكليز وعندما وجد نفسه مهدداً من قبل الاشوريين الذين كانوا ايضاً يحاولون تشكيل دولة بالقرب من اورمية لم يتردد سمكو في القضاء عليهم. كان الآشوريون سيفعلون الشيئ ذاته مع سمكو إن استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

كان سمكو من نمط القادة التقليديين الذين مثل القادة الذين انضموا إلى ميليشيات الحميدية استغلوا الاعتراف الحكومي في فترة عدم الاستقرار ببناء قوتهم الشخصية، على الجيران الانصياع والطاعة أو القتل والفناء، تلك هي الطريقة التي تؤسس الكونفدراليات على اساسها أو تفكك من غير المحتمل أن سمكو كان قادراً على التمييز بين الطموح

الشخصي وبين الشعور القومي.

وظهور ملا مصطفى البارزاني في العراق بعد ٤٠ سنة من ثورة سمكو في ايران واستخدمته الحكومة لتقوية نفوذه محلياً تم التخلص من سيطرة الحكومة وأقامة استقلال بعكس المسار القديم نفسه.

وعلى امتداد فترة العشرينيات والثلاثينيات دأب رضا خان على القضاء على النزعات الانفصالية في ايران بين الترك والعرب والكورد، تمت مصادرة الأراضي وفي بعض الحالات جرى ترحيل عشائر باكملها من مناطقها.

جمهورية مهاباد

اثناء الحرب الثانية احتل الروس شمال ايران واحتل الانكليز جنوبها لغرض الإطاحة بالامبراطور رضا شاه خشية من أن يتحول تعاطفه مع الألمان إلى حلف عسكري معهم ونجم عن هذا الاحتلال منطقة فراغ في كوردستان بين منطقتي الاحتلال الروسي والانكليزي مع وقوع اجزاء منها مثل اورمية وشابور تحت سيطرة السوفييت، استغل القوميون الكورد هذه الفرصة للاستقلال عن طهران وشكلوا حزب كومالا في عام ١٩٤٢.

بتحريض سوفيتي وليست سيطرة سوفيتية استطاع الكورد وإلى الشمال منهم الترك الاذربيجانيون ادارة شؤونهم بانفسهم، لازال السوفيت يراودهم حلم استقطاع اذربيجان ذلك الحلم الذي ظل يصاحبهم منذ القرن التاسع عشر، وبدأ الان لعابهم يسيل بسبب الامتيازات النفطية في شمال ايران، ولكن الحلفاء والسوفيت منهم كانوا قد تعهدوا بالانسحاب من ايران عند شهر اذار ١٩٤٦.

ومع اقتراب موعد الانسحاب كان الكورد والاذربيجانيون قد أكملوا استعدادتهم للاستقلال عن طهران، في كانون الاول ١٩٤٥ استولى الأذربيجانيون على تبريز بتحريض و تشجيع من السوفيت واعلنوا قيام جمهورية أذربيجان الديمقراطية، وبعد عدة أيام من هذا الحدث وعلى غرار الاذربيجانيين أعلن الكورد عن قيام جمهورية مهاباد، وفي كانون الثاني ١٩٤٦ شكلوا حكومة برئاسة قاضي محمد الذي ينتمي إلى عائلة مشهورة في مهاباد.

تقع الجمهورية خارج المنطقة التي يحتلها السوفييت وتقوم على امتداد للأرمن من اورمية باتجاه الشمال و لم تستطع ضم كل من سقز وسننداج وكرمنشاه الواقعه إلى الجنوب في منطقة الاحتلال الانكلو الاميركي، وبهذا فان الجمهورية شغلت مساحة صغيرة لاتتجاوز ١/٣ مساحة كوردستان ايران وبلغ عدد سكانها نحو مليون نسمة فقط تشكلت الحكومة من قبل الحزب الديمقراطي الكوردستاني الذي كان يضم قوى تقليدية وضمت كومالا وهيوا ومجموعة من الشيوعيين الكورد.

وحتى في مساحة صغيرة كتلك التي تقوم عليها جمهورية مهاباد بدأت الخلافات تذربقربها بين الكورد قبل الاعلان عن قيام الجمهورية كان السوفيت يحرضون الكورد على الانفصال ليس من خلال المجموعات السياسية بل عن طريق الزعماء العشائرين، وكان كل واحد من هؤلاء الزعماء مراوغاً بتردد في المجازفة بمركزه المحوري بين الحكومة المركزية ورجال عشيرته، وعشية اعلان الجمهورية نأى عدد من زعماء العشائر الاقل شأناً بجانبهم عن الثورة بشكل كبير في الجمهورية و وجدت الجمهورية نفسها وحيدة ومعتمدة بشكل أساس على اقرباء قاضي محمد المحبوب من الأهالي وعلى عدد قليل من أهالي مهاباد فقط، ولم

يكن لدى الجمهورية من الرجال سوى ٣٠٠٠ رجل مضافاً اليهم عدد من اتباع ملا مصطفى البارزاني الذي كان قد ترك العراق بعد مطاردته من القوات العراقية والبريطانية.

لاندري هل أن الجمهورية وضعت في المسار الصحيح الذي يمكنها من تحقيق الاستقلال؟ عند قيامها بحثت الجمهورية عن حكم داخل حدود دولة ايران، أما في داخل الجمهورية فقد اصبحت اللغة الكوردية اللغة الرسمية وظهرت المجلات والصحف وانتعش الاقتصاد من خلال التجارة مع الاتحاد السوفيتي، لقد هرب عدد من الزعماء التقليديين حيث أثروا البعد على التورط في الانضمام إلى حركة ستدمر مراكزهم القوية بين الحكومة ورجال عشائرهم، لقد تم توزيع أملاك هؤلاء الفارين على الاهالي وذهب قسم منها إلى البارزانيين القادمين من العراق، ولم يكن التوزيع على أسس ومبادىء يسارية أما اليساريون والزعماء التقليديون فقد فضلوا المساومة من اجل بقاء الجمهورية.

أما على الصعيد السياسي فان حكومة مهاباد توقعت وقوف الاتحاد السوفيتي إلى جانبها وخاصة أن البراغماتية هي التي قادت السوفيت في ١٩٤٥ إلى التعامل مع الزعماء العشائريين بدلاً من القيام باحتضان الأيدولوجيات كان هذا تمنياً كبيراً، إن توقعات قادة الجمهورية تجاهلت ايضاً شكوك الشعب الكوردي حول الروس، تلك الشكوك التي بنيت على الاجتياحات الروسية في اذربيجان في القرن التاسع عشر والطريقة التي أتى الروس بها على كل شيئ وتركوا كوردستان في خراب تام بما في ذلك مهاباد التي نهبت بالكامل على ايدي الروس في الحرب العالمية الاولى.

أما على الصعيد الداخلي فان التنظيمات والمجموعات السياسية في

المناطق الاخرى من كوردستان كانت غير راضية عن القاضي محمد بسبب ارتباطاته مع السوفيت، لقد تضررت العشائر اقتصادياً من الارتباط بالسوفيت لانها لم تستطيع تسويق منتوجها من التبغ إلى الاسواق الايرانية، أما إلى الجهة الغربية لمهاباد فان عشائر مامش ومنكور القريبة على مهاباد كانت معادية تماماً للجمهورية إلى درجة اضطرت الجمهورية إلى ارسال قوات البارزاني التي لم تعد مرحباً بها لمقاتلتهم.

وأساءت حكومة مهاباد تقديراتها حول المصالح السوفيتية في المنطقة، فالسوفيت وعلى الرغم من تشجيعهم الكورد والاذربيجانيين على الاستقلال فانهم لم يكونوا قط مستعدين للدفاع عنهما.

بغض النظر عن وقوع أية من الجمهوريتيين في فلك الاتحاد السوفيتي (مهاباد لم تكن) فان مصالح السوفيت هي مع طهران وليس مع تبريز أو مهاباد، وهي مع الاستكشافات النفطية في شمال البلاد وحصلوا على بعض الامتيازات فيها غير أن البرلمان الايراني لم يصادق عليها في ربيع ١٩٤٦.

غادر السوفيت الاراضي الايرانية عند نهاية مايس، أما دعمهم العسكري لجمهورية مهاباد فلم يتجاوز حدود اقناع زعماء بعض العشائر الصغيرة والتي هي مستعدة دائماً للسلب والنهب للوقوف إلى جانب قاضي محمد، كما أنهم أقنعوا عمر خان احد زعماء عشيرة شكاك الذي قدم استقالته من حكومة الجمهورية في اعلان تأييده للجمهورية، رغم محاولات قاضي محمد المستميتة لايجاد تفاهم مع طهران فانه لم ينجح في مساعيه هذه.

كان قاضي محمد يعلم أن الغالبية الكوردية بقياداتهم العشائرية غير راغبين في دعم الجمهورية، بل على العكس من ذلك كانوا مستعدين

للوقوف مع الحكومة في طهران في قتالها ضد الجمهورية.

وفي كانون الاول ١٩٤٦ تقدمت القوات الايرانية نحو اذربيجان وأنهارت جمهورييها دون مقاومة تذكر وفرّ عدد من قادتها إلى الاتحاد السوفيتي مرة أخرى يغير عمر خان من ولائه فيقسم يمين الطاعة لطهران ويقبل في سرب النادمين ويدخل الصف الوطني، وبعد فترة وجيزة دخلت القوات الايرانية مهاباد بدون أية مقاومة وكانت في طليعة القوات الزاحفة على الجمهورية عشائر منكور ومامش وداهبوكري.

أما قاضي محمد الذي كان رجل شرف ومبادئ فلم يحاول الفرار وبقي داخل المدينة، أما البارزاني فقد لاذبا لفرار مع رجاله إلى الطرف الاخر من الحدود، لقد تم ازالة كل أثر للجمهورية، وأغلقت المطبعة ومنع تدريس اللغة الكوردية وأحرق سكان مهاباد كتبهم الكوردية وتم نزع سلاح المنطقة برمتها باستثناء سلاح العشائر التي تعاونت مع الحكومة، وفي اذار ١٩٤٧ تم إعدام قاضي محمد مع إثنين من رفاقهِ بشكل علني في الساحة الرئيسة في مهاباد، كما تم إعدام ١١ رئيساً للعشائر ليكونوا عبرة للأخرين ولادخال الرعب في قلوبهم.

أما بالنسبة للكورد فان تجربة مهاباد حملت دروساً مرة ومؤلة، الجمهورية قامت على ١/٣ مساحة كوردستان ايران والذين كانوا ضمن رقعتها فان الكثيرين منهم لم يعارضوها بنشاط وقوة ولكنهم ايضاً لم يفعلوا شياً في اسنادها والدفاع عنها، لقد وقع معظم العبئ على كاهل قاضي محمد وسمعته داخل المدينة فقط، أما خارج المنطقة المحررة فان قلة قليلة أبدوا استعدادهم للثورة حيث هم أو التوجه إلى مهاباد لنجدتها، الثقة بالمعونة الخارجية والاعتماد عليها برهنا على خطورتهما بل وعلى كونها عملاً إنتحارياً، إن القوة القتالية للكورد لاتزال هي بيد

الزعـمـاء العـشـائريين الذين برهنوا على أنهم أناس مـشـاكـسـون ومتخاصمون ومتقلبون لايريدون سماع رأي الطبعة المثقفه، ان نفس التجربة ستحدث في العراق بعد ٣٠ سنة من سقوط مهاباد.

فترة ما بعد الحرب

بعد سقوط جمهورية مهاباد و على غرار ماحصل في تركيا بعد انهيار ثورة ديرسيم في ١٩٣٨ أصبحت الحركة الكردية سرية ومنع كلُ أثر يدل على الهوية الكوردية، في ١٩٥٢ وعندما انتفض فلاحو منطقة بوكان بقيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني الايراني (KDP) ضد الملاكين أسرع الجيش الايراني إلى نجدة الملاكين وأضمدت الثورة، عقد KDP مؤتمرهُ بشكل سري في ١٩٥٦ بعد مضي عقد على سقوط جمهورية مهاباد وتبنى الحزب نهجاً يسارياً.

بعد الثورة العراقية في تموز ١٩٥٨ ومع عودة البارزاني إلى العراق نشط الكورد الايرانيون سياسياً وشددت السلطات اجراءاتها ضدهم، تم اعتقال أثنين من قيادي الحزب وبقوا في السجن إلى يوم قيام الثورة الاسلامية في ١٩٧٩، أما في ١٩٥٩ فقدتم القاء القبض على مالايقل عن ٢٥٠ ناشطاً كوردياً وهرب آخرون إلى العراق.

بقي الكورد الايرانيون معتمدين بشكل كبير على البارزاني وحركتهِ في العراق، وتحت تأثير البارزاني أفرز الحزب قيادة اكثر محافظة. وعندما عقد KDP الايراني مؤتمراً له في كوردستان العراق منع عدد من القادة الراديكاليين وعدد من اليساريين من حضور المؤتمر. شنّ عدد من كوادر الحزب عمليات محدودة ضد السلطات الايرانية وقابلت السلطات هذه العمليات باجراءات قمعية مشددة، أما البارزاني الذي كان يتلقي الدعم

من الشـاه فـقـد قـام بمنع أولئك الذين كـانوا فـي بغـداد من العـودة إلى ايران ومنـع وصـول أية مـسـاعـدة إلى الكورد العـاملين داخل ايران، في ١٩٦٨ قـام بأعدام أحد قادة الحـزب (سليمـان مـعيني) وسلم جثتهُ إلى السلطات الايرانية التي قامت بعرض الجثة في عدة مدن كوردية ايرانية.

كـانت هـذه سـابقـة خطيـرة في التـعـامـل والتـعـاون الكوردي، إنهـارت الحركة في ايران وأضطر الكثيرون من قـادتها إلى الاختفاء وأعتقل أو قتل نـحو ٤٠ من اعضـاء الحـزب من قبل اعـوان البـارزاني وسلموا إلى السلطات الايرانية، أما داخل ايران نفسها فقد كـان الكورد مراقبين من قبل الشـرطة السـرية "سـافـاك" ومـن قبل الجيش والشرطة، وأصبح عدد منهم مـخـبـرين سـريين يتقـاضـون رواتب من الحكومـة الايـرانيـة وسـيطر خوف شديد على كل الذين يحملون افكاراً سياسية.

إن الاتفـاق بـين البـارزاني وحكومـة بغـداد في ١٩٧٠ جـعل من بغـداد مركزاً لنشـاط الكورد الايرانيين، لقد تـحول KDP الايراني الذي بدأ ينتهج نهجاً يسـارياً تبنى مـوقـفاً ضـد الامـبرياليـة وأعلن عن مـعـارضـتـه لنظام الحكم في طـهران وتلقى المسـاندة من نظام البـعث في بغـداد الذي زوده بالمال والسـلاح، كـان البارزاني لايزال يتلقى مـسـاعـدات كبيرة من الشـاه ولم يسمح لـ KDP الايراني من توظيف مـسـاعـدات البـعث له داخل ايران، وعندمـا حصلت القطيعة النهـائية بينه وبين بغداد في ١٩٧٤ رفض KDP الايراني المتعاون مع بغداد التنديد بالبارزاني وعلى أثر الرفض هذا طُرد من بغداد، أما داخل ايران فقد شعر الكورد بانهم عـاجزين عن مـهاجمة قـوات الشـاه طالما أن الشـاه يسـانـد البـارزاني ضـد بغـداد، لقـد وجـدوا انفسهم في موقف صعب.

وعندمـا وقـع العـراق وايران اتفـاقـيـة الجـزائر في اذار ١٩٧٥ وسـحب

الشاه تأييده للبارزاني بدأ العداء بين كورد ايران وطهران من جديد، ولكن على النقيض من العراق حيث الولاءات العشائرية متمثلة في شخص البارزاني نفسه فان زعيم KDP الايراني ومنذ ١٩٧٣ هو عبدالرحمن قاسملو الذي هو مثقف اشتراكي درّس في السوربون وعاش لسنوات طويلة في جيكوسلوفاكيا وعنده القاعدة الحزبية والمقاتلون فلاحون وأهل المدن. رحب قاسملو. بحرارة بالتعاون مع الجماعات التقدمية الاخرى المصممة على الاطاحة بنظام الشاه، ومع أنه عسكرياً أضعف من جيش البارزاني العشائري فانه قدّم قاعدة أفضل للنضال القومي.

إن سقوط الشاه في كانون الثاني ١٩٧٩ و تفكك أجهزة الدولة قدم فرصة ثمينة لاتعوض للكورد في تحقيق مطابهم في حكم ذاتي – فرصة أفضل بكثير عن تلك التي قدمت لشعب مهاباد لأن وجود السوفيت والقوى العظمى الاخرى أو مصالحها لم تكن في هذه المرة حاضرة.

وتعزيزاً لمطالبهم قام الكورد بالاستيلاء على ثكنات الجيش والشرطة في المنطقة من قوات الشاه وحصلوا على كميات كبيرة من الاسلحة والاعتدة، وبما أن قاسملو قد دعا دائماً إلى التعاون مع الجماعات الثورية الاخرى فان الكورد كان لديهم كل الحق في أن يكونوا متفائلين.

لم يكن الكورد جميعاً متحمسين لسقوط الشاه إن مجموعة قوية ومهمة من زعماء العشائر وأتباعهم فقدوا امتيازاتهم التي حصلوا عليها لقاء نشر الاستقرار في مناطقهم.

فزعماء عشيرة الجاف مثلاً كانوا قد منحوا مناصب مهمة في الدولة، كما أن ممتلكاتهم الشاسعة بقيت دون أن يمسها قانون الاصلاح الزراعي، اصبح سردار الجاف عضواً مهماً في مجلس البرلمان وكان شقيقه جعفر الجاف موظفاً كبيراً في بلاط الشاه وكذلك الحال مع رؤساء

عشائر أردلان الذين كانوا من المقربين إلى الشاه وتسنموا مناصب مهمة بما فيها وزارة البلاط الشاهنشاهي إلى يوم سقوط الشاه وفراره من البلاد أما الجنرال پاليزبان الحاكم الكوردي على منطقة كرمنشاه فقد كان من أخلص الناس إلى الشاه وبقي بعد رحيل الشاه وهو يخلق المشاكل للجمهورية الاسلامية من قاعدة له داخل العراق.

أما الزعماء الكورد التقليديون الاخرون فقد أستغلوا ضعف الحكومة ليؤكدوا على استقلاليتهم، فابن الزعيم الكوردي المشهور سمكو والمدعو طاهر خان قام بتحشيد عشائر الشكاك والهركي وعشائر اخرى محلية ضد مراكز الشرطة وعلى مضض طلب المساعدة من KDP، وكما عرف طاهر خان فان هذه الحاجة إلى مساعدة KDP سترفع من منزلة الحزب في أعين الناس والقبائل وبذلك سيقوض مركزه الشخصي بين رجال العشيرة، وفي فترة لاحقه من العام نفسه ابتعد طاهر خان عن KDP وانضم إلى مجموعة الرؤساء الذين يعملون ضد KDP.

ومن جهة أخرى وقف عدد من رؤساء الشكاك مع KDP وتدخل KDP مرات عدة لفض النزاعات بين زعماء العشائر والفلاحين حول الضرائب. الخلافات بين الحزب والعشائر لازالت قائمة.

الحكومة الاسلامية الثورية في طهران هي ملزمة برفض مطالب الحكم الذاتي، إن مركزها الشرعي والمد الثوري الذي جاء بها إلى الحكم هو مد اسلامي ووحدة الامة هي في صلب عقيدتها وهو امر لايمكن التفاوض عليه بأية صورة من الصور، الادارة في الحكم جائزة ولكن الحكم الذاتي لايمكن القبول به. الاقليات الوحيدة المعترف بها هي الاقليات الدينية. النزاع كان دينياً ايضاً، فالكورد الشيعة في كرمنشاه يميلون إلى مساندة الخميني اكثر من مساندتهم لـKDP .

إن الشـيخ عـزالدين الحـسـيني الزعـيم الديني السني والسـيـاسي الكوردي يعارض تبريرات الخميني للسلطة لأنها تجيز تدخل رجل الدين في الحكم بدلاً من أن يقتصر هذا الدور على التوجيه والارشاد، وعندما إنشق الكورد على طهران تحدى الحسيني الموقف قائلاً: لقد ادعت حكومات عديدة في الماضي بانها تعمل حسب الشريعة والدين ولكن في الواقع لم تكن هذه الحكومات اسلامية وكانت بعيدة كل البعد عن الاسلام وروحه، كان العثمانيون والصفويون أمثلة لتلكم الحكومات واليوم لدينا نظام الخميني في طهران، إنه نظام طائفي ورجعي يدمر الاسلام، إن مانشاهده اليوم ليس حكومة اسلامية، إنها حكومة دكتاتورية تعمل باسم الدين، نحن السنة ليس لدينا ما يسمى بالامام او نائب الامام. إن دور الامام يجب أن ينحصر في التوجيه والارشاد لافي الحكم.

وحتى بين الشيعة يوجد من يرفض فكرة الفقيه. إن حكومة الخميني غير اسلامية.

منذ بداية ١٩٧٩ وإلى تأريخ غزو العراق لايران لعب الكورد وطهران دوراً جمع بين التفاوض تارة وبين اشتباكات مسلحة تارة أخرى، لم يشأ الكورد أن يدعوا هذه الفرصة تفلت من يدهم والايرانيون لن يقبلوا أن تخرج كوردستان من سيطرتهم، وفي الوقت الذي لاتريد طهران للكورد أن يكونوا على عداء معها فان عليها أن تتعامل ببالغ الحذر مع ظاهرة الحكم الذاتي المنشق، إذا وضعنا العقيدة الاسلامية جانباً فان اعطاء حكم ذاتي للكورد (سيدفع بالعرب في خوزستان وبالترك في اذربيجان والبلوش في الجنوب الشرقي بالمطالبة بحقوق مماثلة وعندها ستتفكك ايران).

ظهر زعيمان كورديان هما عبدالرحمن قاسملو الامين العام للحزب

الديمقراطي الكوردستاني KDP والزعيم الديني السني المعروف الشيخ عزالدين الحسيني. كان الشيخ الحسيني قادراً على جمع كلمة الكورد وتوحيدهم وكان يتمتع بحظوة اكبر لدى القيادة الشيعية من KDP واليساريين، ومع أن الحسيني اكد مراراً وتكراراً من أن الكورد لايريدون الانفصال فان شروط الحكم الذاتي لم تكن مقبولة لدى طهران، وعندما استولى مقاتلو KDP على ثكنات الجيش والشرطة في مهاباد واغاظ كورد العراق طهران بهجومهم على مراكز للشرطة قام الكورد الايرانيون ومعهم KDP وكومالا المتطرف باستخدام الشيخ عزالدين بذكاء للتفاوض مع طهران.

كانت الحكومة مترددة بين استرضاء الكورد أو معاقبتهم ومنذ سقوط الشاه كانت هنالك مصادمات مسلحة بين باسدران (الثوري) وبين الفلاحين الكورد الذين تساندهم منظمة كومالا اليسارية وكذلك مجاهدو خلق الايرانية. وكان هؤلاء الفلاحون قد استولوا على اراضي تعود ملكيتها إلى رؤساء كورد تقليديين في منطقة سنناداج وميرڤان.

اتهمت منظمة كومالا الحكومة باستخدام باسدران والكورد الرجعيين بقيادة أية الله صافداري وكذلك قوات البارزاني ضد هؤلاء الفلاحين، واستمرت المصادمات طوال فصل الربيع والصيف مع رشق بالاتهامات المتبادلة بين الطرفين.

الحرب ضد الكورد

إن المصادمات الواسعة في تموز ١٩٧٩ عند محاولة الحكومة استعادة مخفر للشرطة بالقرب من الحدود التركية وكذلك المصادمات في آب عندما حاولت الحكومة بسط سيطرتها من جديد على ميرڤان اقتنعت الحكومة بضرورة اتباع الحل العسكري للمسألة الكوردية. وفي ١٦ أب إستولت القوات الكوردية على بلدة پاوة، وبعد يومين من ذلك تولى خميني

منصب قائد القوات المسلحة و ارسل قطعات الجيش والطائرات المروحية المزودة بالمدافع وطائرات الفانتوم والدبابات والمدفعية لمهاجمة و استعادة كل من پاوة وسقز و سنندا ج.

إن سقوط هذه المدن بايدي القوات الحكومية كان تذكيراً شديداً بأن الجيش لايسوده الفوضى وإن هزيمته في حرب تقليدية هو ليس شأن كوردي، كما أن وصول محكمة أية اللّه الخلخالي الثورية كان هو الآخر تذكراً شديداً لاستعادة المدن واعدام نحو ٧٠ شخص.

انسحبت القوات الكوردية إلى الجبال، وفي الرابع والخامس من أيلول استولت القوات الايرانية على مهاباد وسردشت.

ومنذ ذلك اليوم خسرت القوات الكوردية جميع المدن ولكنها احتفظت لنفسها حرية الحركة في الريف الكوردي. أما قاسملو فتوقع امكانية استمرار الحرب لمدة خمس سنوات مبنياً تخميناته على كمية الاسلحة التي هي بحوزة المقاتلين الكورد بعد أن استولت هذه القوات على ثكنات الجيش والشرطة في الربيع الماضي ولتدفق السلاح المهرب اليه عبر الحدود،

أما طهران ولهاجسها من عدم تمكنها إحراز نصر حاسم ولتحول المنطقة الريفية إلى ساحة حرب العصابات فقد إقتنعت بضرورة الدخول في مفاوضات جديدة مع الكورد، وفي إوائل تشرين الثاني قام وفد حكومي بزيارة مهاباد وأستقبل من قبل الالوف وكان البعض منهم مسلحاً ويرددون الهتافات المؤيدة لـ KDP.

وعد الوفد الزائر بأن يرسل إلى قاسملو والشيخ عزالدين عرضاً حكومياً مبنياً على نتائج محادثاته في مهاباد.

وفي منتصف كانون الاول ١٩٧٩ أرسلت الحكومة ردها الذي تضمن

الحقوق التي سبق وأن منحتها للأقليات التي تحوي ١٤ نقطة، العرض يمنح قدراً لابأس به في الحكم المحلي ولكن من وجهة نظر قاسملو العرض لايلبي المطالب الكوردية في الحكم الذاتي، كما أن العرض يمنح الكورد هذه الحقوق على أساس كونهم اقلية دينية (سنة).

وليست أقلية قومية. كما أن العرض يرفض الاعتراف بأية هوية كوردية ويصر المقترح على قيام الحكومة بتعيين مدراء الشرطة والأمن في المنطقة الكوردية.

كما أن الخلاف على حدود المنطقة الادارية كان هو الاخر سبباً في عدم التوصل إلى اتفاق بين الطرفين. فالكورد طالبوا بشمول أذربيجان الغربية من المنطقة الادارية وادعوا أن الاغلبية السكانية فيها كورد بينما رفضت الحكومة هذا الادعاء وادعت من جانبها أن الاغلبية هم أذريون ترك، ونقضت الحكومةالتنازل عن عيلام وكرمنشاه قائلة بأن الكورد فيهما هم من الشيعة وهذه الصفة الدينية تغلب الصفة القومية، إن الفشل في الاتفاق على حل أدى إلى إستئناف المصادمات مرة أخرى.

وفي منتصف شهر شباط ١٩٨٠ حاول قاسملو التوصل إلى نوع من الاتفاق مع الرئيس المنتخب الجديد بني صدر وقدم اليه خطة اقترح فيها استفتاءً في المناطق المختلف عليها لتحديد الأغلبية السكانية فيها واعطى مسؤوليةالاقتصاد والخارجية والدفاع إلى الحكومة المركزية، رفض بني صدر الخطة قائلاً أن لاحل للمسألة إلا بعد نزع سلاح المقاومة، رفض قاسملو هذا المطلب الا بعد وجود حل للمسألة.

اندلع القتال من جديد، الحكومة تسيطر على المدن والكورد على معظم المناطق الريفية، بقيت نحو ١٢٠,٠٠٠كم٢ بيد الكورد وبدأت حرب العصابات مع عدم قدرة إي طرف في تحقيق مطالبه، وفي ايلول ١٩٨٠

ألغىِ العراق اتفاقية الجزائر وقام بعد عدة ايام بغزو ايران، اما بالنسبة للكورد في كل من ايران والعراق فان الحرب كانت فرصة لامثيل لها منذ ولادة القومية لتحقيق طموحاتهم مترادفين.

الحرب العراقية الايرانية وما بعدها

عندما نستذكر الاحداث ونتأمل فيها نجد عظمة الفرصة التي أتاحها غزو صدام لايران للكورد في كلتا الدولتين.

ايران وقد انهكتها الثورة فانه من غير المحتمل أن تكون قادرة على امتصاص زخم الهجمات العراقية وفي نفس الوقت أن تقوم ببسط سيطرتها على كوردستان، عندما شنّ صدام حربه على ايران فانه كان يراهن على الفوضى السائدة في صفوف الجيش الايراني بعد الثورة لتحقيق نصر سريع يكفل له السيادة على كل شط العرب وبذلك يمسح الاذلال الذي احدثته له إتفاقية الجزائر وقد يكون بمقدوره ايضاً الاستحواذ على اقليم خوزستان الاقليم العربي الواقع وراء ضفة شط العرب.

ولكن تجري الرياح بما لاتشتهيه السفن حيث أن ايران للمت جراحها وجمعت قواها وكانت في مستوى الحدث وبدأ الجيش الايراني يدافع عن المدن الحدودية بعناد لم تتوقعه بغداد والمراقبون الاجانب، وفي الاشهر الاولى من ١٩٨٢ كانت ايران قد استفاقت من الصدمة الاولى وطردت القوات العراقية من اراضيها، كما استطاعت ايران من استخدام KDP العراقي ضد KDP الايراني في منطقة الحدود، لم تكن هنالك بين الحزبين اية علاقة مودة وخاصة أن KDP العراقي دأب على اتهام KDp الايراني بنبش وتدنيس قبر ملا مصطفى البارزاني في أوشنافيا داخل كوردستان ايران، وفي منتصف ١٩٨٢ كانت ايران قادرة على ارسال قواتها ضد

KDP الايراني، وفي تشرين الثاني استولت هذه القوات على طريق بيران شهر دشت واعتبر هذا النصر ضربة قوية لـ KDP الايراني نظراً لأهمية هذه الطريق في نقل القوات والامدادات لدعم المقاتلين، وفي ١٩٨٣ استمر الجيش هجماته للسيطرة على المرتفعات حول سردشت.

وبحلول ١٩٨٤ تكون الرقعة التي سيطر عليها الكورد داخل ايران قد أختفت، وقدر عدد من هلك في هذه الفترة بنحو ٢٧,٠٠٠ شخص جلهم من المدنين وقدر قتلى المقاتلين الكورد بحوالي ٢,٥٠٠ مقاتل.

إن خسارة المنطقة والقواعد الموجودة فيها جعلت KDP وكومالا ينبذان حرب العصابات التقليدية التي كانت مطبقة حتى هذا التأريخ، وبفضل شبكة المتعاطفين الحزبين في كوردستان تمكن الحزبان من توحيد المقاتلين في المناطق المدنية وتعتمد كل منطقة على عدد محدود من المقاتلين لتنفيذ العمليات وجمدا عدداً كبيراً من المقاتلين واستخدمت مجاميع صغيرة واقتصرت عملياتهم على هجمات ليلية ضد نقاط عسكرية، اما العراق فاستمر في تقديم دعم متواضع لكل من KDP الايراني وكومالا إلى أن وضعت الحرب اوزارها في أب ١٩٨٨.

إن تعامل الحكومة مع المعارضين الكورد بشكل خاص و الاخرين بشكل عام إتسم بالاعتباطية والتقلب الامر الذي يعكس صراع القوى المختلفة داخل السلطة على المراكز، وقبل نهاية ١٩٨٨ كان العديدون من الكورد المعتقلين قد ماتوا في موجات القتل الجماعي التي حدثت عند نهاية السنة، كان معظم الضحايا من حزب كومالا الذي تكن السلطات له كراهية شديدة وتبني الحزب للماركسية يعتبر الحاداً لاتوافق عليه السلطة، أما نظرتها إلى KDP فقد كانت اكثر مرونه ويعود السبب في ذلك إلى محاولات قاسملو في ايجاد حل مناسب مع طهران في ١٩٨٨.

إن رغبة قاسملو الجامحة للتوصل إلى تسوية عكست تشاؤمه حول جدوى الكفاح المسلح، ومع أن حرب العصابات استمرت في كوردستان إلا أنه لم يكن هنالك بصيص نور لتحقيق أي انجاز يذكر أمام جيش يبلغ قوامه ٢٠٠,٠٠٠ جندي متمركز في كوردستان، لم يكن الجميع في KDP يوافق قاسملو الرأي في تهدئة الامور مع الحكومة، وفي حزيران ١٩٨٨ حدث إنشقاق في KDP. الذين يخالفونه الرأي هم أولئك المقيمون في المهجر وخاصة في باريس وسرعان أن فقدوا كل مصداقية لهم.

رغم حدوث الانشقاق الحّ قاسملو على البحث عن تسوية مع طهران للمسألة، إن المناورات السياسية التي جرت حول فترة مابعد الخميني اوجدت فرصة للحوار، في نهاية ١٩٨٨ جرت لقاءات سرية ولكن قاسملو أغتيل عندما كان يعقد لقاءً مع ممثلين ايرانيين في فينا في تموز ١٩٨٩.

إن عملية اغتيال قاسملو كانت ضربة قاسية وكان لها أثر مدمر على KDP، لقد برهن قاسملو أنه شخصية يصعب ايجاد بديل له. واعترف الجميع على أنه أقدر سياسي بين كل الشعب الكوردي.

وبما أن اغتياله قد تم على ايدي المفاوضيين الايرانيين فانه لامعنى من اجراء أيه مفاوضات اخرى مع الحكومة.

أما كومالا الذي كان يتمتع بمركز قوي في الثمانينات فقد بدأ نجمه بالأفول ولم يعد له جمهور يذكر الا في منطقة صغيرة تحيط بمدينة سنناداج، وجاء هذا الانحسار في شعبيته على خلفية اندماجه في مجموعة شيوعية صغيرة لتشكيل حزب شيوعي جديد يشكل فيه كومالا فرع كوردستان، لقد كان كومالا هو الاخر هدفا للاغتيالات، بعد شهر من اغتيال قاسملو تم اغتيال عضو قيادي في كومالا في مطار لارناكا القبرصي.

لقد تدهورت علاقة كومالا مع KDP في السنوات الاولى للحرب العراقية

الايرانيـة، وفـي تشـرين الثـاني ١٩٨٤ قـتل قـيـادي من KDP على ايدي عناصـر من كومـالا الامـر الذي اطلق شـرارة الحرب بينهـمـا وبقـيت العلاقات سيئة بينهما إلى التسعينيات.

ومع أن KDP يتمتـع بشعبية وله جمـهوره في كوردسـتان ايران إلا أن نجاحـه في الميدان العسكري أمـر موضـع التسـاؤل، إن عملياته الليليـة جعلت الحركة على بعض الطرق غير مأمونة ولكنها كانت سـهلة الاحتواء بشكل عام، إن القيادة في KDP رغم اغـتيال قـاسملو لازالت تؤمن بأن المفـاوضـات هـي الطريق الامـثل لتـحـقـيق الحكم الذاتـي، وهنالك اعـتقـاد سائد مفاده أنه عندما يضعف الحماس الديني في الجمهورية الاسلامية فـان نظامـاً اكـثـر تحـررياً يظهـر في طهـران قـد يمنح الكورد قـدراً من الحرية لادارة شؤونهم، أما الان والحالة هذه فان كوردستان دون المناطق الاخرى من ايران ستبقى تحت ادارة الحكم العسكري.

حقوق الانسـان تنتـهك باسـتمرار، في ربيع ١٩٩١ دارت اشـاعـات بأن الكورد الذين سـبق لهـم وأن اعـتـقلوا قـدتم حكم الاعـدام فـيـهم بشـكل جماعي وذلك لبث الرعب في قلوب السكان كي لايحذو حذو كورد العراق في التمرد، أما في حقل الثقافة فكان هنالك بعض المرونة، إن السـمـاح بالطبع وبيع الكتب باللغـة الكوردية وان كان ذلك تحت مراقـبـة الدولة إلا أنه يُعـد ابتـعـاداً عن ممارسـات الدولة أيام الشـاه، يمكن تداول بـعض المطبوعات عن التأريخ الايراني والكوردي باللغة الكوردية، إلا أن التمييز على اسس دينية لايزال معمولاً به، الافراد من الشيعه هم المفضلون عند التعيين في الوظائف الحكومية.

الفصل الثامن

الكورد في العراق من الانتداب إلى البعث

كدولة فـأن العـراق اعتـرف بحـقـوق الكورد إلى مـدى ابعـد في الامـور الداخلية من كل من ايران وتركيا، ولكنه وجد نفسه مشتبكاً معهم في مواجهات كبيرة في السنوات الاخيرة وهو بذلك معروف اكثر من غيره في اضطهـاده للكورد على نطاق واسع. غير أن هنالك بعداً أخر مهماً للمسألة الكوردية يتمثل في الصراعات الداخلية ضمن المجتمع الكوردي نفسه وكيفية تأثير هذه الصراعات على صراع الكورد مع الحكومة ومبلغ الضرر الذي احدثته لطموحات الكورد القومية والسياسية.

الكورد في ظل الانتداب البريطاني ١٩١٨- ١٩٣٢

العراق الحديث هو نتاج الولايات العثمانية في بلاد ما بين النهرين (ميسووتاميا) نتيجة الحرب العالمية الاولى وإحتلال هذه الولايات من قبل الجيش البريطاني في ١٩١٤ - ١٩١٨. لم تكن عملية احتلال العراق سهلة ولم تسقط بغداد بايدي الانكليز إلا في ١٩١٧.

وفي مـايس ١٩١٨ تم الاستيلاء على كركوك وعلى الموصل رغم اعترافات العثمانيين حيث أنها سقطت بأيام قليلة بعد هدنة مودرس في ٣٠ تشرين الاول ١٩١٨، وفي غضون أسابيع انسحب العثمانيون من جميع اجزاء ولاية الموصل إلى الشمال عند زاخو، كان في نية البريطانيين تأسيس دولة عربية مع ايجاد مناطق كوردية شبه مستقلة

ملحقة بالدولة العربية المزمع اقامتها على أساس مبادئ الرئيس ويلسن الاربعة عشر على أن تتولى بريطانيا ادارة الاقتصاد العراقي وخصوصاً مخزونات النفط الواقعه في ولاية الموصل.

كانت هنالك مبررات قوية لقيام اقليم كوردي وعصبة الامم التي تأسست مؤخراً ترى أنه عند اخذ المسألة القومية بنظر الاعتبار فان دولة كوردية يجب أن تقام طالما أن الكورد في ولاية الموصل يشكلون ٨/٥ من مجموع السكان.

كما أنها وجدت أن الكورد من دون جميع القوميات المسلمة ترك وعرب كانوا على علاقات جيدة مع الاقليات المسيحية من نساطرة وكلدان، ولكن كورد ولاية الموصل لم يكونوا متحدين.

أما فيما يتعلق بالكورد في المنطقة المتنازع عليها فان المقيمين منهم شمال الزاب الكبير على صلات اقوى مع الكورد في تركيا بسبب اللغة والصلة القومية والعلاقات الشخصية والاقتصادية بينما أولئك الذين يقيمون جنوب الزاب الأصغر فصلاتهم مع الكورد في ايران هي الاقوى.

وضمن هاتين المنطقتين فان الرحل من القبائل لها نمطها الخاص بها في الحياة بينما كورد المدن والمستقرون منهم لهم نمط اخر.

وحتى المستقرون في القرى كانوا منقسمين لايعترفون بسلطه غير سلطه زعيم العشيرة، أما الروح القومية فيعبر عنها بشكل سلبي يتمثل في رفض السيطرة السياسية للدخلاء.

لاشيء أدل على الانقسام الكوردي من جهود البريطانيين لتنصيب الامير فيصل ملكاً على العراق كله وهل أن هذا المقترح مقبول لدى الكورد؟ صوتت الموصل واربيل بالايجاب، كركوك طلبت تأجيلاً للاستفتاء ولكنها في ١٩٢٣ صوتت بالايجاب. والأمر المثير للاهتمام أن كورد

كركوك طالبوا بولاية مستقلة شريطة أن لايكونوا منضمين إلى كورد السليمانية أما السليمانية فكانت الوحيدة في رفضها للمقترح البريطاني وصوتت ضدّ الارتباط مع بغداد.

ولضمان سير العملية الادارية لحين ايجاد حل سياسي قررت بريطانيا العمل من خلال القيادة الكوردية التقليدية ولكن المخطط فشل، في السليمانية طلبت بريطانيا من شيخ محمود البرزنجي تولي منصب الحاكم فيها في ١٩١٩ على شرط أن يتلقى أوامره والتوجيه من البريطانيين. كان الشيخ محمود قوياً جداً على المستوى المحلي لأنه يجمع بين سلطة الاغا ونفوذ الشيوخ، منح الشيخ منطقة نفوذ واسعة الامر الذي جعله يتصادم مع رؤساء العشائر الاخرين وخاصة عشائر كركوك وكفري وزاخو عمادية وكذلك عشائر أربيل وبارزان وحتى في بنجوين وحلبجة اللتان تقعان على مسافة قصيرة من السليمانية (٢٠ ميلاً) لم يستطيع الشيخ محمود ممارسة سلطته بدون تحدٍ، أما في بغداد فان العائلات الكوردية التي اخذت تعمل مع الحكومة مثل بابان فانها إتخذت موقفاً معادياً له، وهكذا عندما تحدى السلطات البريطانية في ١٩١٩ لم تجد هذه السلطات صعوبة في ازاحته ونفيه إلى الهند.

في الايام الأولى للادارة البريطانية في كوردستان جرت تدخلات من الترك الكماليين الذين حاولوا استعادة سيطرتهم على المنطقة الجبلية حتى رواندوز في ١٩٢٢، ولوجود نوع من الاضطراب و الهيجان في معظم اجزاء كوردستان العراق ومخافة وقوعها بايدي الكماليين استدعت بريطانيا الشيخ محمود من منفاه واسدت إليه النصح بضرورة الانصياع لأوامرها وأن يعمل حسب مشيئتها.

أما الشيخ محمود وعندما استقربه المقام في السليمانية فانه دخل في

اتصالات مع الترك محاولاً تأليب القوتين أحداهما على الاخرى وبعد ذلك أعلن ثورته التي سحقت بعد قصف الطائرات لمقره.

وبعد استعادة السيطرة البريطانية على السليمانية تقرر الحاق المنطقة بالعراق مع الاتفاق على اقامة ادارة كوردية مؤقتة في السليمانية التي اشترطت بقائها في السليمانية بعدم عودة الشيخ محمود اليها، وعندما انسحبت القوات البريطانية من السليمانية استقالت هذه الادارة المؤقتة فيها خوفاً من انتقام الشيخ محمود منها، وعندما حاول الشيخ محمود مهاجمة جيرانه في صيف ١٩٢٣ تدخلت القوات البريطانية واخرجت شيخ محمود من السليمانية.

قررت بريطانيا على أثر ذلك حكم المنطقة بشكل مباشر من خلال موظفين كورد واعترفت بالثقافة واللغة الكوردية وقامت بنفسها بادراة المنطقة لعدم وجود قوة اخرى عراقية أو كوردية قادرة على القيام بهذه المهمة.

اثناء المفاوضات بين الحلفاء والكماليين في لوزان قدم عدد من الزعماء الكورد عريضة لاقامة دولة كوردية في كوردستان العراق ولكن زعماءً كوردُ أخرون مناوئون لهم اعترضوا على ذلك وأيدوا حكومة بغداد.

لم يخامر بريطانيا ولاعصبة الامم التي منحت حق الانتداب لبريطانيا لحكم العراق الشك بوجود شعور قومي كوردي وإن كان هذا الشعور في مراحله الأولى من التكوين في السليمانية وأجزاء اخرى من كوردستان، على أية حال فان الكورد في كركوك لايقبلون بحكم كورد السليمانية وخاصة إذا كان الحكم من الشيخ محمود، وحتى داخل السليمانية كان جمهور المثقفين يعارضون تولي الشيخ محمود السلطة فيها. كما أن كوردستان باكملها مرتبطة اقتصادياً بالمنطقة السهلية وهي مدن في غالبيتها عربية وتركمانية.

لهـذه الاعـتـبـارات كـانت بريطانيـا تأمل أن الكورد في أخـر المطاف سيقبلون بالانضمام إلى الدولة العربية في العراق، أما بغداد فانها من جهتها تعهدت بأن تكون وفية لتوصيات عصبة الامم في السماح للكورد باستخدام لغتهم في التعليم والادارة وإن كان الامر ينطوي على بعض الصعوبة نظراً لوجود عدة لهجات وعدم وجود لغة مكتوبة مشتركة ولكن ذلك لن تكون عقبة كأداء إذْ يمكن ايجاد لغة مشتركة بين الجميع غير أن هذه التعهدات لم يرد لها ذكر في المعاهدة الانكلو عراقية في ١٩٣٠ التي منحت الاستقلال للعراق ووضعت حيز التنفيذ في ١٩٣٢. لم يشعر الكورد بالأمان ازاء ذلك حيث انهم كانوا يريدون ضمانات دولية مكتوبة وموثقة. كما لم تتخذ أية خطوات بخصوص استخدام اللغة الكوردية كما لم يجري طبع أي كتاب مدرسي أو تدريب للمعلمين.

في ١٩٢٦ وقبيل تقديم استقالته صرح رئيس وزراء العراق عبد المحسن السعدون بما يلي الايمكن لهذه الامة أن تحيى من دون أن تحصل كل مكوناتها على حقوقها.

إن تركيا وماحلّ بها يجب أن تكون درساً للجميع وعلينا أن لانعود إلى سياسة الدولة العثمانية، يجب أن نمنح الكورد حقوقهم وأن يكون الموظفون في المنطقة منهم ويجب أن تكون لغتهم اللغة الرسمية، علينا التعامل مع جميع مكونات الشعب العراقي سواءً اكانوا مسلمين أم غير مسلمين بشكل عادل ومنصف.

إلا أن نصيحة الرجل هذا ذهبت أدراج الرياح ولم تلقى اذاناً صاغية بسبب عجز الحكومة اولاً ولأن اعطاء امتيازات للكورد سيدفع بشيعة الجنوب إلى المطالبة بحقوق مماثلة ثانياً.

دور ملا مصطفى البارزاني

وعند الحاق ولاية الموصل ببغداد ثارت ثائرة الشيخ محمود و طالب بكوردستان موحدة، وفي ربيع ١٩٣١ لحقت به الهزيمة وأرسل هو وافرد عائلته إلى المنفى في الجنوب، وقدم عدد من الكورد مطالباً اكثر اعتدالاً ولكن الحكومة لم تكن مستعدة للنظر فيها، أما البريطانيون فقد أصيبوا بالحيرة وعدم الرضا ازاء خطوات الحكومة الخجولة لتهدئة روع الكورد وتبديد مخاوفهم، خرجت المظاهرات الاحتجاجية في السليمانية وحدث اضطرابات وإضرابات فيها وربما كانت هذه باكورة تحرك الطموح الشعبي إذ أنها جرت من قبل العمال والتجار وأهل المدن.

وباعتقال الشيخ محمود ونفيه تولى زعيم كوردي أخر مركز القيادة بين الكورد المطالبين بالاستقلال، وهذا الزعيم الجديد هو ملا مصطفى البارزاني الذي شاءت الاقدار أن يقترن إسمهُ بالثورة الكوردية وليكون رمزاً لها إلى يوم رحيله في عام ١٩٧٩. كان ملا مصطفى مهماً لالمقاومته الطويلة لحكومات بغداد فحسب بل ولأنه كان يمثل المؤسسة التقليدية للمشيخة التي جمعت بين السلطه الدنيوية و الدينية.

بارزان قرية بعيدة تقع في الشمال الشرقي من العراق وكانت لأزمنة بعيدة أرضاً للتمرد عصية على الحكومات نادراً ما وصلتها سلطة الدولة، كان جد ملا مصطفى الشيخ محمد احد شيوخ الطريقة النقشبندية البارزين وهو أول من جلب الشهرة للعائلة، ونتيجة للمريدين الذين جمعهم حوله اصبح هو ومن بعده نسله قادة دينيين ودنيويين في المنطقة ولم يستطع احد من الكورد أن يجمع حوله مثل هذا العدد من المؤيدين والاتباع أو أن يحوز على مثل هذه الشهرة.

كانت المصادمة الاولى له مع السلطات على خلفية محاولات الحكومة توطين عدد من المسيحيين الاشوريين الذين هربوا من منطقة حكاري في منطقة مجاورة لبارزان.

ولمحاولة الحكومة ايضاً ادخال الادارة والشرطة إلى المنطقة وفرض قانون الضريبة فيها، استلم هو وشقيقه الاكبر الشيخ احمد إلى الاتراك عبر الحدود ولكن صدر عفو عام عنهم في عام ١٩٣٣، وبعد مضي عشر سنوات هرب إلى بارزان ليواصل الصراع مع الحكومة يعاونه القوميون الكورد الأمر الذي اعطى مؤشراً أن العائلة البارزانية اخذت طابعاً قومياً في الكفاح.

وبحلول ١٩٤٥ كان البارزاني زعيماً متنفذاً في المنطقة يتدخل في النزاعات العشائرية وفي توزيع الدولة للمؤن. كما صد جميع محاولات الحكومة للقضاء عليه، في اواخر ١٩٤٥ استطاعت القوات الحكومية من الحاق الهزيمة به ومطاردته إلى أن دخل ايران وانضم إلى القاضي محمد ليدلي دلوه في تجربة جمهورية مهاباد ثم ليغادرها بعد سقوط الجمهورية إلى الاتحاد السوفيتي ليمضي فيه اكثر من ١١ عاماً قبل أن يعود إلى العراق في ١٩٥٨ بعد سقوط النظام الملكي الهاشمي.

ساد شعور بعدم الرضى العلاقة بين الكورد والحكومة كانت قرارات الحكومة بخصوص التعليم والخدمات ضعيفة ولكن لو كانت هذه القرارات اشد واقوى عند التنفيذ لاحدثت صراعاً في المجتمع الكوردي.

إن القاعدة التي، بموجبها يكون الموظف في المنطقة كوردياً أو من يحسن التكلم بالكوردية نسفت مركز الشيوخ والأغوات وعززت من سلطة الدولة لأنه لم يعد الأغا الشخص الوحيد الذي يتحكم في الخدمات التي تقدم للمواطنين.

تمكن البارزاني من العودة إلى العراق بعد الانقلاب الذي قام به الزعيم عبدالكريم قاسم في ١٩٥٨ وأطاح بالنظام الملكي في العراق، إن علاقات البارزاني مع قاسم ومع الكورد المجاورين له عكست حاجة الزعيم الطموح إلى اعتراف الدولة والكورد له كي يقوم بتحقيق اهدافه.

لحظة عودته من منفاه عقد البارزاني علاقات وطيدة مع عبدالكريم قاسم، كما أنه شدد من قبضته على KDP الذي لم يكن بعد حزباً رسمياً معترفاً به مستغلاً نفوذه وإعتماده على أتباعه من افراد العشائر البالغ عددهم ٦٠٠٠ مقاتل.

وهذا العدد من المقاتلين يفوق أية قوة كوردية محلية أخرى، أجبر البارزاني المكتب السياسي للحزب على قبول حمزة عبدالله المتمتع بتأييد ورعاية البارزاني في الحزب واعادته إلى مركزه السابق سكرتيراً للحزب، وفي وقت لاحق عندما وجد البارزاني من حمزة عبدالله معارضة له أمر اعوانه باقتحام مقرات الحزب وطرد حمزة عبدالله.

تعاون البارزاني مع قاسم على دحر أعداء الاخير من قوميين عرب وأنصار الملكية، في اذار ١٩٥٩ اشترك رجال البارزاني في مجزرة الموصل التي وقعت في اعقاب تمرد عسكري حدث في المدينة، ثم تعاون مع الشيوعيين للقضاء على عدوهما المشترك التركمان في كركوك و هو عمل أثلج صدر قاسم، وبعد مضي فترة انقلب البارزاني على اصدقائه السابقين الشيوعيين بايحاء من قاسم وكوفيء على عمله هذا باعتراف الحكومة بحزبه KDP.

وبهذه الطريقة تمكن البارزاني من تقوية مركزه داخل الحزب بصورة كبيرة ومنح تأييداً كبيراً ضد هؤلاء الكورد الذين يقفون ضد قاسم.

- كانت لعدد من هؤلاء الكورد عداوات قديمة مع العائلة البارزانية

وكانوا يؤيدون الحكومة الملكية، وكان بعض منهم في نزاع مع البارزانيين منذ مطلع القرن العشرين وحتى قبل ذلك، إن هذا الصراع يعكس الصراع العشائري العميق الجذور في المجتمع الكوردي ويعكس ايضاً تحالفات الدولة مع العشائر.

وعندما دبرّ البارزاني اغتيال زعيم عشيرة الزيبار يين في ١٩٦٠ أدرك قاسم خطأه في إطلاق يد البارزاني حرة وعدم قيامه بايجاد توازن للقوى داخل المجتمع الكوردي. بدأ قاسم بسحب تأييده للبارزاني وحاول منعه من ملاحقة مناوئيه في كوردستان، كما بدأ قاسم يشجع بعضاً من رؤساء العشائر ويجهزهم بالاسلحة للوقوف في وجه البارزاني وطموحاته، وفي نهاية ١٩٦٠ كانت القطيعه بينهما واضحة.

في ١٩٦١ طالب البارزاني ضرورة أن يتضمن الدستور الجديد قدراً من الحكم الذتي للكورد، في هذا الوقت ادرك البارزاني أن قاسم لن يتعاون معه إلى مدى أبعد مما فعله حتى الان لأن من شأن ذلك رفع أسهم البارزاني بين الكورد وداخل KDP. لقد ذهب قاسم شوطاً اكبر من النظام السابق في الاعتراف بحقوق الكورد.

الكورد والعرب شركاء في هذا الوطن والدستور يكفل حقوق الكورد ضمن اطار الجمهورية العراقية، لقد تم تعيين عدد من الكورد في وظائف عليا، كما ازدهر الطبع باللغه الكوردية.

ولو أن للبارزاني اعداء كثيرون في كوردستان فان بوسعه استغلال سخط البعض على النظام الحالي. فبعضهم حزن لرحيل الملوك ولهم في ذلك اسبابهم حيث أن قانون الاصلاح الزراعي ضرب الملاكين في الصميم. وبمقدور البارزاني والأغوات المتذمرين الاستفادة من رجال العشائر الذين لم يرق لهم قانون احتكار التبغ والضريبة الجديد، وعليه

فقد كان البارزاني مهيأ جيداً لكي يبدأ قتاله مع خصومة الزيباريين الذين يحظون بتأييد الحكومة لهم في خريف ١٩٦١ ليتطور القتال هذا إلى حرب شاملة ضد قاسم.

لم ينضم KDP الى البارزاني في الثورة ضد قاسم ولم يفعل ذلك إلا بعد أن فرض قاسم الحظر عليه، لم يكن KDP وخاصة المكتب السياسي مرتاحاً للطريقة التي يدير بها البارزاني شؤون الحزب بعد عودته من الاتحاد السوفيتي، لعب البارزاني دورا مهماً في الحزب منذ ١٩٤٦ ولكن الخلاف بين وجهة نظره التقليدية وبين وجهة نظر الاخرين من المدنيين والعناصر اليسارية لم يحسم بعد.

في ١٩٤٦ تغلب على اليساريين ولكن في ١٩٥٣ و اثناء وجوده في المنفى فان هؤلاء و من ضمنهم جلال الطالباني وابراهيم احمد من اعضاء المكتب السياسي شكلوا قيادة جماعية وشاركهم في معارضة البارزاني اخرون في الحزب.

إنه الصراع بين ديمقراطية الحزب و بين القيادة العشائرية التقليدية، ووجدت الخلافات الموجودة داخل المجتمع الكوردي فرصة للتعبير عن نفسها في النزاع الذي يدور رحاه داخل KDP، لقد نجم عن هذا الموقف غير المرض وغير المحسوم غياب هدف قومي وهيمنة العناصر القبلية والولاءات التي احبطت كل نشاط قومي، كان الدافع والمحرك للثورات الكوردية هو الكبرياء والشرف واحتمالات الحصول على مكاسب مالية ورغبة في الكفاح ضد تغلغل نفوذ الحكومة عن طريق اهداف قومية.

إستغل جيران العراق الحرب لمصلحتها، فتركيا التي كانت تعادي عبدالكريم قاسم كانت مرتاحة في تبني موقف محايد وللسماح للكورد العراقيين في التحرك داخل الاراضي التركية عندما لايحاولون تصدير

ثورتهم إلى كورد تركيا، أما ايران فقد كانت ايجابية اكثر في مساندة التمرد الكوردي ولكنها مثل تركيا تشترط أن لاتكون دعوة الكورد العراقيين الانفصالية للتصدير إلى كورد ايران، لقد كان البارزاني على استعداد لقبول هذه الاشتراطات.

إن حرب بغداد ضد الكورد أصبحت واقعا يومياً معاشاً واحدى مسلمات الحياة العادية، تمت الاطاحة بقاسم في شباط ١٩٦٣ من قبل البعثيين الذين هم الاخرون أطيح بهم بعد سنة من قبل عبدالسلام عارف، تفاوض عارف بسرعة مع البارزاني ورتب معه وقفاً لاطلاق النار في شباط ١٩٦٤.

إن قبول وقف اطلاق النار أدى إلى حدوث انشقاق حاد بين البارزاني والمكتب السياسي لـKDP، قاد الانشقاق كل من ابراهيم احمد وجلال طالباني، اما الاسباب الكامنة وراء الانشقاق هذا فتتلخص في أن البارزاني لم يأخذ برأي الحزب في موضوع وقف اطلاق النار، أما السبب الثاني فهو أن البارزاني قبل من عارف عرضاً هو أقل بكثير مما عرضه قاسم للكورد في ١٩٥٨ وشمل الاتفاق حل القوات الكوردية، وكان وراء هذه الانتقادات العلنية سبب رئيسي اخر يتعلق بطريقة عمل البارزاني وادارته للحركة واهدافه، إن طريقة عمله هي غريبة ومنافية للروح القومية التي تتمتع بها الطبقة المثقفة داخل المدن الذين يدعون إلى التشاور وضرورة التوافق في الرأي، أما رد البارزاني عليهم فكان مطاردة مجموعة ابراهيم احمد وجلال الطالباني إلى داخل ايران، لم يجد البارزاني صعوبة في مطاردتهم لأنه كان يسيطر على معظم مناطق كوردستان العراق ولأنه يملك اعداداً اكبر من المقاتلين الذين يمكنه الاعتماد عليهم والوثوق بهم.

ولأن لهؤلاء قيادة مدنية فلم يكن من المستغرب أن يستطيع المكتب السياسي من العمل في المنطقة السهلية وداخل المدن الكوردية إن برامج الحزب التثقيف السياسي وتشكيله لمجالس القرى ومحاربة الامية وجمع الضرائب من اهالي القرى كلها كانت اموراً أغضبت الزعماء الاقطاعيين الذين كانوا أصلاً يجدون في KDP عدواً لهم، وكان هنالك سبب اخر مهم يتلخص في كون معظم أعضاء المكتب السياسي ينتمون إلى منطقة السليمانية بينما معقل البارزاني يقع في الشمال.

المنطقتان تنتميان إلى لهجتين مختلفتين هما السورانية في السليمانية والكرمانجية في منطقة دهوك و الموصل، رغم حصول بعض التهدئة بين البارزاني واعضاء المكتب السياسي فان الخلافات بينهما بقيت قائمة إلى أن رفض اعضاء المكتب السياسي قيادة البارزاني في ١٩٦٧.

ولأجل قطع الطريق على الطالباني الذي هو الآخر كان يحاول التفاوض مع بغداد وافق البارزاني على هدنة في ١٩٦٦، وبعدها بمدة قصيرة قبل بمشروع بغداد المكون من ١٢ نقطة (تموز ١٩٦٦) والذي يلبي معظم المطالب الكوردية، ولكن حكومة رئيس الوزراء عبد الرحمن البزاز سقطت قبل أن تتمكن من تنفيذ الاتفاقية وساد الفتور العلاقات وحدثت مصادمات مسلحة إلى أن وقع انقلاب البعث في ١٩٦٨.

الفصل التاسع

الكورد في العراق في ظل حكم البعث

لقد سبر كل من البارزاني والبعث غور الواحد منهما الاخر وذلك اثناء حكم البعث قصير الأمد في ١٩٦٣. و بعد انقلاب ١٩٦٣ قبل الطرفان وقفاً لاطلاق النار و باشرا البحث عن إتفاقية، بعد اتفاق أولي بدأ الطرفان بالتراجع عن مواقفهما السابقة، فكل طرف يقبل اليوم باشياء ويرفضها في اليوم الاخر، البعثيون لا يثقون بالبارزاني لأن عدداً منهم قتلوا على ايدي اعوان البارزاني عندما ساعد عبدالكريم قاسم في التخلص من مناوئية، أما البارزاني فلم يكن مرتاحاً لقيام البعثين بالتعاون مع الجمهورية العربية المتحدة التي تضم كلاً من مصر و سوريا، وقويت هذه الشكوك لدى البارزاني عندما سافر غريمه جلال الطالباني إلى القاهرة بموافقة البعثيين للحصول على تأييد جمال عبدالناصر لدعم مطالب الكورد في أية تسوية.

في حزيران من عام ١٩٦٣ إندلع القتال بين البارزاني والبعثيين عندما اوقف البعثيون الوفد الكوردي المفاوض وبدأ الجيش هجومه الكبير على قوات البارزاني، ورد البارزاني ومعه KDP على هجمات الجيش بالهجوم على مواقع عسكرية ونصب الكمائن للقوافل العسكرية وحرقِ القرى الكوردية التابعه للجماعات التي وقفت إلى جانب الحكومة، ولكن البارزاني خسر مساحات واسعة إلى الحكومة، بحلول الشتاء توقفت العمليات العسكرية بسبب البرد ولتفاقم الخلافات داخل صفوف حزب

البعث وبسبب صلابة وحنكة المقاتلين وخبرتهم في حرب الجبال، انهارت محاولات الحكومة في الحاق الهزيمة بالقوات الكوردية عندما تمت الاطاحة بحكم البعث في تشرين الثاني من عام ١٩٦٣.

إن ما قدمه نظام البعث للكورد هو اكبر من اي عرض قدمته أيه حكومة عراقية سابقة أو أية حكومة تركية أو ايرانية، وعند تسنم البعث مقاليد الحكم من جديد بعد انقلاب ١٩٦٨ كان حل المسألة الكوردية بالطرق السلمية على رأس اولويات الحكومة واقترح البعثيون العودة إلى خطة ١٩٦٦ التي رسمها رئيس الوزراء عبدالرحمن البزاز المؤلفه من إثنتي عشرة نقطه، ولكنهم من جديد وقعوا في مشاكل مع البارزاني، فكل طرف ينظر إلى الاخر بعين ملؤها الشك والريبة، شعر البعثيون بخيبة امل كبيرة و مرارة شديدة لانهم وجدوا أن البارزاني كان على استعداد لقبول عروض كانت أقل بكثير من حكومات جاءت إلى الحكم بعد الاطاحة بالبعث في تشرين الثاني ١٩٦٣.

ومن جانبه فان البارزاني لم ينس ما فعله البعثيون بكوردستان عندما هاجموا قوات البارزاني وكيف انهم استعانوا بالعشائر الكوردية المناوئة للبارزاني وكيف انهم استقدموا قوات سورية للحرب في كوردستان.

لقد كان هنالك سبب اخر لهذه الحساسية بين الجانبين وهو أن جناح الطالباني في KDP وحزب البعث كانا حليفين ايدولوجياً فكلاهما يساريان يدعوان إلى الاخوه العربية الكوردية، في هذه الحالة يتم تهميش البارزاني وهذا أمر لايطيقه البارزاني وخاصة أنه في تخاصم مع الطالباني.

وعند الاعلان عن الحل السلمي المقترح للمسألة الكوردية المبني على الحقوق والواجبات المتساوية رحب به جناح الطالباني بينما نظر إليه فصيل البارزاني بالحذر.

كان الطالباني ومن دون اي شك يأمل أن تعتبر الحكومة جناحه في KDP الحليف الطبيعي للبعث وبذلك يكون الممثل الرسمي المعترف به للكورد، أما في كوردستان ذاتها فان المصادمات بين قوات الطالباني والبارزاني كانت مستمرة وبدا الوضع كما لو أن الطالباني هو الغالب فيها.

ومع أن قوات الطالباني كانت أقل عدداً إلا انها كانت تسيطر على معظم المدن الكوردية وله ميزة الاسناد من قبل جيش محترف، ولكن الطالباني لم يكن يقاتل خصماً يفوقه عدداً فحسب بل واحداً يتمتع بولاءات عشائرية وولاءً لقائد كوردي تأريخي يستمد قوته من القرى البعيدة داخل كوردستان وهؤلاءهم اصلب الرجال وأمهرهم في حرب الجبال بالاضافة إلى كل ذلك كان البارزاني يحصل على مساعدة جيدة وكان شاه ايران الذي يحمل الضغينة للبعث احد هذه المصادر وCIA واسرائيل مصدر اخر لهذه المساعدة.

ساهم عاملان اخران في هزيمة الطالباني، أولهما أن الكورد الذين قاتلوا بنجاح طوال فترة الستينات اصبحت لديهم قناعة قوية بانهم قادرون على الحاق الهزيمة بالجيش العراقي وبناء دولتهم، الطالباني بتحالفه مع بغداد جعل سمعته عرضة للانتقاد وخاطر بمركزه بين الكثيرين من الكورد واعتبروه خائناً وسهل على البارزاني إظهار جلال بمظهر الخائن لشعبه.

إن فشل الطالباني في ساحة القتال ضد البارزاني اقنع البعث وخاصة صدام بأن عليهم التخلي عن الطالباني والتفاوض مع البارزاني إن هم ارادوا تسوية المسألة الكوردية سلمياً.

اتفاقية السلام ١٩٧٠

أثمرت المفاوضات التي جرت مع البارزاني أواخر ١٩٦٩ عن وقف لاطلاق النار وأعلان إتفاقية سلام في ١١ أذار ١٩٧٠. وتمحورت الخلافات في هذه الفترة على إصرار البارزاني في أن تنهي الحكومة علاقاتها مع الفصيل المؤيد لابراهيم أحمد وجلال الطالباني لا على الحقوق للكورد وأصر البارزاني ايضاً على ضرورة قيام الحكومة بحل القوات الكوردية غير النظامية والمؤلفة من افراد العشائر المناوئة للبارزاني ورضخت الحكومة لهذه المطالب.

أما على الصعيد الانساني فان حرب عقد من الزمن كانت باهظة التكاليف، وطبقاً لتقرير من الامم المتحدة فان ٤٠,٠٠٠ منزلاً هدم في ٧٠٠٠ قرية وتم تشريد نحو ٣٠٠,٠٠٠ شخص وقدر عدد الاصابات بين قتيل وجريح نحو ٦٠,٠٠٠ إصابة من ضمنهم الذين قتلوا على ايدى اعوان البارزاني.

اعترفت الاتفاقية كون العراق مكوناً من قوميتين رئيستين يكون الكورد فيه شركاء متساويين مع العرب وضمت البنود الآتية:

١- مشاركة الكورد في الحكومة بما في ذلك المراكز العليا فيها.

٢- الاعتراف باللغة الكوردية في المناطق التي يشكل الكورد فيها الاغلبية السكانية وتدرس العربية والكوردية في المدارس كافة.

٣- تفعيل الثقافة والترات الكورديين.

٤- ضرورة إتقان موظفي المنطقة الكوردية للغة الكوردية.

٥- لهم الحق في تأسيس اتحادات الطلبة والشباب والنساء والمعلمين.

٦- تطوير اقتصاد المنطقة الكوردية.

٧- اعادة الكورد إلى قراهم أو تعويضهم مالياً.

٨- ادخال الاصلاح الزراعي.

٩- تعديل الدستور ليكون على النحوالآت يتكون الشعب العراقي من قوميتين رئيسيتين هما القومية العربية والكوردية.

١٠- تسليم محطة الاذاعة السرية والأسلحة الثقيلة إلى الحكومة.

١١- تعيين نائب كوردي لرئيس الجمهورية.

١٢- تعديل قوانين المحافظات بما ينسجم ونصوص هذا البيان.

١٣- اقامة منطقة كوردية للحكم الذاتي.

الزمت الاتفاقية الحكومة بتنفيذ بنود الاتفاقية في فترة أقصاها اربع سنوات، وصرح البارزاني بما يأتي: في البداية جاء البعثيون وقالوا انهم سيمنحوننا حكماً ذاتياً. قلت أن هذه خدعة قبل أن أوقع على البيان، ولكن شعبنا الكوردي قال "كيف نرفض حكماً ذاتياً لشعبنا الكوردي"

إذن لماذا أتفق البارزاني مع بغداد إذا كان وحسب تصريحاته لايثق بالبعثيين؟ إن الانهاك الذي اصاب الكورد من هذه الحرب وعلمهم أن المعونة الايرانية لهم هي لغرض إضعاف حكومة بغداد لا لانتصار الكورد في الحرب كان سبباً لقبول البارزاني بالاتفاقية، بالاضافة إلى ذلك وجد البارزاني فيها فرصة لتقوية مركزه ضمن الحركة الكوردية مع الحاق اكبر قدر ممكن من الاذى بفصيل جلال وابراهيم أحمد. وإذا حدث وأن نكث البعثيون بوعودهم فانه يستطيع أن يلوذ بالجبال كقائد كوردي بدون منازع.

في عام ١٩٧٠ تم تنفيذ عدد من فقرات الاتفاقية بما في ذلك تعديل الدستور بشكل يوائم المادة التاسعة من الاتفاقية وتم تعيين موظفين كبار

بما فيهم محافظي اربيل و دهوك وكذلك مدراء شرطة لدهوك واربيل والسليمانية كما تم انشاء عدد من المعامل وبدأ التسريع في تطبيق قانون الاصلاح الزراعي.

ويبدو أن اتفاقيات سرية نفذت هي الاخرى، أما جلال فقد وجد نفسه معزولاً ومهمشاً وسافر ابراهيم احمد إلى لندن للمعالجة الطبية الطويلة وأغلقت صحيفتهم وتم ايضاً تسريح القوات الكوردية غير النظامية المناوئة للبارزاني.

رغم الانتقادات الكثيرة الموجهة إلى الحكومة وتلكؤها في تنفيذ بنود الاتفاقية فان الارقام تتحدث عن نفسها.

في غضون سنة من التوقيع على الاتفاقية بدأ العمل في انشاء المستشفيات والمدارس وتم بناء ٢٧٠٠ دار وبدأت الامور تسير وكأن كل شيء على مايرام.

السؤال الذي يطرح نفسه الان هو لماذا إنهارت الاتفاقية؟ الأمر المؤكد هو أن كل طرف كان يرتاب في الطرف الاخر، في صيف ١٩٧٢ وبتشجيع من ايران والولايات المتحدة واسرائيل عزّز البارزاني قبضته على المنطقة الكوردية ورفع من سقف مطالبه لتشمل امتيازات عسكرية ونفوذاً سياسياً اكبر وبدأ بالادلاء بتصريحات استفزازية حول دعم خارجي له. وتركزت الصعوبات مع بغداد حول ترسيم حدود المنطقة الكوردية وكيفية اشتراك KDP في الحكم و علاقات البارزاني مع ايران، إن رفض بغداد لمرشح KDP لمنصب نائب الرئيس جاء على خلفية علاقات KDP مع ايران. لم يستطع الكورد الاتفاق على اسم بديل مع علم الجميع بأن المنصب هو رمزي خال من أي نفوذ سياسي.

كما كانت مسألة اجراء عملية الاحصاء لمعرفة مناطق الاكثرية الكوردية

سبباً اخر من اسباب الخلاف، أجلت عملية الاحصاء عدة مرات، في المرات الاولى باتفاق الطرفين، لم يوافق البعثيون على التنازل عن كركوك بسبب مخزوناتها النفطية وكان متردداً في تثبيت القومية الغالبة من بين العربية والكوردية والتركمانية، وكانت القومية الاخيرة أقل عداء للكورد عما كانت من قبل بل وأن الكثيرين فيها فضلوا حكم الكورد على الحكم البعثي، اتهم البارزاني البعثيين بجلبهم العرب إلى كركوك وإلى المناطق الاخرى للاخلال بالتوازن السكاني فيها، أما البعثيون فقد اقترحوا الرجوع إلى احصاء ١٩٥٧ أو ١٩٦٥ بدلاً من اجراء احصاء جديد، وتركز الخلاف ايضاً حول مسألة قيام العراق بطرد الكورد الفيليين الذين ادعت الحكومة بانهم رعايا ايرانيون يعيشون في العراق بدون تجنس كما أن الحكومة ابدت مخاوفها من قيام الكورد بادخال اكراد من تركيا وايران لتغير التوازن السكاني في المناطق الحساسة مثل كركوك.

حدثت مصادمات بين الحكومة وقوات البارزاني، اتهم الكورد الحكومة بتعزيز تواجدها في المنطقة، أما الحكومة فبدلاً من نفي التهمة بررّت تعزيزاتها لمواجهة الخطر الايراني على امتداد الحدود و قالت بأن حرس الحدودهم من بشمركة البارزاني وانهم يشجعون التسلل الايراني وأن البارزاني يحث طهران على ممارسة الضغط على بغداد.

وفي ٢٩ ايلول عام ١٩٧١ تدهور الوضع بشكل خطير عندما جرت محاولة لاغتيال البارزاني وكانت بغداد المتهم الرئيسى فيها وجرت محاولة ثانية في ١٩٧٢، وفي ايلول دعا البعث إلى ضرورة ايقاف التدهور بين الطرفين وقدم قائمة بالفقرات المنفذه والأخرى التي لم تنفذ بعد.

وادعت الحكومة بانها تملك الدليل على استمرار العلاقة بين البارزاني

وايران، بما في ذلك تدفق السلاح عبر الحدود من ايران واتهمت بشمركه البارزاني بارتكاب اعمال اغتصاب وحرق القرى الكوردية المعروفة بولاءها للحكومة وطالبت الحكومة البارزاني بغلق الحدود بشكل تام ومحكم وضرورة تحلي البشمركة بالسلوك المنضبط، أما KDP فرد على تهم الحكومة بتهم مماثلة أخطرها قيام الحكومة بتعريب مدينة كركوك وضواحيها. لم يكن الامر بالنسبة للغرباء سهلاً في التحقق من صدق أي من الطرفين، لم بعد النزاع سراً ومحاولات السوفيت للتقريب بين وجهات نظر الطرفين لم تثمر عن نتائج ملموسة.

إن التدخلات الأجنبية في الشأن العراقي جعلت بغداد تعتقد بشكل قوي بأن البارزاني ومنذ الأيام الاولى للأتفاقية يعمل ضد الحكومة وتشمل هذه الممارسات قيام البارزاني بتشكيل جهاز مخابرات معقد بمساعدة السافاك الايراني والموساد الاسرائيلي بجمع المعلومات عن العراق والقوات المسلحة ووعْد علني باعطاء حقول نفط كركوك إلى شركات امريكية مقابل المساعدة الامريكية واخيراً نداء البارزاني للأمريكيين لتقديم العون اليه في ١٩٧١، وبعد اسبوعين من تأميم شركة نفط العراق في ١٩٧٢ ردت الولايات المتحدة على طلب البارزاني، ارادت الولايات المتحدة أن تقلل إلى أقصى حد ممكن تأثير الاجراء العراقي على مصالحها وخاصة المصالح المتعلقة بايران واسرائيل.

في ١٩٧٢ كشف الصحفي الامريكي جاك أندرسون عن معونةاسرائلية شهرية مقدارها ٥٠,٠٠٠ دولار تقدم إلى البارزاني واعتمد الصحفي نشر الخبر على مصادر في CIA. والحقيقة أن الاشاعات عن تقديم اسرائيل لأسلحة ومستشارين إلى البارزاني هي قديمة تعود إلى الستينيات.

أما بالنسبة للكورد فان الجانب المأساوي لهذه المعونة اليهم هو أنها تقدم من أجل استمرار الحرب ضد بغداد وتشديد الضغط عليها لا إحراز نصر كوردي وتحقيق حكم ذاتي، لأنه في حالة فوز الكورد في الحرب فانهم لن يبقوا عاملاً لاضعاف حكومة البعث وهو الشيء الذي تريدة ايران والولايات المتحدة واسرائيل، وعليه فان الأمر ينطوي على اهمية كبيرة أن يبقى الكورد مستمرين في الحرب من دون إن يتمكنوا من تحفيق نصر حاسم.

إن علاقات البارزاني مع القوى الاجنبية ولدت لدى البعث قلقاً شديداً، وكان البعثيون يخشون من إندلاع حرب شاملة مرة أخرى والجناح المدني فيه يتخوف من أن الحرب قد تعطي الجناح العسكري فيه فرصة للسيطرة على الحزب وكلا الجناحين لديهما هاجس الخوف من أن تؤدي الحرب إلى حدوث انقلاب كما حصل في ١٩٦٣.

في بداية عام ١٩٧٤ وصلت الأزمة ذروتها حول مسألة تأميم نفط كركوك، أصر البارزاني ومعه KDP على ضرورة توزيع نسبي لموارد النفط بينما أصر البعثيون على أن هذه الواردات هي وطنية تصرف تحت اشراف السلطة المركزية، كان البعث حذراً غاية الحذر حيال المسألة النفطية و يعزّ عليه أن يعطي بعضاً اوكلاً منه إلى البارزاني الذي سبق له وأن أفصح عن رغبته في اعطاء امتياز استثمار النفط إلى شركات امريكية ورأي البعث في دعوة البارزاني هذه أمراً يوازي النظام الكونفدرالي.

أما السبب الثاني للنزاع فهو حول مستوى الحكم الذاتي الذي يطالب به KDP. كان KDP يشك أن البعث لن يمنح حكماً ذاتياً حقيقياً للكورد والبعث من جهته يرى في مطالب KDP محاولة لخلق دولة وخاصة

باصـراره علـى جـعـل كـركـوك مـركـز الادارة الكوردية واقـامـة ادارات مشتركة في المناطق المختلطة.

لم يكن البعث على استعداد لتقديم تنازلات ونفد صبره ونفد صبرKDP ايضاً معه، دعا صدامKDP إلى القبول بقانون الحكم الذاتي الذي سيعلن في ١١ أذار ١٩٧٤ وأمـهل صـدام KDP مـدة اسبـوعين للرد علـى دعـوته لغرض المشاركة في الحكم.

ربما كـان البعث يعـتقـد أن الكورد منقـسـمون علـى انفسـهم وأن ليس لديهم تصور حول كيفية العمل وبذلك فان البعث قادر على فرض الموقف عليـهم، حدثت إنشـقـاقـات أخـرى في صـفـوف KDP أوائل ١٩٧٤، انشق عضـوان بارزان من اللجنة المركزية علـى البـارزاني مـتـهمين إياه برفض الممارسات الديمقراطية واختطاف وقتل عدد من الزعماء الكورد وأنه ربط مـصير الشـعب الكوردي بشـخـصـه. كان احد هؤلاء المنشـقين هو هاشم عقراوي الذي انضم مع مؤيديه إلى الجبهة الوطنية التقدمية للبعث لقبول البارزاني المعونة من الولايات المتحدة واسرائيل.

كما أن عبيدالله البارزاني نجل مصطفى البارزاني شق عصا الطاعة على والده لأن والده علـى حد زعمـه لايريد للحكم الذاتي أن يتحقق حتى ولو أعطي كـركـوك وكل مـخـزوناتهـا النفطيـة ولأن قـبـولـه للحكم الذاتي والكلام لايزال لابنـه عبيدالله. سيقـضـي على كل امتـيـازاته وأنه يريد أن يبقى الحاكم المطلق في كوردستان.

السؤال الان هو هل أن عبيدالله وضـع أصـبعه على مـوضـع الخلل عند أبيه كزعيم كوردي؟ هنالك اسباب وجيـهة لقبـول هذا الفرض، بانضمـام كوردسـتـان و إندمـاجـهـا فـي الدولة العراقـيـة علـى أسـاس حكم ذاتي يكفل بتطوير وتنظيم المنطقة لن يكون هنالك مكان كبير لزعيم عشائري تقليدي

الحكم الذاتي سيقضي على نفوذ الزعماء، لاندري إن كان البارزاني قد ادرك هذه الحقيقة وعمل جاهداً على عدم انجاح الاتفاقية.

اعلان الحكم الذاتي في ١٩٧٤

إن قانون الحكم الذاتي لم يكن الانسخة هزيلة لاتفاقية ١١ أذار ١٩٧٠ وهو يقدم عرضاً أقل بكثير مما طلبه KDP و لكن اكثر بكثير مما يجرأ كورد ايران أو تركيا أن يحلموا به، ومواده الرئيسة هي:

١- أن منطقه كوردستان سوف تتمتع بالحكم الذاتي ضمن وحدة العراق السياسية والاقتصادية وسوف تحدد حدود المنطقة وفق بيان ١١ آذار ١٩٧٠ واحصاء ١٩٥٧.

٢- ستكون اللغة الكوردية اللغة الرسمية إلى جانب اللغة العربية في المنطقة وتكون لغة التعليم وتدريس العربية يكون الزامياً.

٣- ضمان حقوق الاقليات غير الكوردية ضمن المنطقة مع تمثيل نسبي لها في الحكم الذاتي.

٤- القوانين والتشريعات يجب أن تكون منسجمة مع النظام القانوني العراقي.

٥-٩- وهذه المواد تعالج الشؤون المالية ضمن الوحدة المالية للدولة.

١٠- ١٥- وهذه المواد تتعلق بتأسيس المجلسين التشريعي والتنفيذي باعتبارهما أداتي الادارة في المنطقة.

١٦- ٢١- هذه المواد تنظم العلاقة بين السلطة المركزية وادارة الحكم الذاتي وهذه العلاقة تتميز بالاشراف والتنسيق.

في الوقت الذي اعترف البعث من خلال قانون الحكم الذاتي بوجود الكورد كقومية في المناطق التي يشكلون فيها الأغلبية السكانية ومنحهم

مستوى من الحكم الذاتي فانه (البعث) من جهة اخرى فرض قيوداً على هذا الحكم بحيث بقيت السلطة الفعلية بايدي الحكومة المركزية.

رفض الكورد قانون الحكم الذاتي لسبب رئيسي هو عدم تلبية مطالبهم في كركوك ولكن ومن وراء الكورد فان البارزاني طلب من الولايات المتحدة وايران تضمينات وحصل عليها. ونقلت وكالات الانباء أن البارزاني طرح وجهة نظره على الأمريكيين على النحو الآت: هذا هو الذي سيستخدمونه ضدنا (يشير بذلك إلى السلاح)، فاذا انتم مستعدون لتزويدنا بسلاح يقابل سلاحهم فاننا سنذهب الى الحرب ضدهم وإلا فاننا سنعقد معهم اتفاقية سلام حيث إننا لانريد أن يذبح شعبنا على ايديهم.

وبعد مدة اوضح البارزاني طبيعة هذه الصفقة عندما قال: لولا الوعود الأمريكية لما وقعنا في هذا الفخ ولما تورطنا إلى هذا الحد.

تفاقم العداء بعد انقضاء فترة الاسبوعين وبحلول شهر نيسان تطورت العداوات هذه الى حرب شاملة، وبالاضافة الى الوعود بمساعدات خارجية عن طريق ايران فانه باستطاعته الاعتماد على قوة البشمركة الذين يبلغ تعدادهم ٤٠,٠٠٠ مقاتلاً صلباً مع وجود ميليشيات يبلغ عددهم ٦٠,٠٠٠ شخص.

وانضم الى البارزاني نحو ٦٠ طبيباً و ٤,٥٠٠ معلم ونحو ٥٠٠٠ شرطي و ١٦٠ مهندساً و ١٠٠ ضابط عسكري، إن دلّ هذا على شيء فانما يدل على المستوى الذي يتمتع به البارزاني من الدعم الشعبي بين الجماهير الكوردية. ولكن ومع نهاية نيسان استعادت الحكومة مدينة زاخو الستراتيجية وسيطرت على معبر خابور الذي يربط العراق بتركيا، وبهذا العمل أظهرت الحكومة مقدرة عسكرية ادهشت الكثيرين من

المراقبين طلب البارزاني سلاحاً ثقيلاً من الامريكيين ولكنهم لم يلبوا طلبه، وبحلول منتصف الصيف يكون الكورد قد أخرجوا من معظم الوديان الكبيرة وبحلول فصل الشتاء سقطت بلدات العمادية ورواندوز ورانية وقلعة دزة بايدي الحكومة و انسحب الكورد إلى الجبال الأبعد، عند نهاية الصيف سيطر الجيش العراقي على مساحات من كوردستان اكثر من أي وقت مضى منذ ١٩٦١ وهو زمن بدء الحركة الكوردية، لقد بات واضحاً أن بقاء الحركة الكوردية أصبح مرهوناً بالمعونة الايرانية.

أما ايران وقد هالها هذا الانتصار العراقي فقد بادرت إلى تسريع المعونه العسكرية إلى الكورد وزودتهم بالمدفعية بعيدة المدى التي لاتستطيع الحكومة العراقية مجاراتها ومن المحتمل أن قطعات ايرانية بزي كوردي شاركت في القتال الدائر رحاه في الجبال.

أما العراق وبسبب خسائره الجسيمة فانه كان مصراً على الحاق الهزيمة بالكورد قبل حلول الشتاء، وكانت ايران من جهتها مصممة على إطالة الحرب إلى فصل الربيع لمعرفتها كم اصبحت الحرب مكروهة لدى العراقيين ولثقل اعباءها عليهم وهي تمني نفسها أن تطيح هذه الحرب بنظام البعث في العراق، لقد راجت إشاعات بأن القطعات العسكرية ستترك مواقعها القتالية في الشمال وستتوجه إلى بغداد للقضاء على نظام البعث، على كل حال وعلى العكس من هذه التوقعات بقيت قوات الجيش مرابطة في المنطقة الجبلية طوال فترة الشتاء الباردة.

إشتدت ضراوة القتال مع مطلع عام ١٩٧٥ عندما قررت الحكومة إزاحة حوالي ٦٠,٠٠٠ مقاتل كوردي من الشريط الحدودي الذي لايزالون بسيطرون عليه بالقرب من الحدود مع ايران، أما الكورد فقد ساندتهم المدفعية الايرانية الثقيلة العاملة داخل الأراضي العراقية

والمضادات الجوية لاسقاط الطائرات الحربية العراقية داخل الأراضي العراقية، ادرك العراقيون أن الكورد ليسوا قادرين على الاحتفاظ بمواقعهم بمساعدة المدفعية الايرانية فحسب بل وايضاً قادرون على قصف مدينة أربيل، لقد وصلت الحرب إلى نقطه أدرك معها العراقيون أن ليس باستطاعتهم كسب الحرب مع الكورد الا بعد قطع المعونة الايرانية عنهم ولم يكن بمقدورهم خوض حرب مع ايران بشكل مباشرو لم يرغب اي من الطرفين العراقي أو الايراني في أن تتطور الاحداث على هذا النحو

وبفضل وساطة بعض الدول العربية تم لقاء شاه ايران مع نائب الرئيسى العراقي صدام حسين في الجزائر، وفي ٥ أذار (الكاتب يذكر ١٥ آذار) تم الاعلان عن الاتفاقية التي تم التوصل اليها. تنازل العراق عن مطلبه بالسيادة على كامل شط العرب المتنازع عليه ورضي بخط ثالويك الذي ينصف النهر وأكد الطرفان على بسط الامن على طول الحدود بين البلدين مع اتخاذ الاجراءات المشددة لمنع حدوث اي تسلل من الطرفين وحصلت ايران على هديتها بأن اغلقت حدودها في وجه المتمردين الكورد.

لقد قضت إتفاقية الجزائر على آمال الكورد في ديمومة الحرب ضد نظام البعث. في ٢٣ اذار وبعد زيارة قام بها البارزاني إلى شاه ايران قرر KDP التخلي عن فكرة القتال، رفض البعض من قادة الحزب قيادة البارزاني وقرروا مواصلة الكفاح، أما القسم الاخر فقد قبل بالعفو العام الذي اصدره صدام قبل نفاد مفعوله في ١ نيسان. أما البارزاني ومعه عدة الاف من عناصر البشمركة فقد فضلوا الانسحاب إلى ايران ومنها سافر إلى الولايات المتحدة، وقرر عدة الاف اخرين تسليم اسلحتهم إلى السلطات والعودة إلى العراق.

كانت الخسائر البشرية للحرب باهظة حيث قتل نحو ٧٠٠٠ وجرح نحو ١٠,٠٠٠ آخر من الطرف الحكومي واعترف KDP بخسارة ٢٠٠٠ رجل وربما كانت الخسارة اكبر بلغ مجموع الاصابات بين قتيل وجريح من الطرفين نحو ٥٠,٠٠٠ إصابة.

ونجم عن الحرب مشاكل كثيرة إذ هرب نحو ٢٥٠,٠٠٠ كوردي إلى ايران وبلغ عدد من تشرد حوالي ٦٠٠,٠٠٠ شخص.

سمحت الدولة للعائدين بأن يحيوا حياتهم الاعتيادية ولكن عدة الاف منهم وخاصة اولئك الذين فروا من الجيش والشرطة والتحقوا بالبارزاني فقدتم ترحيلهم إلى المنطقة العربية في الديوانية والناصرية والعمارة، وقامت الحكومة بازالة نحو ٥٠ قرية حدودية لعمل حزام أمني بعرض ١٠- ١٥ كم وتم ترحيل سكانها إلى المنطقة السهلية، وتم ايضاً ترحيل بعض الكورد من مناطق سنجار وخانقين، أما الذين تأخروا في العودة بعد انتهاء المرحلة المحددة فانهم رحلوا إلى خارج منطقة كوردستان على فرض انهم لابد وأن يكونوا معادين بعدم قبولهم بالعفو في وقته.

لاتوجد أرقام محددة والخلاف عليها شديد، ولكن يعتقد أن بين ٤٠,٠٠٠ و ٣٠٠,٠٠٠ شخص تمت إعادة توطينهم هذه الاجراءات القاسية أثارت موجه من الاحتجاجات لا من الكورد المعارضين للنظام بل وايضاً من قبل المؤيدين له. هذه الجماعات عندما يوافقون على قيام الحكومة باقامة الحزام الأمني على الحدود فانهم لايستطيعون اعطاء الموافقه على تشريد الناس من منازلهم ويعتقد أن ١٤٠٠ (قرية) تأثرت بعمليات الترحيل وأضيف نحو ٣٠٠,٠٠٠ أخرين إلى عدد المهجرين، وفي ١٩٧٦ أقنع الكورد الذين إنتقدوا العملية صدام بأن يغير الآية وبنهاية السنة لم يبق في الجنوب إلاعدد من رجال البارززاني والمؤيدين

لهم ولايزيد عدد هؤلاء على ٦٠٠٠ شخص، ولكن المعارضيين الكورد ادعوا أن ٢٥٠,٠٠٠ كوردي بقي في الجنوب وأعترفت الحكومة باسكان العرب في خانقين والسليمانية ولكن يصعب تحديد مجموع هؤلاء.

أما داخل كوردستان فقد إتخذت الدولة إجراءات لتهدئة السكان، وأدعت أن كل عائلةٍ حصلت على مبلغ ٥٠٠ دينار كما أعطيت تعويضات لكل عائلة تم ترحيلها من دارها، وتقول الحكومة أنها أنشأت ٣٢,٠٠٠ وحدة سكنية جديدة في القرى العصرية ولو أنها داخل المنطقة الأمنية السهلية السيئة الصيت، كما تم إنشاء نحو ٣٠,٠٠٠ وحدة سكنية اخرى في دهوك واربيل والسليمانية، أما داخل هذه القرى فالمواطنون هم تحت حماية القطعات العسكرية ولاتتوفر في هذه القرى فرص العمل هذه العملية نتجت عنها مشاكل إجتماعية كثيرة ولكنها من جهة أخرى سهلت على الحكومة تجنيد الكورد في الجيش، فخصصت الدولة ٣٣٦ مليون دينار (مليار و ١٥٠ مليون دولار) لبرامج تأهيلية وبشكل خاص لايجاد بنية تحتية.

إما بالنسبة للاصلاح الزراعي فقد تم تحديد الملكية واستفاد نحو ١٠٠,٠٠٠ عائلة فلاحية من التوزيع الجديد للارض، أما عدد الطلاب في المدارس فقد ففز من ١١٣,٠٠٠ طالب في ١٩٧٤ الي ٣٣٣,٠٠٠ طالب في ١٩٧٨.

وإذا كانت قوات الجيش قد أتهمت بالقسوة في تعاملها مع المقاتلين فان الحكومة هي الاخرى أتهمت من قبل المنظمات الدولية بخرق حقوق الانسان، في ١٩٧٨ اصدرت منظمة العفو الدولية تقريراً ورد فيه اعتقال ٧٦٠ كوردي وإعدام ٢٠٠ آخر منذ انهيار الحركة الكوردية في ١٩٧٥.

وفي مذكرة الى الامم المتحدة من PUK أتهمت جماعة الطالباني حكومة

بغداد بالخروقات الاتية: اعدام نحو ١٥٠ كوردي وترحيل الكورد من القرى التي وردت اسماؤها في المذكرة والواقعة في كركوك وشيخان وسنجار وزمار ومصادرة الاراضي بشكل غير قانوني واسكان العرب في المناطق الكوردية ونقل أوأحالة الموظفين الكورد والشرطة وأفراد الجيش بشكل منتظم على التقاعد.

إن هزيمة عام ١٩٧٥ كانت الأشد وقعاً على الكورد العراقيين، البارزاني يترك كوردستان ويذهب إلى الولايات المتحدة حيث وافته المنية في اذار ١٩٧٩ بعد إصابته بمرض السرطان، من الممكن توجيه بعض النقد إلى البارزاني لسلوكه الاوتوقراطي وبسبب اعتماده الكلي على المعونة الايرانية والامريكية ولطريقته الفظة في التعامل مع أقرانه كورد ايران القوميين، ولكن علينا أن لاننسى بسالته في ساحة القتال، تلك البسالة التي اعطت الكورد شيئاً يفتخرون به، إن بطولات البارزاني كانت على لسان كل كوردي ومن المحتمل جداً انها ستبقى حية في ذاكرة الاجيال القادمة لتكون شاهداً على مآثر هذا الرجل الاسطوري، خاطب البارزاني مثل شيخ سعيد بيران في تركيا ١٩٢٥ الوجدان الكوردي وحرك في الكورد الشعور القومي.

إن بطولاته ايقظت الشعب الكوردي أكثر من الدعاية السياسية لمثقفي المدن، أنبهر بها القرويون أيما انبهار وملأت شهرته الآفاق وعبرت الحدود الدولية فاثارت كورد تركيا إلى أن ظهر Pkk.

ترك البارزاني وراءه فراغاً لم يكن من السهل ملؤه من شخصية اخرى، إنقسم KDP إلى فصائل عدة اهمها الفصيل الذي تزعمه نجلاه مسعود وادريس واعطي اسم القيادة المؤقتة. وانضم KDP الرسمي الذي يقوده هاشم عقراوي الذي انشق على البارزاني عام ١٩٧٤ إلى

الحكومة، أما المبادرة الحقيقية فقد كانت من قبل PUK الذي أسسه جلال الطالباني في حزيران من عام ١٩٧٥.كان Puk السباق إلى وضع المقاتلين في ساحة القتال بدعم من سوريا المنافس الرئيسي لحزب البعث في العراق.

كان أمام الطالباني مهمتان تنتظران الحل، اولاهما مع KDP التابع للبارزاني والثانية تتعلق بحكومة بغداد التي نفضت يدها عن الطالباني بكل بساطة عام ١٩٦٩، جرت معارك قوية بين انصار الطالباني والبارزاني في المنطقة القريبة من الحدود التركية حيث مواقع للبارزاني، وجرت معارك بينه وبين القوات الحكومية في ١٩٧٦.

عندما أطيح بالشاه في ١٩٧٩ حاولت مجموعات كوردية عدة التقرب من طهران وكسب ودها، أيدكلٌ من البارزاني والطالباني الثورة الايرانية علناً. هل كان الطالباني على حد وصف ملا مصطفى له مرة عميلاً للجميع؟ أعتقد بعض الكورد بصواب ذلك على حال كان PDK بقيادة مسعود البارزاني هو القادر على عقد تحالفٍ ناجح مع حكومة طهران بدعمه الحكومة الجديدة ضد الحركة القومية الكوردية في ايران التي تطالب بحكم ذاتي في ايران.

ربما يفسر هذا العداء للقوميين الكورد في ايران من قبل البارزاني قيام البعض منهم بنبش قبر والده ملا مصطفي البارزاني في اوشناقيا في ايران وكان المتهم الرئيس في هذه العملية KDP الايراني، إن وقوف مسعود البارزاني ضد KDP الايراني والقوى اليسارية المتحالفة معه اثار غضب واشمئزاز الجماهير الكوردية التي باتت اليوم اكثر وعياً وأكثر نضجاً عما كانت عليه زمن والد مسعود الراحل ملا مصطفى، بين الاوساط التقليدية في الكفاح القومي الكوردي بقي الصراع بين العناصر

العشائرية و بين اهل الفكر مشكلة رئيسة، ظهر ذلك واضحاً في مؤتمر KDP العراق التاسع الذي انعقد في ايران في ١٩٧٩. كان ادريس يتزعم الزعماء التقليديين بينما كان شقيقة مسعود يحاول التقرب من الطبقة المثقفة، أن التحالف مع ايران وتولي الشقيقين إرث والدهم بشكل اوتوماتيكي احدث انشقاقاً اخر في KDP وظهر فصيل جديد باسم الشعب الديمقراطي الكوردستاني بزعامة سامي عبدالرحمن ونوري شاويسى.

الفصل العاشر

الكورد بين الدولتين المتحاربتين ايران والعراق

إن غزو العراق لايران في آب ١٩٨٠ والمأزق الدموي المأساوي الذي وجد العملاقان النفطيان نفسيهما فيه فتح فرصة جديدة كبيرة ونادرة أمام الكورد كي يبدأوا التفاوض من موقف جديد مع الحكومتين المعنيتين بالشأن الكوردي، إن استثمارهذه الفرصة اعتمد على الكورد على جانبي الحدود و على مدى قدرتهم في الاتفاق على موقف سياسي عام وموحد، لم يحصل هذا الشيء وبقي الكورد منقسمين سياسياً.

أما في العراق فان Puk كان في موقف صعب خلال عام ١٩٨٣، بالاضافة إلى كفاحه ضد حكومة بغداد فإنه كان يواجه هجوم الايرانيين والترك معاً، في مايس ١٩٨٣ عبرت القوات التركية الحدود للهجوم على المنطقة الكوردية بمباركة عراقية، ولو أن منطقة الهجوم تعود الى KDP وليس Puk فان PUK إنتابه خوف شديد من أن القوى الاقليمية الثلاث قدتهاجم الكورد في أن واحد، في حزيران وتموز شنّ الايرانيون هجوماً ضخماً على القوات العراقية بما في ذلك قاطع المنطقة الكوردية حيث تقدم ١٥٠,٠٠٠ جندي نحو ١٥,٠٠٠ عنصر من البشمركة العائدين الى KDP الايراني و Puk، كان هدف الهجوم معسكرات اللاجئين في حاج عمران ومقرات KDP الايراني التي تم تدميرها وجرى تثبيت KDP العراقي هناك، والى مضي سنة من هذا الحدث كان الجيش الايراني يرابط في المنطقة بل إنه ازداد عدة وعدداً حيث وصل تعداده إلى

٢٥٠,٠٠٠ جندي على طول جبهة تمتد من اورمية إلى قصر شيرين.

ولحسن حظ Puk فان بغداد هي الاخرى كانت تئن تحت وطأة الحرب ولذلك لم تكن قادرة على شن هجوم على Puk كما أن بغداد كانت مغتاظه من قيام Puk وحلفاءه باشغال نحو ٥٠,٠٠٠ جندي كانت بغداد بامس الحاجة اليهم في جبهة الحرب مع ايران، كما أن بغداد كانت قلقة جداً من تزايد عدد الجنود الكورد الفارين من الجيش واعترف صدام نفسه بهروب ٤٨.٠٠٠ عسكري كوردي في كانون الثاني ١٩٨٣ واصدر عفواً عن الهاربين واعطى وعداً بعدم ارسالهم إلى الجبهة إن هم التحقوا بالجيش ثانية.

استجاب عدد قليل للعفو الذي أصدره صدام، لقد كان بغداد، و Puk كلاهما قلقين من التحول في مسار الحرب لصالح ايران في منطقة حاج عمران في تموز وحول بنجوين في تشرين الاول العراقيون يخشون من اندفاع الايرانيين عبر خطوط دفاعاتهم والكورد من جانبهم يخشون أن يجدوا انفسهم مضطرين على التفاوض مع ايران منتصرة، إنهم يفضلون البعث على موقف كهذا.

وقف اطلاق النار في كانون الاول ١٩٨٣

بدأت بغداد مفاوضات سرية مع pukعند نهاية ١٩٨٣، كلا الطرفين احتاج إلى فرصة لالتقاط الانفاس، في ١٠ تشرين الاول توصل Puk مع البعث إلى اتفاق، وأعتبر هذا الشيء تغيراً مفاجئاً أثار موجة من الاتهامات من حلفاء Puk وخاصة من الحزب الشيوعي العراقي، أما من وجهة نظر Puk فان الاتفاق على وقف اطلاق النار اعطى Puk ثلاثة مكاسب، اول هذه المكاسب حصول Puk على فرصة لالتقاط الانفاس بعد

فترة عصيبة مر بها، أما المكسب الاخر فهو احتمال تحقيق ما أعتبره الاتحاد الوطني حقوق الكورد، أما الثالث فهو كسب الوقت لاعادة تنظيم صفوفه إذا فشلت المفاوضات، أما التأثير الفوري لوقف إطلاق النار فهو تخفيف الضغط عن Puk بعد أن تسحب القوات العراقية من المنطقة وهنالك مسألة تدفق الاسلحة عليه للدفاع عن المنطقة الكوردية بوجه القوات الايرانية، وتضمنت مطالب Puk على البنود التالية:

١- توسيع منطقة الحكم الذاتي لتشمل كركوك ومندلي وخانقين وسنجار.

٢- وقف عملية تعريب المناطق الكوردية وعودة المهجرين الكورد إلى اماكن سكناهم الاصلية.

٣- إزالة الحزام الامني على طول الحدود مع ايران وتركيا مع عودة أهالي قرى المنطقة إلى منازلهم.

٤- منح صلاحيات حقيقية للحكم الذاتي باستثناء الشؤون الخارجية والدفاع والاقتصاد.

٥- اختيار الأمناء العامين في المجلس التنفيذي من قبل المجلس التشريعي.

٦- احياء الثقافة والتراث الكوردي مع جعل الكوردية اللغة الرسمية في المنطقة وتأسيس جامعة كوردستان في السليمانية.

٧- جعل البشمركة قوة رسمية للمحافظة على أمن الاقليم وحمايته.

٨- امن المنطقة يكون تابعاً للأقليم وليس لحكومة المركز.

٩- تخصيص نسبة ٢٥٪ من موارد النفط لتطوير منطقة كوردستان العراق.

وكانت هنالك امور أخرى تحتاج إلى التنفيذ الفوري وشملت اطلاق سراح جميع السجناء السياسيين العسكريين لدى الجانبين وتسريح القوات غير النظامية الكوردية المسماة " جحش" البالغ عددها ١٠,٠٠٠ - ٢٠,٠٠٠ رجل منضمين إلى الافواج الخفيفة، وشدد Puk على أن اعضاءه والبشمركة التابعون له هم وحدهم من يمثل الكورد و لن يقبل أن يكون معه كورد منافسون له في الحكومة إلا إذا كان وجودهم نتيجة للانتخابات وليس بسبب تحالف مع البعث، وأصرّ Puk على اقصاء هاشم عقراوي وحزبه الموالي للحكومة وكذلك الحزب الثوري الكوردي من الحكومة.

وافقت بغداد على بعض هذه الامور ووعدت بدراسة البعض الاخر. كما اخذت على عاتقها أطلاق سراح المعتقلين واعادة المهجرين إلى مناطقهم وتعديل قانون الحكم الذاتي لصالح الكورد وأن تعمل على توسيعه ليضم مناطق جديدة لم تكن مشمولة قبلاً.

على كل حال لم يكن من المحتمل أن أياً من جلال الطالباني او صدام حسين كان ينظر إلى الاتفاق كونه مجرد وسيلة كسب الوقت ليس إلا، بغداد لن تتنازل عن كركوك، صدام قال للطالباني مرات عديدة: لاتصر على أن كركوك مدينة كوردية ونحن من جانبنا لن نصر على انها ليست كوردية وتم الاتفاق على تشكيل ادارة مشتركة لها، ولكن من الصعب تصور كيفية تحقيق ذلك. أما خانقين ومندلي فانهما قريبتان من حدود ايران وسنجار قريبه من سوريا التي كانت تدعم جلال.

ولهذا لاتستطيع بغداد التنازل عنها وتسليمها إلى Puk وجرى نقاش حول سنجار إن كانت غالبية السكان فيها كوردية.

وفي اذار ١٩٨٤ تضاءلت الأمال حول التوصل إلى اتفاق عندما قامت

بغداد بتنفيذ حكم الاعدام في ٢٤ كوردياً في السليمانية بتهمة الهروب من الخدمة العسكرية، كما جرى فتح النار على عدد من الطلاب في جامعة أربيل وأغتيل الشيخ حمه صالح شقيق الطالباني مع إثنتين من بناته من قبل قوات كوردية موالية للحكومة وفقد Puk نحو ١٤٠٠ عنصر بين ١٩٧٦ و ١٩٨٣.

في هذه الفترة بدأت بغداد تتلقى المساعدات الخارجية من الولايات المتحدة وفرنسا والاتحاد السوفيتي للحيلولة دون هزيمتها وكان باستطاعة بغداد الاعتماد على جارتها الشمالية تركيا للسيطرة على الكورد على جانبي الحدود وكذلك حماية خط انبوب النفط القادم من كركوك.

لكل ماتقدم فانه لم يكن امراً مستغرباً إذا لم تحرز المفاوضات اي تقدم، وفي ١٨ تشرين الاول قطع Puk المفاوضات ويقول Puk أن سبب فشل المفاوضات يعود إلى قدوم وفد تركي برئاسة وزير الخارجية وأن الوفد أعطى العراق الضوء الاحمر بأن اي اتفاق مع PUK سيحمل تركيا على غلق انبوب النفط القادم من كركوك والمار بالاراضي التركية إلى سواحل البحر المتوسط وأن تركيا ستغلق حدودها مع العراق الأمر الذي يعني خنق العراق اقتصادياً وإجباره على الركوع أمام ايران.

إن التدخل التركي إن صحّ زعمه جاء بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير وقضت على آمال PUK، وفي ٢٠ أب ١٩٨٤ أعلن نعيم حداد رئيس المجلس الوطني العراقي أن PUK وافق على الانضمام إلى الجبهة الوطنية التقدمية لكي يستطيع خوض الانتخابات القادمة أثار هذا التصريح غضب PUK واعتبره محاولة من بغداد لذر الرماد في العيون في الوقت الذي لم تنفذ فيه بغداد اي بند من بنود الاتفاق وخاصة أن الاتحاد الوطني الكوردستاني PUK قد اكدّ أنه سيشترك في الانتخابات

فقط إذاتم الاتفاق على حل نهائي، لم يحصل الاتفاق حتى ذلك التأريخ إلا على ستة من بنود الاتفاقية وحتى هذه البنود لم تنفذ أو أنها نفذت بشكلٍ جزئي فقط.

بالاضافة إلى ذلك كانت هنالك نقاط رفضت بغداد الموافقة عليها وشملت الافواج الخفيفة وفرسان صلاح الدين والقوات الكوردية غير النظاميةً الموالية للحكومة، كما أنها رفضت طردها هاشم العقراوي وكورداً اخرين من الجبهة الوطنية التقدمية التابعة للنظام البعثي لأنه غير مستعد بالتضحية بالعقراوي والحلفاء الاخرين الذين وقفوا مع البعث لعشر سنوات.

كما رفضت الحكومة شمول منطقة سنجار بالحكم الذاتي، كما أنها راوغت وبنجاح حول وضع كركوك ورفضت ايضاً الحاق خانقين ومندلي بمنطقه الحكم الذاتي، وافقت فقط على كفري وعقرة لكي تكونا ضمن منطقة الحكم الذاتي، وعند نهاية فصل الصيف حدثت اشتباكات بعد أن اصبح واضحاً للعيان أن الاتفاق غير ممكن، وفي أيلول قُتل سعيد كريم الذي هو قائد عسكري في PUK من قبل الميليشيات الكوردية التابعة للحكومة.

وفي مراجعة لشريط الاحداث السابقة يبدو من غير المنطقي أن PUK كان يأمل بشكل راسخ في الحصول على سنجار وخانقين وكركوك وهي جميعها مناطق على غاية من الحساسية بحيث يصعب على بغداد التنازل عنها.

على كل حال يجب أن لايغرب عن البال أن PUK له جمهوره و عليه مراعاة مشاعرهم القومية والسياسية، كما أن عليه أن يكون يقظاً جداً حيال الاتهامات التي تُكال له من خصومه السياسيين ذات اليمين و ذات

الشمال، تلك الاتهامات التي تقول أنه يساوم على حقوق الكورد و أنه يبيع هذه الحقوق بثمن بخس، لكل هذا كان عليه أن يظهر بمظهر المفاوض العنيد المتشدد المتمسك بمطالبه التي يعض عليها بالنواجز الى أن تعطي بغداد وعوداً صادقة حول المسائل الاخرى.

بعد تعثر المفاوضات توجه عضوان من البعث في ١٨ تشرين الأول إلى الشمال للالتقاء بالطالباني لضمان استمرارية وقف اطلاق النار، أما رد الطالباني فكان شن هجمات على القوات الحكومية وبدأ هجومه الفعلي في كانون الثاني ١٩٨٥، أحكمت بشمركة الطالباني البالغ عددهم ١٠,٠٠٠ مقاتل سيطرتها على الريف والطرق بين كركوك والسليمانية وعلى مناطق تمتد لتلتقي مواقعه مع مواقع KDP في هورامان.

إن مقاتلي KDP البالغ عددهم ١٢,٠٠٠ مقاتل سيطروا على مساحة تمتد من حدود سوريا من الغرب إلى رواندوز في الشرق، إن فرقة عسكرية عراقية من أصل أربع فرق بقيت تقاتل في الشمال لاحتواء التمرد الكوردي بالاضافة إلى نحو ٥٠,٠٠٠ مقاتل كوردي غير نظامي، في آب ١٩٨٤ حاولت الحكومة في هجوم إشترك فيه ١٥,٠٠٠ جندي طرد قوات البشمركة من منطقة زاخو ودهوك. استفاد KDP من تعاون كورد تركيا عبر الحدود.

نهاية الحرب العراقية الايرانية

كان عام ١٩٨٧ عام توحد والتئام القوى السياسية والعسكرية الكوردية من خلال تقارب الحزبين الرئيسين الاتحاد الوطني الكوردستاني PUK والديمقراطي الكوردستاني KDP ومن بعد ذلك تشكيل الجبهة الكوردستانية في تموز ١٩٨٧ التي ضمت خمسة احزاب كوردية تقاتل ضد نظام صدام حسين.

دعت الجبهة إلى تشكيل جبهة وطنية عراقية تضم جميع الاحزاب العراقية المعارضة لنظام صدام، كما دعت إلى الاطاحة بصدام ووضع نهاية للحرب العراقية الايرانية مع احترام سيادة كلا البلدين مع منح الحقوق القومية للكورد وضمان حقوق الاقليات في منطقة الحكم الذاتي مثل الاشوريين والتركمان، كما دعا PUK العراق الى الاعتراف بحق الكورد في تقرير المصير الذي إن تم الاعتراف به فانه يؤدي إلى حكم ذاتي حقيقي بدلاً من الانفصال.

وفي الوقت نفسه إنضمت قوى اخرى إلى PUK وتخلى هو عن سياسته السابقة المبنية على تجنب التعاون العلني مع القوات الايرانية لاعتبارين اساسيين هما: خطر الاتكال على طهران على ضوء الاحداث السابقة في ١٩٧٥ مع KDP عندما سحب الايرانيون دعمهم للبارزاني. أما الاعتبار الثاني فهو الرغبة في الظهور لدى العراقيين بأنه يقاتل من اجل حقوق الكورد لامساعدة ايران في الاستيلاء على أرض العراق.

وقامت القوات الايرانية يعاونها PUK بهجمات داخل المناطق الجبلية الكوردية، وبسبب أصرار PUK على اعتراف العراق بحق تقرير المصير للكورد فان بغداد بدأت تنظر إلى الكورد على انهم خونه للعراق في وقت تمر فيه البلاد بأخطر مراحلها، وفي الجنوب ثبتت ايران اقدامها في شبه جزيرة الفاو وبدت وكأنها تمهد الطريق للوصول إلى البصرة.

في منتصف نيسان ١٩٨٧ استولت قوات PUK على مناطق ستراتيجية شرق السليمانية، وبعد ذلك باسبوع استولت قوات كوردية مشتركة وباسناد ايراني على قرداغ الواقعة على بعد ٢٥ كم جنوب شرق السليمانية.

وعلى بعد أميال قليلة من قرداغ استولت القوات الايرانية على ٢٥٠

كم٢ من كوردستان العراق في هجوم أطلق عليه اسم "كربلاء". وخسرت القوات العراقية مساحة اكبر عندما حل الظلام بسبب هجمات للقوات الكوردية، أما في القاطع الشمالي فقد تمكن KDP من السيطرة على المنطقة الممتدة بين زاخو وعقرة وفي مناسبات عديدة كان قادراً على قطع الطريق المؤدي إلى تركيا، أما الى الجنوب فقد تمكن PUK من السيطرة على منطقة واسعة تمتد من الزاب الكبير نزولاً إلى حوض نهر ديالى إلى الجنوب من كفري وبذلك استطاع قطع الطريق بين كركوك وبغداد وأوقع القوافل الحكومية في كمائن له نصبت على الطريق ليلاً. إلا أن القوات الكوردية تجنبت محاولة الاستيلاء على المدن الكبيرة في المنطقة وركزت إهتمامها في اشغال القطعات العسكرية العراقية من خلال السيطرة على الريف وعلى الطرق المهمة.

وفي ١٩٨٧ كانت فرقتان عسكريتان عراقيتان منشغلةً في مواجهة الخطر الكوردي، وفي منتصف مايس ١٩٨٧ سيطرت قوات PUK على رواندوز لانقاذ اهلها من التهجير الذي كان من المقرر تنفيذه بعد مدة من قبل النظام في بغداد.

لقد كان الرد العراقي همجياً وقاسياً وضرب بالقيم الاخلاقية عرض الحائط، ففي ١٩٨٣ قام النظام باعتقال نحو ٨٠٠٠ بارزاني مدني. ورغم اجراء تحقيقات حولهم من قبل منظمة العفو الدولية فان مصيرهم بقي مجهولاً واغلب الظن انهم قتلوا جميعاً، وفي كانون الثاني ١٩٨٧ عندما كان KDP و PUK يجريان محادثات بينهما لأزالة الخلافات وتوحد الجهود قامت السلطات في السليمانية بتسليم ٥٧ جثة مشوهة لشبان وصبية اعتقلوا في وقت سابق في ايلول ١٩٨٥.

الاسلحة الكيمياوية ومجازر المدنيين

اتخذت بغداد اجراءات قاسية جداً، في اوائل ١٩٨٧ بدأت بتطبيق سياسة تخلية المنطقة الريفية برمتها من المدنيين ومن كل انوا ع الحياة وجعلتها منطقة محرمة يقتل فيها كل كائن حي سواءً أكان بشراً او دابة، وتم اخلاء المناطق التي هي تحت سيطرة الحكومة وسويت القرى بالارض وشملت جميع كوردستان من زاخو في الشمال وحتى حلبجة في الجنوب.

تمت تسوية قرابة ٣٠٠٠ قرية بالارض وتم ترحيل نحو ٥٠٠,٠٠٠ شخص إلى معسكرات اعتقال في المنطقة الصحراوية جنوب وغرب العراق و فرّ كثيرون إلى ايران، وإذا حاول احد القرويين العودة إلى قريته خلسة والقي القبض عليه فانهُ يعدم في الحال بغض النظر عن الجنس أو العمر.

أما في كركوك التي يعتبرها الكورد مدينة كوردية فان الحكومة قامت بترحيل الالوف من الكورد والتركمان منها وجلبت نحو ١٠,٠٠٠ عائلة عربية واسكنتها مكانهم. وحذر جلال الطالباني من نية الحكومة إزالة كل وجود كوردي في المنطقة الجبلية بحلول عام ١٩٩٠.

وحدث تطور خطير أخر، فعندما احرزت قوات PUK تقدماً ملحوظاً حول السليمانية في نيسان ١٩٨٧ استخدمت السلطات العراقية السلاح الكيمياوي ضد عدد من القرى الكوردية في منطقة العمليات العسكرية من الفترة من ١٥- ٢٠ نيسان، ومع أن أنباء هذه الهجمات انتشرت على نطاق عالمي فانه لم تتخذ أية اجراءات لردع العراق من استعماله مرة أخرى، والادهى من ذلك والامر أن لجنة من الامم المتحدة حققت في

الموضوع واكدت قيام العراق باستخدام السلاح الكيماوي ضد ايران، ولكنها لم تحقق في استعمال الغازات من قبل بغداد ضد الكورد لأن الامم المتحدة لا تمتلك تخويلاً بذلك.

على الرغم من هذه الاحداث فان الكورد تطلعوا بكل تفاؤل إلى ما سيتمخض عنه عام ١٩٨٨من انتصارات ايرانية وكوردية والتي هي كفيلة بانهاء نظام صدام وتحقيق مطالب الكورد في العراق وبدت كما لو أن هذه التوقعات هي في محلها حيث أن القوات الكوردية وسعت من مناطق سيطرتها من ٢,٥٠٠كم٢ في حزيران إلى ١٠,٧٠٠كم٢ في كانون الثاني وهذه مساحة تساوي مساحة دولة لبنان، وفي كانون الثاني استولت قوات PUK على المقر الصيفي للحكومة في سةري رةش شمال شرق اربيل وفي ١٦ آذار سيطرت القوات الكوردية والايرانية على مدينة حلبجة تمهيداً للاستيلاء على سد دربندي خان واكتساح المنطقة باتجاه كفري وخانقين.

أما بالنسبة لبغداد فقد كان الخطر كبيراً وجاء ردها سريعاً، في اليوم الثاني قصفت حلبجة بالسلاح الكمياوي ويعتقد بأن نحو ٦٣٥٠ شخصاً مات في الهجوم واغلبهم من المدنيين، اثار ذلك قلق واهتمام الاوساط العالمية ولكن لم تتخذ أيه تدابير لردع العراق من استخدام الاسلحة الكمياوية واستمر العراق في ضربه الاهداف المدنية والعسكرية في مناطق كوردستان المختلفة بالسلاح الكيماوي.

في هذا الوقت بدأت قدرات ايران على مواصلة الحرب بالاستنزاف، وفي نيسان تم إخراج القوات الايرانية من شبه جزيرة الفاو وتم ابعادها عن البصرة، وفي المناطق الاخرى من الجبهة بدأت القوات بالتداعي والانهيار، وفي النصف الاول من تموز تخلت القوات الايرانية عن،

حلبجة وحاج عمران وهما من المناطق المهمة التي كانت بحوزتها.

وفي ٢٢ تموز اعلنت طهران عن قبولها بوقف اطلاق النار الذي رتبته الامم المتحدة بموجب القرار ٥٩٨ الصادر من مجلس الامن، وفي ٢٠ أب دخل وقف اطلاق النار حيز التنفيذ.

وبعد مضي خمسة أيام من وقف اطلاق النار شن العراقيون هجوماً كاسحاً على مواقع الكورد مستخدماً في هجومهم ٦٠,٠٠٠ جندي تساندهم الطائرات الحربية بالاضافة إلى ذلك عاد العراقيون إلى استخدام السلاح الكيماوي ضد القرى ضمن الجبهة الكوردستانية ويبدو أن هدفهم هو ازالة جميع قاطني المنطقة وكذلك الحيوانات، وعند نهاية شهر أب كان قد فر نحو ٦٠,٠٠٠ كوردي عبر الحدود إلى تركيا وعبر مثل هذا العدو إلى ايران ايضاً.

حاولت قطعات الجيش قطع الطرق على الفارين وعندما يلقى القبض على بعضهم يتم اعدام الرجال في الحال.

وفي الاسبوع الاول من أيلول كان قدمات نحو ٢٠٠٠ شخص وادعى القوميون الكورد بأن عشرات الالوف منهم لقي حتفهم ولم يكن هنالك ثمة طريقة للتحقق من هذه الادعاءات وجاء في أحد التقارير أنه وقع نحو ١٣٠٠ شخص بايدي القوات العسكرية وانهم جميعاً قتلوا ودفنوا في قبر جماعي كان يجري ترحيل النساء والاطفال إلى خارج كوردستان إلى معسكرات في اماكن مجهولة.

إن استخدام الغازات الكيماوية من جديد أدى إلى تنديد عالمي واسع بالعراق ولكن لم تتحرك أية حكومة لفرض عقوبات على العراق. حتى بعد هذه التنديدات استمر العراق في استخدام هذه الاسلحة من دون أن يناله اي عقاب.

فمثلاً في١١ و ١٤ تشرين الأول استخدام العراق هذه الاسلحة ضد أهداف مدنية في محافظتي كركوك والسليمانية.

إن الهجوم العراقي في الاسبوع الأخير من أب قضى على موطيء قدم للكورد. إن حرب العصابات في مجموعات صغيرة مكونة من عشرة اشخاص استمرت دون طائل حيث أن بغداد لم تقدم اي تنازل، إن تجريد الريف الكوردي من سكانه جعل من الصعب ادامة حرب العصابات، بانتهاء عام ١٩٨٩ بدا من المحتمل أن تلجأ الحركة الكوردية إلى خيار حرب العصابات في المدن او ممارسة الارهاب كأخر خيار في الكفاح وفي نهاية أيلول بدأ PUK يتلقى المساعدة من سوريا لمواصلة الحرب ضد صدام وهي أول مساعدة تأتي من سوريا منذ ١٩٨١.

هجرة ١٩٨٨

لقد نجمت عن الكفاح ضد صدام حركة هجرة واسعة عبر الحدود إلى تركيا وايران و عن ترحيل المبعدين إلى معسكرات اعتقال في الصحاري جنوب وغرب العراق، وفي مطلع عام ١٩٨٧ كان هنالك ١٥٠,٠٠٠ لاجئ في مخيمات داخل ايران ومن بينهم ٥٠,٠٠٠ كانوا قد دخلوا ايران عند انهيار الحركة الكوردية في ١٩٧٥. وكان هنالك نحو ٥٠,٠٠٠ كردي شيعي طردوا من العراق بحجة أنهم رعايا ايرانيون، أما الآخرون فهم الهاربون في الثمانينيات، أما بعد انتهاء الحرب والهجوم على مواقع الكورد فقد هرب نحو ٦٠,٠٠٠ كوردي إلى تركيا.

ركزت معسكرات اللاجئين في ايران في كرج بالقرب من طهران وفي جهرون قرب شيراز، وعند خرم أباد الظروف المعيشية في هذه المخيمات كانت سيئة ولايسمح لهم بالخروج إلا لفترة محدودة وتحت الرقابة، مثل

ايران مثل تركيا هي الاخرى لاتسمح للمنظمات الانسانية بالدخول إلى مخيمات اللاجئين، ولقسوة الظروف في هذه المعسكرات جازف عدد من اللاجئين بالهرب والعودة إلى المناطق المحرمة داخل العراق تم اسكان اللاجئين القادمين من تركيا في مخيمات لاتتوفر فيها أبسط ظروف المعيشة في خوي واوشناڤيا واورمية، حدث هذا في ايلول وتشرين الاول ١٩٨٨.

وعندما اصدر العراق العفو العام باستثناء جلال الطالباني فانه في واقع الأمر لم يستجب احد لأن الكورد اعتبروه غير جدير بالاهتمام اعتماداً على سلوك العراق نحو العائدين في السابق.

الفصل الحادي عشر

انتفاضة ١٩٩١ - فرحة قصيرة ونهاية مرة

إن هزيمة الجبهة الكوردستانية السريعة في أب ١٩٨٨ واعادة توطين الكورد مع الاجراءات الصارمة التي طبقتها بغداد تركت الشعب الكوردي يعيش على مساحة من كوردستان هي ١٠,٠٠٠ كم٢ من اصل ٧٤,٠٠٠كم٢ ودفعت القيادات الكوردية إلى مراجعة وتدقيق حساباتها وتكتيكاتها الكفاحية.

إن الكفاح الكوردي المسلح منذ ١٩٧٤ برهن على أنه كان ذا نتائج عكسية، بعد ادراك لطبيعة الاحداث فانه من الممكن القول بأن القيادة الكوردية لو قبلت في حينه قانون الحكم الذاتي في ١٩٧٤ ولو بصيغته غير الكاملة فان ٤٠٠٠ قرية كوردية كانت ستبقى مأهولة بأصحابها وأن الموروث الثقافي الكوردي كان سيبقى مزدهراً في جبال كوردستان.

إنه لأمر طبيعي أن تمر الاحزاب الكوردية في مرحلة المساءلة وتوجيه النقد إلى الذات، إن البعض من الكورد يرون في مأساة حلبجة وماحلّ بأهلها خطأ جماعياً كبيراً تحمل الجبهة الكوردستانية جزأً من مسؤولية حدوثها إذ كان يفترض فيها أن لاتدع الايرانيين يدخلون اليها لأن ذلك اعطى رسالة خاطئة لبغداد، وفي مؤتمر KDP العاشر في كانون الاول ١٩٨٩ أدرك الجميع وأعترف بأن فرضية انهيار نظام صدام حسين في سياق حربه مع ايران كانت فرضية خاطئة في غير محلها.

واعترف المؤتمرون أن اسلوب القتال الذي أتبع في الستينات بنجاح لم يكن ليطبق في الفترات اللاحقة لأنه لم يعد مناسباً، أما اسلوب الارهاب فقد نبذه مسعود البارزاني وصدر القرار بشن حرب العصابات بمجموعات قتالية صغيرة وبطريقة لاتجلب معها الانتقام للمدنيين.

أما Puk فهو الاخر توصل في تقيمه للمسيرة السابقة إلى استنتاجات مشابهه، القرار هو أن الكفاح لابد له وأن يستمر واستطاع Puk اقامة قواعد على حافة الحدود مع ايران بحيث يصعب على العراقيين مهاجمتها.

بذل كل من KDP و Puk جهوداً دبلوماسية لكسب الاصدقاء في العالم العربي وفي الغرب الاوروبي.

في السابق كانوا يقابلون بالصدود من قبل الدول العربية ولكن عدة دول عربية لم تكن تشعر بالارتياح تجاه مواقف وتحركات صدام، لم يجد جلال الطالباني صعوبة في عقد علاقات ودية مع كل من مصر وسورية والسعودية وليبيا واليمن الجنوبية (بمن كانت مقسومة بين الشمال والجنوب) أما الجزائر فكانت اكثر تحفظاً لأنها كانت تجد تشابهاً بين مشكلتها مع البربر ومشكلة العراق مع الكورد.

قد يظن البعض أن صدام كان على درجة من القوة بحيث اصبح عازفاً عن عقد اي صلح مع الكورد في الحقيقة كان صدام متلهفاً لعمل ذلك لأنه كان يعتقد بأن الكورد اصبحوا في حالة ضعف يستطيع معها فرض شروطه عليهم، في السادس من أيلول ١٩٨٨ أعلن عفواً عاماً هو الاول من بين ستة واخرها كان في ١١حزيران ١٩٩٠ بثمانية أسابيع قبل اقدامه على غزو الكويت رغم الظروف الصعبة في مخيمات اللاجئين في تركيا فانه لم يستجب لاوامر العفو هذه إلا ٢٠٠٠ كوردي، إن اختفاء

عدد من العائدين في السابق وحالات التسمم التي حدثت في المخيمات والمتهم فيها كان عملاء صدام كلها اثبطت من همة وعزيمة الآخرين في اتخاذ اي قرار بالعودة.

قام صدام باجراء اتصالات غير مباشرة مع القيادة الكوردية عن طريق مكرم الطالباني الذي التقى بجلال الطالباني في موسكو (لا توجد صلة قربى بين الاثنين) غير أن القيادة الكوردية هالها تطابق وجهات النظر الايرانية والعراقية حيال الكورد في كلا البلدين رجع مسعود البارزاني من طهران في حزيران بعد عقد لقاءات على اعلى المستويات مع الايرانيين وهو ينقل اخبار عدم ارتياح طهران وبغداد من جهود الكورد الدبلوماسية في العالمين العربي والغربي.

إن هزيمة الجبهة في ١٩٨٨ لم تولد لدى الكورد أية رغبة للتفاوض مع صدام، لقد توصلت الجبهة إلى قناعة مفادها أن لاجدوى من الحوار مع صدام.

لقد استيقن بعضهم أن اهدافهم اصبحت تتجاوز مرحلة الحكم الذاتي واخذوا يتحدثون عن شيئ اكبر حيث تكلم البعض عن تقرير المصير، أما اخرون من امثال جلال فقد تحدثوا عن حل فدرالي للتنوع العراقي القومي والديني وهم يشيرون إلى التجربة اليوغوسلافية التعسة.

غزو الكويت

إن غزو صدام للكويت في اب ١٩٩٠ وضع الكورد في حيرة من أمرهم، اعتقد البعض ضرورة عقد صفقة معه طالما أنه عاجز عن فتح جبهته في الشمال لحاجته إلى القوات في اماكن أخرى.

غير أن الرأي السائد هو أن صدام رجل لايمكن الوثوق به كما أن عقد

صفقه من هذا القيل معه لن يكون مقبولاً من قبل مجموع الشعب الكوردي الذي عانى الأمرين على يده و أنه ليس من باب الحكمة والفطنة السياسية ربط مصيرهم بمصير صدام في الوقت الذي يواجه فيه استنكاراً عالمياً.

ومن جهة أخرى فان هنالك مخاطر الوقوف العلني إلى جانب الولايات المتحدة وحلفاءها، سافر جلال إلى واشنطن في منتصف أب ولكن وزارة الخارجية رفضت مقابلته واعتبر KDP الخطوة من جلال خاطئة وصرح مسؤول الحزب في لندن بأن الكورد لايثقون بالولايات المتحدة، على كل حال استمر KDP في تزويد التحالف بالمعلومات الاستخباراتية حول الاماكن المحتملة لتواجد الرهائن الاجانب في العراق.

في هذا الوقت بدأت الجبهة الكوردستانية استعدادتها لمواجهة احتمال حدوث فراغ للقوى في بغداد عشية قيام الحرب بين بغداد والتحالف، أما في كوردستان فان تقليص القوات الحكومية أعطى البشمركة حرية الحركة إلى درجة أنها استطاعت دخول مدينة دهوك، عقدت الجبهة الكوردستانية لقاءات مع القادة الكورد في ايران وتركيا للتنسيق معهم ورفع مستوى الاسنادلهم في حالة اي قتال قد يتطور مع الجيش العراقي.

وحاول القادة الكورد اللقاء مع الاوروبين وخاصة مع الادارة الفرنسية لطمأنة حكومات هذه الدول بأن الكورد حريصون على الحفاظ على وحدة العراق وأن الكوردسيبقون جزءً من العراق، كان ذلك مهماً بسبب إصرار توركوت أوزال على عدم الاشتراك التركي في الحرب على العراق إلا بعد اعطاء ضمانات بعدم قيام كيان كوردي في شمال العراق بسبب المشكلة العراقية القائمة.

ومع تزايد احتمالات نشوب الحرب وانهيار نظام صدام حسين قامت الجبهة الكوردستانية باجراء مفاوضات مع الجماعات العراقية المعارضة الاخرى لايجاد بديل معقول للنظام البعثي، في ٢٧ كانون الاول ١٩٩٠ صدر بيان في دمشق من قبل مجموعة معارضة من ضمنها جبهة كوردستان، رغم تباين فكر وايدولوجيات هذه الجماعات فانها جميعاً اتفقت على ضرورة الاطاحة بنظام البعث و احداث اصلاح ديمقراطي واحترام حقوق الانسان والتعددية الحزبية، وبخصوص المسألة الكوردية إتفق الجميع على مبدأ الحكم الذاتي.

ولكن المعارضة لم تنجح في كسب تأييد التحالف لها لأن التحالف كان يخشى من أن تولي جماعات عديدة غير مترابطة ترابطاً قوياً وقليلة الخبرة في ادارة البلاد مما سيؤدي إلى تجزئة العراق، وكانت الولايات المتحدة تخشى الطموحات الايرانية الشيعية وخاصة انها مرت بتجربة مرة وقاسية مع ايران حول رهائن السفارة الامريكية في طهران نحو عقد مضى وإنها تجد صعوبة في التمييز بين شيعة طهران والعراق ولبنان، أنهم في رأيها سواء ومن طينة واحدة.

ومن المحتمل أن الولايات المتحدة اكدت لحليفتها تركيا أنها لن تسمح بقيام دولة كوردية في شمال العراق، كما أن للولايات المتحدة شعور أخر للوضع في العراق لفترة ما بعد صدام، إنها تفضل قيام أحد الجنرالات العسكريين بانقلاب يضمن استقرار العراق وأمن المنطقة.

وعندما بدأ التحالف هجومه البري ضد العراق في الكويت في كانون الثاني ١٩٩١ كانت كوردستان تشاغل عدداً لابأس به من القوات العراقية والقوات الكوردية كانت في وضع تستطيع السيطرة على المدن الكوردستانية، من جهة أخرى اقنعت الجبهة اعداداً كبيرة من عناصر

الافواج الخفيفة "الجحوش" بانها في حالة سقوط نظام صدام سترحب بهم في صفوف الجبهة، ولكن السؤال هو هل أن التحالف سيكون متعاطفاً مع انتفاضة كوردية وقيام نظام ديمقراطي في العراق؟ رفضت الخارجية الامريكية استقبال جلال الطالباني وممثل KDP في اوروبا هوشيار الزيباري في اذار ١٩٩١.

حالما تم اندحار القوات العراقية في ساحة المعارك ثار الشيعة في الجنوب وشجعهم على ذلك فرار الأعداد الكبيرة من الجنود، على مدى اسبوعين من انتفاضة الجنوب بدت الامور كما لو أن بغداد كانت عاجزة عن السيطرة على البلاد أما القيادة الكوردية فكانت تراقب احداث الجنوب بنوع من الحذر.

ولكن في الرابع من اذار اندلعت انتفاضة شعبية عفوية في مدينة رانية الكوردية وانتشرت في كل كوردستان انتشار النار في الهشيم وأجبرت الجبهة الكوردستانية في أن تدلي دلوها في الاحداث، سقطت البلدات الواحدة تلو الاخرى بيد الثوار الكورد واستلم الالوف من القوات العراقية بل وحتى إنضم عدد منهم إلى الأنتفاضة.

أما الجحوش فقد تبين أن عددهم لم يكن بالحجم الذي كان معروفاً به وهم أيضاً أنضموا إلى الانتفاضة باستثناء عدد قليل بقي محتفظاً بولائه للدولة.

وبحلول اليوم التاسع عشر من اذار كانت كوردستان جميعها بما في ذلك كركوك قد سقطت بايدي الثوار.

كان الانتصار الكوردي قصيراً ولم يعمر إلا لأيام معدودة ففي ٢٨ أذار صعدت القوات العراقية من هجومها المضاد مستخدمة الطائرات المروحية والدبابات وراجمات الصواريخ والمدفعية الثقيلة.

رغم نداءات الاغاثه من القيادة الكوردية فان الرئيس الامريكي بوش رفض التدخل، اعتقدت المعارضة أن بوش يعمل طبقاً لرغبات تركية التي لاتريد أن ترى انتصاراً كوردياً و كذلك تلبية لرغبة السعوديين الذين يخشون من قيام نظام شيعي موال لايران في العراق، وفي غضون ٤٨ ساعة سيطرت الحكومة على كركوك وفي ٧٢ ساعة كان الألوف من الكورد المذعوريين يلوذون بالفرار نحو الحدود التركية والايرانية، وفي الثاني من نيسان تم الاستيلاء على مدينة السليمانية.

الملاذ الامن

وفي الثالث من نيسان كان مئات الألوف من الكورد قد وصلوا إلى الحدود التركية في السيارات والساحبات الزراعية وسيارات الحمل أو مشياً على الاقدام، وعلى الرغم من البرد القارص والجوع والانهاك فان القوات التركية منعتهم من دخول تركيا وصرح مسؤولون ترك أن ليس بوسع تركيا استيعاب هذه الاعداد الضخمة، وكان عددهم حينئذٍ قد بلغ ٢٥٠,٠٠٠ هارب.

ووسط صيحات ونداءات المنظمات الانسانية حول ضخامة وهول المعاناة أصدر مجلس الامن الدولي قراره المرقم ٦٨٨ في الخامس من نيسان يطلب من العراق الكف عن مهاجمة الجماعات الكوردية والسماح بوصول المعونات الدولية، وفي الثامن من نيسان طلب رئيس وزراء بريطانيا جون ميجر اقامة منطقة أمنة للكورد مستعيناً باقتراح من توركوت اوزال لتخفيف الضغط على تركيا.

واقترح ميجر شمول جميع المدن الكوردية بمنطقة الملاذ الامن، وفي الاسبوع الثاني من نيسان تم تقليص مساحة المنطقة لتصبح منطقة

الملاذ الامن والتي تمتد من زاخو إلى العمادية وتصل حدود دهوك.

وفي هذا الوقت بدأت حملة الاغاثة من قبل قوات التحالف والمنظمات الدولية والانسانية لاتقاذ اولئك الذين يتضورون جوعاً ويموتون من البرد والمرض على الحدود التركية والايرانية كان هنالك نحو ٤٠٠,٠٠٠ من طالبي اللجوء على الحدود التركية وعبر نحو مليون إلى ايران وقدر عدد من يموت يومياً على حدود البلدين بحوالى ٢٠٠٠ شخص.

وفي ١٧ نيسان دخلت قوات التحالف شمال العراق لاقامة المخيمات للكورد المحاصرين على الحدود التركية وفي ١٩ نيسان وافق العراق على مضض على فتح مراكز للمراقبة وتنظيم عملية توزيع المعونات وكان العراق يهدف من وراء قبوله للتواجد الأممي من جعل تواجد قوات الحلفاء قصيراً، وفي يوم ٢٧ نيسان بدأت الافواج الاولى من الهاربين بالدخول إلى منطقة الملاذ الامن وفي مطلع حزيران كان جميع الكورد الذي كانوا محاصرين عند الحدود التركية قد دخلوا منطقة الملاذ الامن إوالمناطق التي لاتزال محررة في جهة الشرق، وعند هذا الوقت عاد نحو ٣٠٠,٠٠٠ لاجئ من اصل ١,٢٠٠,٠٠٠ لاجئ من ايران فضل الاكثرية التريث لحين ظهور نتائج مفاوضات الجبهة الكوردستانية مع بغداد.

هذه المفاوضات بين القيادة الكوردية وصدام حسين بدأت رسمياً في ١٨ نيسان وفي الحقيقة كانت هنالك مراسلات بين الجانبين قبل هذا التأريخ، وكان مسعود البارزاني قد اعطى اشارات بأنه على استعداد للتفاوض على تسوية مع صدام نهاية اذار.

وافقت الجبهة الكوردستانية على المحادثات لهول المصيبة التي حلت بالشعب الكوردي والتي لم يسبق لها في تأريخهم وبسبب عدم رغبة التحالف في مساعدة الكورد والشيعة في إسقاط نظام البعث، كما أنهم

كانوا يأملون في استغلال وجود قوات التحالف في الشمال واستمرار تطبيق العقوبات على بغداد وسيلة ضغط على بغداد لأنتزاع صيغة الحكم الذاتي التي تعود إلى ١٩٧٤، ولكنهم كانوا يدركون أنهم بتفاوضهم مع صدام يسيئون إلى اطراف المعارضة العراقية لأنهم إتفقوا معهم على الاطاحة بصدام لا التفاوض معه.

في ٢٤ نيسان توصل الطرفان الكوردي والعراقي إلى إتفاق مبادئ يؤكد على مبدأ الديمقراطية في العراق وعلى حرية الصحافة والموافقة على حكم ذاتي وعودة الكورد المرحلين إلى قراهم وبلداتهم التي دمرت في حملات التهجير في ١٩٨٧ و ١٩٨٨، غير أن بغداد كانت مترددة في تلبية مطلب الكورد في كركوك وجعلها عاصمة الاقليم بدلاً من اربيل وعلى توسيع الحكم الذاتي ليشمل سنجار وخانقين مع ضمانات دولية واجراء انتخابات حره تليها صياغة دستور جديد للبلاد مرة أخرى ومثلما حصل في ١٩٧٠ -١٩٧٤ وجد الكورد أن التوصل إلى اتفاق مبادئ هو أسهل بكثير من التوصل إلى اتفاقية شاملة ومفصلة.

وعندما بدأت قوات التحالف بالانسحاب من منطقة الملاذ الامن في بداية حزيران كان لدى الكورد أسباب وتبريرات وجيهة من أن صدام تعمّد تأخير الاتفاق النهائي على أمل أن يفقد الكورد الحماية الدولية، وطيلة فترة شهر مايس صدرت تصريحات من زعماء كورد بأن الاتفاق أصبح قاب قوسين أو أدنى، ولكن الانباء التي تسربت عن المحادثات اشارت إلى أن رقعة الخلاف بدأت تتسع بدلاً من أن تتقلص، بغداد ترفض جعل كركوك عاصمة الاقليم الذاتي ولن تقبل بأية مشاركة دولية في الاتفاقية وترفض ايضاً صياغة دستور جديد يحل محل دستور البعث.

وبحلول شهر حزيران اصبح واضحاً أن صدام يؤخر التواصل إلى اتفاقية ريثما يتم نقل مهام التحالف إلى المراقبين الدوليين التابعيين للأمم المتحدة، وكان يأمل أن يضع انسحاب قوات التحالف الكورد في موقف تفاوضي ضعيف، وكان البريطانيون وحلفاؤهم الاوروبيون يشعرون أن التصريح الامريكي في سحب القوات من شأنه نسف الاستقرار والأمان لدى الكورد وبذلك فهما أمران حيويان يقرران رحيل القوات.

وجاءت المعارضة القوية ضد قرار الانسحاب من قبل العاملين في المنظمات الذين بدورهم اكدوا أن اي انسحاب من دون وجود قوة حماية كافية (عدد المراقبين كان ٥٠ من اصل ٥٠٠ مراقب) ستؤدي إلى حدوث موجات جديدة للنازحين وفي ٢١ حزيران وافقت الولايات المتحدة الابقاء على بعض القوات على مقربة من الحدود العراقية واعلنت تأجيل الانسحاب.

في هذا الوقت رفضت القيادة الكوردية اتفاقية الحكم الذاتي التي تفاوض عليها مسعود البارزاني في بغداد.

ومع أن الصفقة المقترحة تمنح الكورد السيطرة السياسية والعسكرية على ثلاث محافظات هي دهوك وأربيل والسليمانية واستعادة القرى التي دمرت منذ السبعينيات فان الجبهة قررت بأن ليس بوسعها القبول بشروط الاتفاقية وخاصة منها تلك التي تدعو إلى قطع علاقاتها مع الحلفاء داخل وخارج العراق وتسليم الاسلحة الثقيلة ومحطتي الاذاعة.

كما اعتبرت الجبهة عرض الحكومة حول الانتخابات والتعددية الحزبية لكل العراق غير كافٍ، استؤنفت المحادثات أوائل تموز مع تصريحات متكررة بقرب التوصل إلى اتفاقية.

في الخامس عشر من تموز اكملت قوات التحالف انسحابها من شمال

العراق تاركة أمن الكورد واحتمالات التوصل إلى اتفاقية للحكم الذاتي مرهوناً بمدى جدية بغداد في النظر إلى قوة الردع "المطرقة المشرعة" الموجودة في تركيا وعلى استمرارية العقوبات الاقتصادية المفروضة على بغداد.

على كل حال إن تحقيق أي اتفاق حول الحكم الذاتي بين الكورد وبغداد يعتمد على توفر عنصر الثقة بينهما وبين القوميات الاخرى التي يتألف منها الشعب العراقي. إن هذه العلاقة تبقى بعيدة التحقيق بدون اصلاح دستوري جذري للبلاد وأن يحل الدستور الجديد محل دستور البعث مع وجود حكومة تمثل كافة الأحزاب الرئيسة في البلاد.

الفصل الثاني عشر

الكورد في سوريا ولبنان والاتحاد السوفيتي (السابق)

هنالك تجمعات كوردية خارج كوردستان الجبلية المركزية وتتركز في كل من سوريا ولبنان والاتحاد السوفيتي السابق.

الكورد في سوريا:

وهم يشكلون ٨٪ من مجموع سكان سوريا ويتواجدون في مناطق ثلاث هي كورد داغ (جبل الكورد) وهي منطقة وعرة تقع شمال غرب حلب وفي منطقة الجزيرة الشمالية الغربية (الجزيرة المحصورة بين دجلة والفرات) حول عين العرب وعلى امتداد الحدود مع تركيا. أما المنطقة الرئيسية فهي في الجزيرة الشمالية حول قامشلي وفي منطقة المنقار الحدودي بين سوريا وتركيا والعراق.

إن سكان كورداغ وبعض سكان طرابلس سبق لهم وأن استوطنوا المنطقة قبل عدة قرون، هؤلاء ومجموعات صغيرة أخرى يعود عهدها إلى زمن الارستقراطيات العسكرية في القرون الوسطى في دمشق واماكن اخرى ولم تعد لهم علاقات قوية مع كورد العراق وتركيا، فـلايزالون يتكلمون باللغة الكوردية ولكنهم استعربوا بشكل جزئي أوكلي، بمعنى أخر إنهم يشعرون بالانتماء إلى البيئة والثقافة العربية المحلية.

التجمع الكوردي الذي هو الأضخم يقع في شمال الجزيرة وهم من الذين استقروا بشكل دائمي في سوريا بعد سقوط الامبراطورية

العثمانية وقلة من هؤلاء كانوا يستخدمون شمال الجزيرة كمنطقة رعي شتوي ينحدرون من سفوح طوروس كل خريف هرباً من برد الشتاء وطلباً للعشب وتقاسموا المنطقة مع العرب الشمر الذين استخدموا المنطقة صيفاً هرباً من حر الصيف وطلباً للكلأ، غير أن القسم الاكبر من هؤلاء كانوا من الذين هربوا من تركيا بعد ١٩٢٠ وخاصة بعد فشل ثورة شيخ سعيد بيران و الثورات الكوردية الاخرى. وهؤلاء استقروا في المناطق الخصبة غير المأهولة وبينهم ظهر الشعور والحس القومي وحصل نوع من التوتر والتشنج القومي بينهم وبين العرب في سوريا.

في العشرينيات من القرن العشرين اعتاد الاغوات الكورد اللاجئون من الاناضول الاغارة عبر الحدود التركية السورية، إن وجود عدد لايستهان به من المسيحيين وخاصة منهم الاشوريين والارمن الذين جاؤوا من الاناضول والذين كانوا يطمحون في حرية نسبية من الحكم الاسلامي في دمشق ساهم في زيادة التوتر وخاصة أن الانتداب الفرنسي كان يشجع الأقليات على الانفصال في سوريا، لجأ الفرنسيون إلى تجنيد الاقليات بما فيها الاقلية الكوردية في قواتها المحلية، كما شجع الفرنسيون الحزب القومي الكوردي "خويبون" وبذلك اثاروا قلق وعدم إرتياح القوميين العرب حيال تصرفهم هذا.

وفي الثلاثينيات وقف الكورد موقفاً متذبذباً بين مسلمي وعرب دمشق وبين جيرانهم المسيحيين.

بعد حصول سوريا على استقلالها عام ١٩٤٦ لم يكن التوتر الحاصل بين الكورد والعرب مبعثه نزعة انفصالية أو اضطهاد للأقليات. على العكس من ذلك فان الانقلابات العسكرية الثلاثة في سوريا قام بها ضباط من أصول كوردية. في ١٩٤٩ لم يستسغ بعض العرب هذا

السلوك من الكورد. وبعد انقلاب اديب الشيشكلي في ١٩٥٤ تم ابعاد عدد من الضباط الكورد من ذوي الرتب العالية من الجيش ومن المؤكد أن هذا الشيء حدث في انقلاب ١٩٥٨ أيضاً.

اِن اعلان الوحدة بين سوريا ومصر وقيام الجمهورية العربية المتحدة أوقد الشرارة الاولى لظهور سلوك عدائي نحو الكورد. ويعود سببه الأول الى تأجج المشاعر القومية التي احدثه انتصار عبدالناصر في مصر ولأن عدداً من المثقفين الكورد أسسوا الحزب الديمقراطي الكوردي قبل اشهر من هذا الحدث. دعا الحزب الى الاعتراف بالكورد كقومية والى حكومة ديموقراطية في سوريا ونبَّه الحزب الى التخلف الاقتصادي في المناطق الكوردية والى ضرورة فتح ابواب كليات الشرطة والجيش أمام الطلبة الكورد. قدموا هذه المطالب في أسوء وقت. تمت مصادرة وتحطيم جميع التسجيلات والمطبوعات الكوردية والتي لم تكن محظورة الى هذا الوقت وجرى توقيف اصحابها. في أب ١٩٦٠ أعتقلت السلطات عدداً من قادة الحزب ونحو٥٠٠ ممّن يشتبهُ بانتمائهم الى الحزب.

ان الهوية القومية والدينية افسدت تطور الأحزاب السياسية في سوريا. ازداد الضغط على الكورد بشكل اكبر بعد فشل تجربة الوحدة مع مصر في ١٩٦١. وجرت في هذه السنة عملية إحصاء في منطقة الجزيرة كان من نتائجها إعتبار ١٢٠,٠٠ كوردي اجانب غير سوريين.

وفي السنة اللاحقة وضع مخطط الحزام العربي بعمق ١٠- ١٥كم على امتداد حدود الجزيرة وبدأ العمل بتنفيذه ولكن المخطط يُدّل الى مخطط لانشاء مزارع نموذجية يديرها عرب موفدون. ومع أن هذه الخطط لم تنفذ بحذافيرها اِلا أنها كانت كفيلة ببث الشعور بعدم الاطمئنان على المستقبل و ترك نحو ٦٠,٠٠٠ ألف كوردي مناطق سكناهم واتجهوا الى

دمشق وتركيا ولبنان وخاصة الى الاخيرة حيث فرص العمل أوفر بسبب ازدهار قطاع البناء حينئذ. اِن هؤلاء الكورد الذين جُردوا من جنسياتهم كان عليهم الخدمة في الجيش السوري وارسل قسم منهم الى الجولان.

وعندما تولى البعث السلطة في سوريا في ١٩٦٣ لم يتحسن وضع الكورد والسبب في ذلك يعود الى ثورة الكورد في العراق والخوف من انتشار العدوى اليهم في سوريا. بدأ البعث حملة سخيفة لمنع الجزيرة من أن تصبح اسرائيل ثانية وهو شعارغير مقنع.

وبالفعل تم طرد عدد من الكورد اضافة الى اولئك الذين سبق لهم وأن جردوا من جنسياتهم ورفضت الدولة ادخال الاصلاح الزراعي الى المناطق التي يكون العنصر الكوردي هو المستفيد منه وليس العرب وكان هنالك نوع من التضامن بين البعث في سوريا والبعث في العراق قبل أن يحدث الانشقاق في ١٩٦٦، اِن البعث في سوريا سبق وأن أبدى الشعور بعدم الثقة بالكورد. فهو عندما إندمج في الحزب العربي الاشتراكي قبل عقد من الزمن حرم عضوية الحزب الجديد على الكورد وقد يكون السبب من وراءه دسائس الأمير عبدالله الهاشمي بين الاقليات في سوريا ومنها الأقلية الكوردية.

يجب أن لايفهم من هذا أن البعث والعرب كانوا الوحيدين في مثل هذا التصرف، فالكورد أنفسهم يتحملون قسطاً من مسؤولية فشل الحزب الشيوعي السوري في استقطاب جماهير اوسع.

كان الحزب الشيوعي ولسنوات طويلة يقوده خالد بكداش و يسيطر عليه كورد آخرون. أما KDP السوري فقد تمزق تحت ضغط وقمع الحكومة له وكان للاعتقالات المستمرة أثر مدمر عليه ومع أنه استمر في الكفاح اِلا أنه لم يستطع استقطاب جماهير كبيرة وعكست الفصائل

المختلفة فيه خلافات شخصية ومحلية اكثر من خلافات ايدولوجية.

خفّ قمع الحكومة بعض الشيء منذ ١٩٦٧ وما بعده. وفي ١٩٧١ بدأ تطبيق الاصلاح الزراعي في المناطق الكوردية. بقي مخطط الحزام العربي والمزارع النموذجية يهدد الكورد الى عام ١٩٧٦ عندما أمر الرئيس حافظ الاسد الغاء المخطط ولكن سمح للعرب الذين سبق لهم وأن انتقلوا الى مناطق الكورد البقاء فيها و لكن برنامج التوطين توقف. وفي منتصف الثمانينيات شعر الكورد بأمان اكثر من اي وقت مضى منذ الخمسينيات.

ولكن في اواخر الثمانينات ظهرت المخاوف من أن فترة الراحة أشرفت على الانتهاء بالنسبة للكورد. استمرت سياسة عدم منح الجنسية الى الكثيرين وكذلك الهوية ووثائق السفر. واستمر الحظر على اللغة والثقافة الكوردية. كما أن اسماء الاماكن الكوردية استبدلت باخرى عربية وشعر الكورد أن التمييز القومي يمارس بحقهم. وينمو الشعور القومي عند اولئك الكورد الذين اندمجوا في المجتمعات العربية لأجيال عديدة عندما بدأوا يكشفون أصولهم القومية.

في دولة تتبع نظاماً شمولياً من الصعب قياس حريات وحقوق اقلية معينة بشكل واضح بمعزل عن القيود المفروضة على حريات كل الشعب في الدولة. الكل مضطهدون وحرياتهم مقيدة. ولهذا السبب فانه امر ليس بالسهل تقييم انتخاب ١٥ نائباً كوردياً في ١٩٩١ لعدم وجود ديموقراطية حقة في سوريا.

الكورد في لبنان

الى زمن الحرب الاهلية ١٩٧٥ – ١٩٩١ كان عدد الكورد في لبنان يبلغ

نحو ٧٠,٠٠ كوردي ومعظم هؤلاء كانوا قد قدموا الى البلاد من ماردين جنوب شرق الاناضول. وفي فترة الانتداب الفرنسي على البلاد كان عدد الاوائل الذين وصلوا الى البلاد حوالي ١٥,٠٠٠ وحصلوا جميعاً على التجنيس. ومنذ عام ١٩٦١ حصل عدة الاف اخرين على تراخيص الإقامة الامر الذي يعني أن مسألة الجنسية اصبحت قيد الدراسة والتمحيص. اِن الغالبية منهم لايملكون رخص الإقامة على الاطلاق. لقد جاؤوا للمشاركة في قطاع الانشاءات المزدهر لانهم يستطيعون كسب اجور أفضل من سوريا.

الكورد في لبنان اقتصادياً واجتماعياً في وضع ضعيف يؤدون اعمالاً يدوية وضيعة ويتلقون عليها اجوراً واطئة ولا يجرأون على المطالبة بظروف أحسن مخافة الطرد من البلاد.

ومنذ أيام الحرب الاهلية وهم من بين أشد المضطهدين في البلاد. والكورد ومعهم سوريون وشيعة من الجنوب كانوا من الاوائل الذين حوصروا في الجولة الاولى من القتال في كل من كرنتينة والنبع. قتل العديد منهم وفرّ أخرون ومنذ ذلك اليوم وهم يحيون حياة البؤس في احياء الفقراء في الاوزاعي وميشل جنوب بيروت. وعلى الأرجح أن عددهم قلّ بحوالي ١٠,٠٠ شخص أو اكثر على خلفية عودة الكثيرين منهم الى سوريا لقتامة المستقبل في لبنان.

الكورد في الاتحاد السوفيتي (السابق)

رغم عدم وجود أقاليم خاصة بهم في الاتحاد السوفيتي فان هنالك تجمعات كوردية في بعض هذه البلدان. بموجب إحصاد ١٩٧٠ كان هنالك نحو ٤٠,٠٠ كوردي في ارمينيا و ٢٠,٠٠٠ في جورجيا

ويتمركزون في تبليس حيث يوجد فيها حي للأكراد. الكورد في هاتين الدولتين في غالبيتهم إيزيديون نزحوا اليهما من سنجار وشيخان بسبب الاضطهاد. أما في اذربيجان فهنالك نحو ١٥٠,٠٠ منهم ويوجد ٥٠,٠٠ كوردي في تركمنستان ويوجد عدة الاف في قرغيزيا وكازخستان.

لهذا التشتت أسباب تأريخية. هاجرت بعض القبائل الكوردية الى منطقة القوقاس في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. اما الذين يعيشون في آسيا الوسطى فقد جاؤوا اليها عندما استخدمهم حكام ايران في القرن السادس عشر لحماية الحدود الشرقية لايران. اما الموجودون حالياً في قرغيزيا وكازخستان فقد نقلوا اليها قسراً من القوقاس (جورجيا وأرمينيا) في الاعوام ١٩٣٧ و ١٩٣٨ لقيامهم بخلق مشاكل في المنطقة الحدودية.

لقد كان هنالك دوماً قدرُ من الحرية لكورد الاتحاد السوفياتي حيث كانت لهم مدارسهم الخاصة بهم وكتبهم المدرسية وصحافتهم. كانت هنالك محطة اذاعة تبث باللغة الكوردية الى جميع اجزاء كوردستان. وكان هنالك إحساس قومي يشدهم الى الكورد في المناطق الاخرى. انه شعور يتجاوز الاعتبارات الايدولوجية كما بينها احد الكورد هنالك: نحن نعلم بأن البارزاني ليس ثورياً وهو اكثر من كونه محافظاً ومع ذلك فهو يمثل كورديتنا. عندما يأتي الغرباء هنا يعرفون بأننا كورد "صورة ملامصطفى معلقه على الجدار" اثناء مكوثك بيننا لابد أن القوم أخبروك أنه عندما فشلت الانتفاضة في العراق لبس كل واحد منا السواد حزناً.

الكورد أقلية جداً صغيرة في الاتحاد السوفيتي وهي واحدة من ١٠٠ اقلية معترف بها. ان منح الكورد حقوقاً ثقافية لايشكل خطراً على الدولة. السؤال هو هل أن الدولة كانت ستتساهل معهم الى هذه الدرجة

لو أنهم كانوا يشكلون نسبة مئوية كتلك التي يشكلها الكورد في كل من العراق و ايران وتركيا وخاصة إذا كانوا على اتصال مع أقرانهم عبر الحدود.

ساهم الانفتاح على أحياء الهوية الكوردية والى حرية التعبير. كما أدى بالدولة الى الاعتراف بحدوث قمع لهم أيام ستالين. في المؤتمر الثامن والعشرين للحزب الشيوعي في ايلول ١٩٨٩ صدر قرار يعطي الوعد باتخاذ كافة الاجراءات اللازمة لحل مشاكل التتار والألمان السوفيت واليونانين والكورد والترك والآخرين.

في نهاية عام ١٩٨٩ تبنى االسوفيت الاعلى اقراراً يعترف بحدوث اعمال قمع غير قانونية بما في ذلك التوطين الاجباري الذي شمل ١٢ أقلية في الاتحاد السوفيتي وبينها الاقلية الكوردية. إن قرار المؤتمر الثامن والعشرين القاضي باعادة الحقوق الى هؤلاء الذين تم ترحيلهم وخاصة حق العودة والتعويض لم ينفذ ولايوجد بصيص أمل في تنفيذه وخاصة أن الجمهوريات السوفيتية هي الآن في حالة مخاض جديد.

في هذا الوقت ادى ظهور النعرات القومية الى طرد المزيد من الكورد من قبل القوميين المتعصبين. فالصراع الأرمني الاذربيجاني منذ ١٩٨٨ أدى الى طرد نحو١٨,٠٠٠ كوردي من أرمينياً على اعتبار انهم مسلمون.

أما في جورجيا وارمينيا فقد جرت محاولات للتفريق بين الايزيديين والمسلمين.

على كل حال فانّ الكورد انفسهم تأثروا باليقظة القومية في الاتحاد السوفيتي. فهم يفخرون بأنشطتهم الثقافية وحركة الطبع النشطة كل من جورجيا وارمينيا وأذربيجان.

اِن اليقظة القومية والاعتزاز بالهوية الكوردية جعلا الكثيرين من مواطني الاتحاد السوفيتي يعلنون عن انتمائهم الكوردي من جديد.

في ١٩٢٠ كان هنالك نحو ١/٢ مليون كورد في الاتحاد السوفيتي وقد يكون في هذا التقدير نوع من المبالغة. بالتأكيد كان هنالك اكثر من ١٠٠,٠٠٠ كوردي في منتصف العشرينيات. من هؤلاء كان يقيم ٦٠,٠٠٠ في منطقة الحكم الذاتي في ارمينيا و ٤٠,٠٠ في اذربيجان ولكن هذه الاعداد هبطت بشكل حاد نتيجة سياسة الصهر والاندماج.

في احصاء ١٩٣٩ هبط عددهم في أذربيجان الى ٦,٠٠٠ كوردي وفي عام ١٩٥٠ هبط هذا العدد اكثر ليصبح ١,٥٠٠ كوردي. وفي احصاءات ١٩٧٩ و ١٩٨٩ لم يسجل اي كوردي في اذربيجان. وطبقاً لاحصاء ١٩٨٩ كان عدد الكورد في الاتحاد السوفيتي ١٥٣,٠٠ كوردي ولكن التقديرات الكوردية في ١٩٨٥ قدرت عددهم ينحو ٤٠٠,٠٠٠ كوردي.

اِذا استمرت اليقظة القومية فان عدد الذين يوصفون انفسهم بانهم كورد سيزداد عندما يعود من انصهر في السابق الى أصله الكوردي.

ضمان مستقبل الكورد – تحدّ دولي

اللاجئون والمشردون والمرحلون واستخدام العراق للسلاح الكيمياوي وتهم الابادة الجماعية (جنوسايد) والمشاكل السياسية التي تنطوي عليها المسألة الكوردية جميعا تطرح تحديات للمجتمع الدولي.

مشاكل اللاجئين والمشردين والمهجرين

في ربيع عام ١٩٩١ هرب نحو ١/٢ ,١مليون كوردي مساكنهم. ومن الوجهة التقنية فان الذين لم يفلحوا

في دخول الاراضي التركية صنّفوا على أنهم مشردون وليس لاجئون.

انِ اعداد اللاجئين والمشـردين الكورد هي اعداد لم يسبق لها مثـيل ونتجت عن عمليات الهروب المتكررة للكورد العراقيين.

في تركيا تم ترحيل الالوف من الكورد من منازلهم قسراً. ثم توطين البعض منهم في مناطق اخرى. وكان على البعض الاخر أن يجد مكاناً لهم للبقاء حياً.

وفر كثيرون منهم الى أوروبا الغربية وهم غالباً يوصفوف على انهم مهاجرون اقتصاديون يبحثون عن فرص عمل أفضل. ويأتي الوصف في جزءٍ منه من أن الانكار الذي يعاني الكورد منه يحمل بعدين، أحدهما سياسي والآخر اقتصادي.

لابد من وجود مقاييس بخصوص اللاجئين. يجب أن يتم الوصول اليهم وتسجيل اعدادهم وضمان ظروف معيشية لائقة لهم. انِ قرار مجلس الامن المرقم ٦٨٨ أجاز التدخل لاسباب انِسانية لمصلحة الكورد في العراق. كان ذلك عملاً رائعاً. انِ المبدأ الذي يبني عليه القرار يجب التوسع فيه ليشمل بلداناً ومضامين اخرى تحمي الكورد في دول اخرى من همجية الدول التي يقيمون فيها وكذلك الحال بالنسبة لاقليات اخرى مهددة.

انِ توفير الحماية لطالبي اللجوء ضروري لحين دراسة حالاتهم وصدور قرار بخصوص وضعهم. انِ هذا ينطبق على تركيا التي ترفض دخول نحو ٤٠٠,٠٠٠ كوردي وعلى دول الاتحاد الاوروبي التي تغلق حدودها بوجه أولئك الذين يطلبون اللجوء اليها حيث تتهمهم الحكومات ووسائل الاعلام بانهم باحثون عن العمل وهم مهاجرون اقتصاديون قبل أن تدرس حالاتهم، هنالك حاجة ماسة إلى تدخل قوى من قبل الامم المتحدة لحماية طالبي الملاذ واللاجئين.

إن البيئة الطبيعية التي يعيش فيها الكورد والمجموعات المهددة الاخرى يجب أن تحمى، إن تسوية القرى والاماكن السكانية الاخرى بالارض يجب تحريمها على أساس انها وسيلة للقضاء على المنظمات المحاربة، إن هذه العملية فشلت في كل من العراق وتركيا كونها وسيلة لتوفير الأمن، على النفيض من ذلك إنها ساهمت في زيادة الخلاف وتدمير الثقافات والمجتمعات.

الحرب الكمياوية

إن استخدام الأسلحة الكيماوية ضد الكورد هو أخطر خرق لبرتوكول جنيف الصادر في ١٩٢٥ والذي منع استخدام مثل هذه الاسلحة منذ أن استخدمها موسوليني في الحبشة عام ١٩٣٥.

أما العراق فقد دأب على انكار استخدامها ضد الكورد ولكنه اعترف باستخدامها ضد الايرانيين ولكن البرهان على استخدامها ضد الكورد في ١٩٨٧ و ١٩٨٨ واضح وشامل.

وفيما يتعلق بالكورد فان الدليل يظهر على النحو الآت:

١- الدليل البدني للناجين من الهجمات بالغاز تظهر اعراض التسمم بغاز الخردل مثل الرؤية المشوشة وصعوبة التنفس والتقيؤ وحكة الجلد.

٢- موت العديد من الحيوانات في ظروف توحي بحدوث هجمات بالغازات الكيماوية، وعلى سبيل المثال الخيول التي جلبها معهم اللاجئون إلى تركيا والتي ادعى اصحابها أنها تعرضت للغازات ماتت بعد عدة ايام من وصولها، كما أن مربي النحل في المناطق الحدودية للعراق أخبروا عن الموت المفاجئ لأسراب النحل لديهم بعد ورود انباء عن استخدام الغازات من قبل السلطات العراقية في أب

١٩٨٨. كان موتها سريعاً ومفاجئاً بحيث استبعد احتمال العوامل الطبيعية في موتها، وفي شمدينان إنحفض انتاج العسل من ٢٥٠ طن في ١٩٨٧ إلى ١٠ أطنان في ١٩٨٨.

٣- إن المخاطبات والمراسلات العراقية العسكرية التي اعترضتها أجهزة المراقبة الامريكية أظهرت استخدام العراق للاسلحة الكيماوية ضد الكورد في أواخر أب ١٩٨٨.

٤- إن شهادة الشهود الذين نجوا من هذه الهجمات زودت تفاصيل دقيقة للاصابة بالغازات السامة، أما لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ فانها في ٢١ أيلول ١٩٨٨ أوردت مايأتي: إن التفاصيل التي اوردها اللاجئون في خمس مخيمات مختلفة ومتباعدة عن الاصابات كانت دقيقة ومتشابهة، فهل يعقل أن هؤلاء اللاجئين البالغ عددهم ٦٥,٠٠٠ لاجئ وفي معسكراتهم المتباعدة اشتركوا جميعاً في فبركة مؤامرة يقصد بها تشويه سمعة العراق وكيف أن هؤلاء حافظوا على هذا السر؟ لهذا الوقت الطويل.

إذا كان العراق يريد دحض هذه المزاعم فقد كان عليه استدعاء خبراء مستقلين ومحايدين لزيارة كل موقع هو موضع الشبهات، رفض العراق القيام بذلك، على كل حال قام صحفي بريطاني هو واين روبرتس بزيارة موقع من هذه المواقع في تشرين الأول ١٩٨٨ وجمع عينه من التربة وعند فحص العينة هذه تبيين وجود أثار لمادة دبثيان Dithiane التي تستخدم في تحضير غاز الخردل.

وخلصت لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ إلى نتيجة وجود أدلة لاستعمال هذه الاسلحة بشكل قاطع.

عند نهاية عام ١٩٨٨ أدانت عدة دول العراق ولكن لم يفرض أية منها

عقوبات بحق العراق، نددت الولايات المتحدة بالعراق لاستعماله اسلحة كيماوية في ١٩٨٤ ولكنها لم تفرض أية عقوبات عليه.

في أيلول ١٩٨٨ اقترح مجلس الشيوخ سن قانون يفرض عقوبات اقتصادية على العراق ولكن مسودة القانون لم تمرّ لتصبح قانوناً لاسباب سياسية وادارية بمافيها الاعتمادات الزراعية الامريكية للعراق والتي هي مهمة إلى المزارعين الامريكيين وفشل المجلس في متابعة الموصوع في ١٩٨٩.

في أوائل حزيران ١٩٨٨ اقترح وزير خارجية المملكة المتحدة قيام الامم المتحدة بشكل أوتوماتيكي بالتحقيق في الاتهامات الموجهة إلى دولة باستخدام اسلحة كيماوية واخذت بريطانيا دوراً ريادياً في صياغة قرار مجلس الامن المرقم ٦٢٠ الذي ندد باستخدام الأسلحة الكيماوية ودعا إلى أتخاذ اجراءات مناسبة وفعالة إذا ماتكرر استخدامها.

استخدمت هذه الاسلحة بعد ٤٨ ساعة من صدور القرار واستعملت مرة أخرى في ايلول وفي تشرين الاول ولم تتخذ أية اجراءات رادعة اطلاقاً.

في تشرين الأول صرح مسؤول في الخارجية البريطانية وجود دلائل قاطعة على استخدام العراق للغازات السامة، ووجهت اللوم إلى العراق شفوياً ولكن الافعال لم تطابق الاقوال وفي تشرين الثاني انخفضت تسهيلاتها الأتمانية للصادرات إلى العراق لاظهار النية في فرض عقوبات على العراق، ولكن الذي حصل هو زيادة هذه الصادرات الأمر الذي اعطى انطباعاً بأنه رغم دورها الرئيس في صياغة القرار ٦٢٠ فان الاعتبارات التجارية والسياسية مع العراق و دول الخليج هي اهم من انتاج واستخدام اسلحة كيماوية.

إن شركاء بريطانيا الاوروبيون الذين كانوا يتطلعون إلى الحصول على عقودها صريحة لاعمار العراق تصرفوا على نفس الطريقة، وفي تشرين الثاني ١٩٨٨ وجه سكرتير الأمم المتحدة النقد إلى المجتمع الدولي لتخليه عن كورد العراق و شخص بالاسم بريطانيا وفرنسا والمانيا الاتحادية كدول كان باستطاعتها عمل الاكثر.

وبعد هزيمة العراق على ايدي التحالف وبسبب مطالب الامم المتحدة من العراق ظهرت الابعاد الحقيقية لخزين العراق من السلاح الكيماوي والبايولوجي. إن الدور الذي لعبه العالم الغربي والكتلة السوفيتية في تزويد العراق بالسلاح التقليدي ومكونات السلاح الكيماوي يحتاج إلى تحقيق وتدقيق اكبر وتصميم دولي أقوى لمنع تكرار ذلك في اماكن اخرى.

إذا ذهب خرق العراق لبروتوكول جنيف لعام ١٩٢٥ بدون عقاب فان دولاً أخرى سيغريها مثل هذا الموقف لتتصرف بذات الطريقة، كما أن مصداقية الامم المتحدة ستكون موضع الشك إن هي لم تفعل شيئاً ضد العراق، إن الذين نجوا من هجمات العراق يجب أن يحصلوا على الرعاية الصحية المناسبة لمعالجة اصاباتهم وامراضهم الناجمة من هذه الهجمات مع تعويضات مالية مناسبة.

يجب أن تكون هنالك اجراءات دولية فاعلة لمنع صنع الاسلحة الكيماوية والبايولوجية بما في ذلك تصدير العناصر التي تدخل في نتاجها، على دول العالم ومنع القانون الدولي فوق الاعتبارات التجارية.

تُهم الابادة الجماعية:

إن مصطلح "جينوسايد" الابادة الجماعية مصطلح وجداني يقترن بتدمير شعب كامل، وفي مؤتمر "جينوسايد" في كانون الاول ١٩٤٨ تم

تعريف المصطلح ليكون: اي عمل من الاعمال الاتية ارتكبت مع سبق الاصرار لتدمير جماعة قومية اوعرقية أو دينية بشكل جزئي او كلي.

أ- قتل اعضاء من المجموعة.

ب- التسبب في احداث اذى بدني أو عقلي لافراد المجموعة.

جـ- فرض ظروف حياتية على المجموعة لاحداث التدمير للمجموعة بشكل جزئي أو كلي.

د- فرض اجراءات من شأنها منع الولادات بين المجموعة.

هـ- نقل اطفال المجموعة عنوة إلى مجموعة اخرى.

أما فيما يتعلق بالكورد فان استخدام السلاح الكيماوي ضد أهداف مدنية وتدمير الحياة بشكل مبرمج في مناطق عديدة من كوردستان كلها تقع في صلب المادة أ. اضافة إلى ذلك فان عمليات التهجير المنظم من هذه المناطق إلى مناطق أخرى غير كوردية وتسوية نحو ٣٠٠٠ قرية كوردية من اصل ٤٠٠٠ وتحويل كوردستان إلى ارض قفراء بسبب تدمير الزراعة والغابات فيها فانها تقع ضمن الأبواب (ب و جـ)

إن الاطراف الموقعة على الميثاق تعهدت منع ارتكاب هذه الجرائم ومعاقبة مرتكبيها، إن الذين إطلعوا على حالات الجينوسايد يعرفون مدى صعوبة تنفيذ مواد الميثاق. يتطلب الأمر قيام حكومة أو حكومات بجمع الادلة ثم تقديم القضية.

كما أن الحكومات تستخدم معايير مزدوجة عندما يتعلق الأمر بحقوق الانسان فهي في معظم الحالات غير مستعدة لمعاقبة مرتكبي جريمة الابادة الجماعية إذا كان هذا الاجراء سيكلفها في تجارتها وعقود العسكرية.

ومع ذلك فان الميثاق سيبقى اداة عالمية لقياس السلوك المتمدن وإذا فشل المجتمع الدولي في تفصيل وتطبيق الميثاق فان آثار ذلك ستنعكس على جدوى وجود الميثاق نفسه، عادة تكون الحكومات مستعدة للعمل إذا كان هنالك ضغط جماهيري يطالب بمعاقبة مرتكبي الجرائم هذه.

الحل السياسي للمسألة الكوردية

من المفروض أن يكون للشعب الكوردي البالغ تعداده اكثر من ٢٠ مليوناً حق تقرير المصير في دولته الخاصة به. نظرياً هذا حق مشروع لايمكن نكرانه، أما عملياً فانه من المستحيل تصور قيام الامم المتحدة أو القوى العظمى أودول المنطقة التي يعيش الكورد فيها بالنظر ولو للحظة واحدة في مثل هذا الخيار إن احتمالات استمرارية حالة عدم الاستقرار ستبقى واردة، ولو فرضنا أن دول المنطقة أتفقت على قيام دولة كوردية بينها فانها ستنافس مع بعضها في كسب تأييد هذه الدولة في النزاعات الاقليمية، والحكومة الكوردية هذه ستكون مستعدة لقبول هذه الضغوطات لافتقارها إلى منفذ خارجي.

والكورد من جانبهم لازالوا بعيدين عن التفكير والعمل كشعب واحد، وهم لم ينجحوا بعد في خلق حركة قومية شاملة تجمعهم جميعاً والدلائل تشير إلى أن القليل قد تحقق في هذا الصدد، لقد قطع كورد العراق شوطاً ابعد في عمل جبهة ولكن كورد العراق أقل عدداً من كورد تركيا وايران، بالاضافه إلى ذلك فانه ليس امراً مؤكداً أن الغالبية من الشعب الكوردي يرغب في دولة مستقلة، يجب أن لاننسى أن عدة ملايين من الكورد يكسبون عيشهم في بلدان ومدن الشرق الاوسط.

وتبعاً لذلك فان اقتصاد ورفاهية ١/٣ الشعب الكوردي مرتبط

بمجمعات وثقافات أوسع في المنطقة، إن عملية التعايش التي بدأت مطلع القرن العشرين أزدادت اكثر بدلاً من أن تتقلص.

أما من ناحية البيئة والثقافة فان كثيرين من الكورد الذين تعلموا وعاشوا في اسطنبول وانقرة وطهران وتبريز وبغداد والموصل يشعرون بانهم ينتمون إلى عالم هو اكبر بكثير من كوردستان.

فاذا اخذنا العوامل السابقة والظروف الصعبة غير العادلة التي يعيش فيها الكورد بنظر الاعتبار فما الذي نتوقعه من المجتمع الدولي من اجراءات؟ إن أزمة عام ١٩٩١ تؤكد أن مسألة كوردستان ستبقى شوكة في خصر الاستقرار الاقليمي في المستقبل المنظور، في حالة العراق وتركيا من الصعب للمجتمع الدولي تجاهل المشكلة المتنامية، إن طلب تركيا للانضمام إلى الاتحاد الاوروبي قد تأجل إلى أمد غير معلوم في ضوء معاملتها للكورد التي جعلتها غير مؤهلة للدخول إلى الاتحاد الاوروبي.

أما بخصوص اللاجئين فان قرار المنظمة الدولية المرقم ٦٨٨ المتعلق باقامة الملاذ الامن للكورد في العراق يوضع سابقة للتدخل الدولي حتى داخل حدود الدولة لحماية المجموعات المهددة إن هذا المبدأ يجب التوسع فيه وعلى الامم المتحدة أن ترمي بكامل ثقلها من اجل مصير الشعب الكوردي.

لامحالة أن حكومات المنطقة ستجد في هذا الاهتمام الدولي بالكورد تدخلاً غير مرحب به في شؤونها الداخلية، وعليه فانه من الضروري إقناع حكومات هذه الدول من قبل الامم المتحدة بأن الاخيرة ستضمن لها سيادتها وحدودها الدولية طبقاً للقانون الدولي، كما أن الامم المتحدة من جهتها يجب أن تفهم القيادات الكوردية في هذه الدول بأن أية تسوية يتم التوصل اليها وتعطي الكورد قدراً من الحرية في ادارة شؤونهم

والتعبير عن ثقافتهم يجب أن تكون بمؤازاة الاعتراف بوحدة هذه الدول، إن للاقليات حقوقاً وعليهم واجبات.

قد تبدو مناقشة هذه الاحتمالات أمراً غير واقعي ولكنها اليوم لاتبدو بنفس الدرجة من اللاوقعية التي كانت عليها يوم نوقشت لاول مرة في تقرير مجموعة حقوق الاقليات حول الكورد في اذار ١٩٨٩. إن قرار الامم المتحدة ٦٨٨ وضع نقطة مميزة يمكن الاعتماد عليها في مثل هذه الامور، كما أن هنالك ميزة أخرى لتدخل الامم المتحدة بسبب التوتر القائم في المنطقة حيث أن أية حكومة من حكومات المنطقة لم تستطع مقاومة مغريات عقد صفقة مع كورد في دولة جارة لها لا ترتبط معهاً بعلاقة جيدة، إن مساعدة الامم المتحدة لدولة للتوصل إلى تسوية مع الكورد فيها يجعل من قيامها بالتحكيم في أمور داخلية بل وخارجية امراً مفيداً.

إن لتدخل الامم المتحدة منافع ومضار ولكن بالنسبة للذين يبغون استقرار المنطقة فان منافع هذا التدخل هو اكثر من ضررها، إنه تحدً للكورد وللمجتمع الدولي ايضاً.

الصور



لاجئون كورد عراقيون يعبرون الحدود العراقية الإيرانية في منطقة السليمانية نيسان ١٩٩١



الزعيم الكوردي الأسطوري مصطفى البارزاني ١٩٠٣ - ١٩٧٩
الصورة أخذت عام ١٩٦٩



قصف الأكراد من قبل القوات العراقية بالغازات الكيمياوية في حلبجة - نيسان ١٩٨٨



البيشمەركه في موقع قتالي متقدم - كوردستان العراق ١٩٦٦



مقاتلان كورديان يعدان قنابل يدوية



طفل من ضحايا الأسلحة الكيمياوية

حلبجة - عراق. نيسان ١٩٨٨



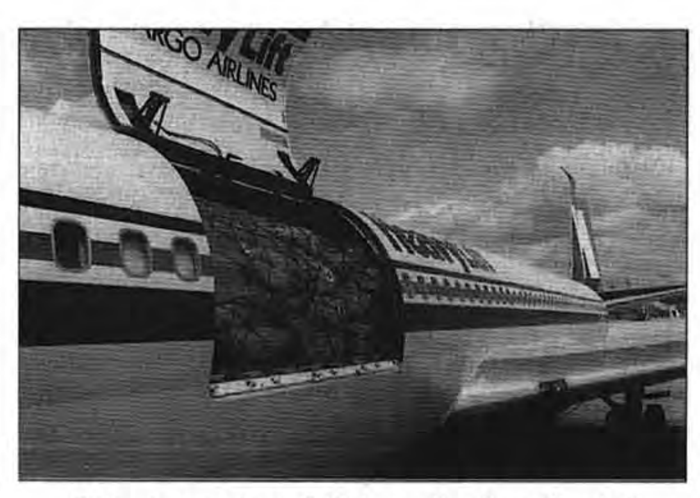
مقاتل كوردي مع اسلحة. قرب حدود پيرانشهر - عراق نيسان ١٩٩١



لاجئون كورد عراقيون يعبرون الحدود الى ايران في منطقة السليمانية.
نيسان ١٩٩١



لاجئون كورد هاربون من شمال العراق. نيسان ١٩٩١



الصليب الأحمر البريطاني في اغاثة لاجئين كورد. نيسان ١٩٩١



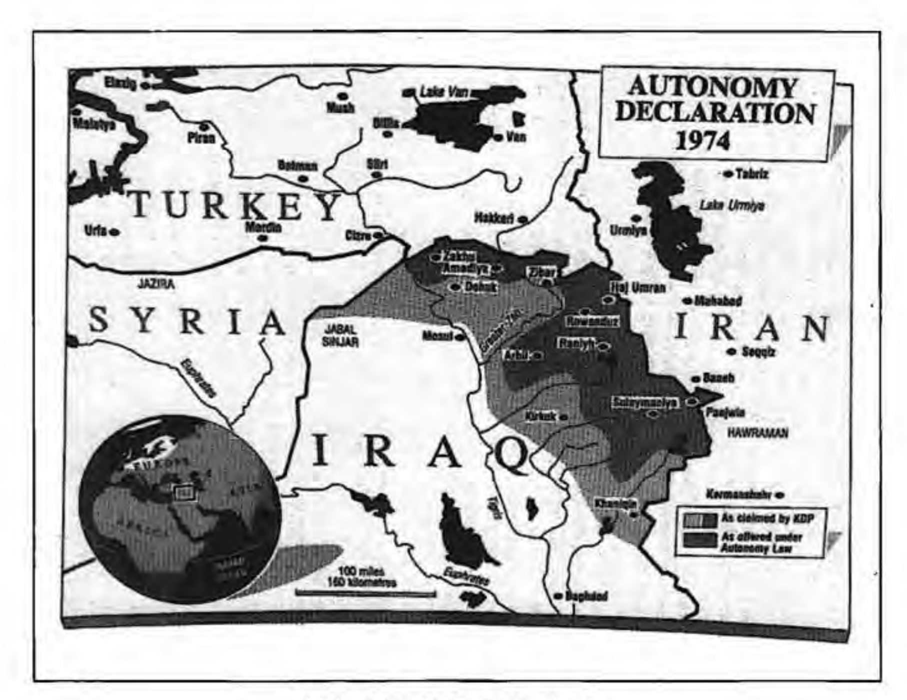
جنود عراقيون أسروا من قبل قوات الپيشمركة، أذار ١٩٩١



مظاهرة الأكراد في موسكو عام ١٩٨٨ وهم يهتفون بالأخوة العربية الكوردية



لاجئون كورد عراقيون في ايران عند مقر عمليات الأغاثة. نيسان ١٩٩١



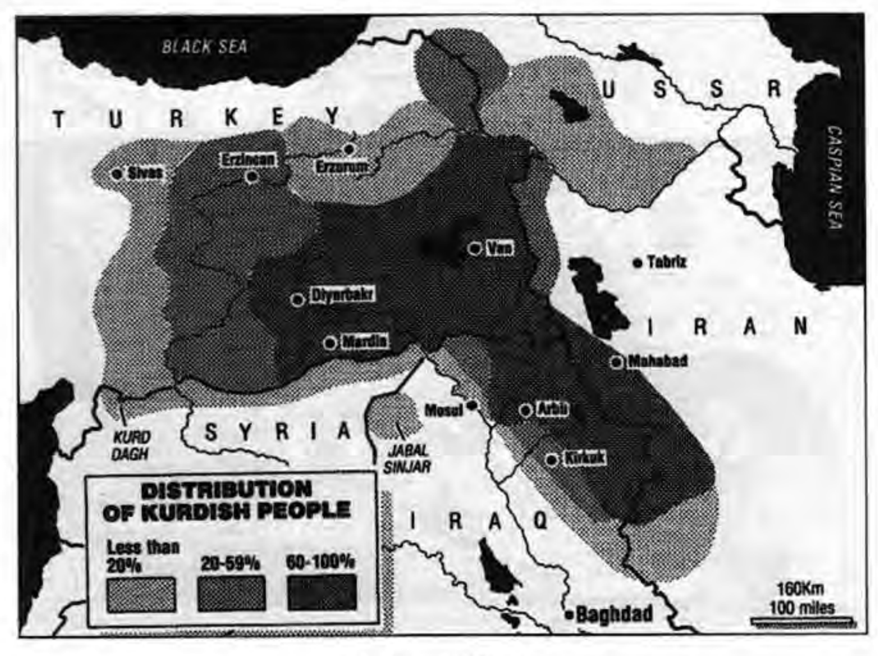
اعلان الحكم الذاتي العام ١٩٧٤

INTERNATIONAL BOUNDARIES 1900

الحدود الدولية، ١٩٠٠

كوردستان العراق، ١٩٩١

خارطة كوردستان الكبرى



توزيع الشعب الكوردي

David mcdowall

The Kurds
a nation denied

Translated by:
Abdulsalam Naqshbandi



أربيل - كردستان
Aras Press
Kurdistan - Erbil

